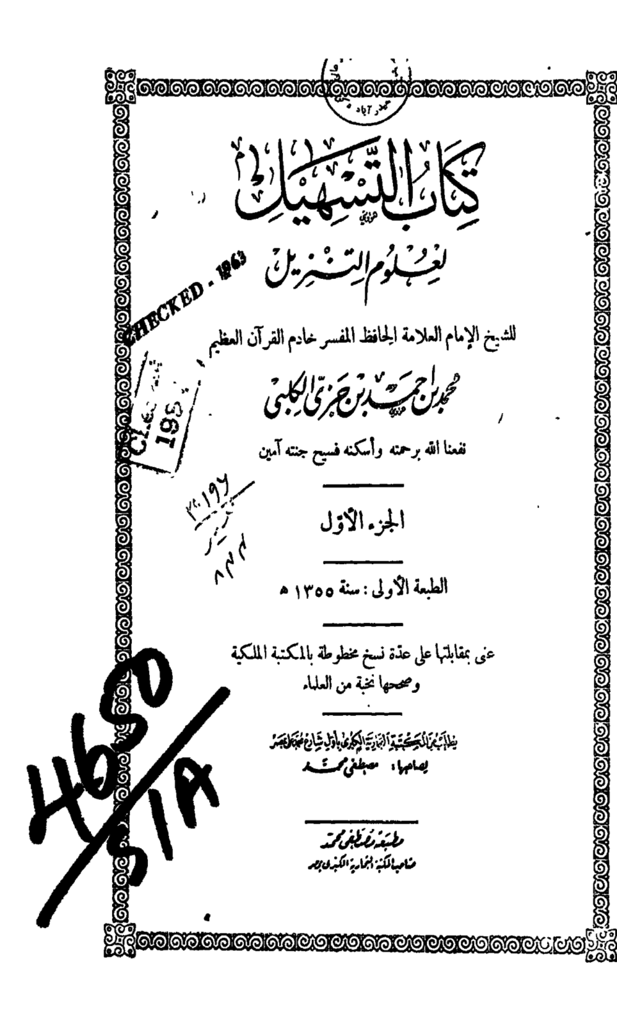


كتاب التسهيل

لعلوم التنزيل

للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خادم القرآن العظيم

محمد بن أحمد بن جزي الكلبي

نفعنا الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

الجزء الأول

الطبعة الأولى : سنة ١٣٥٥ هـ

عنى بمقابلتها على عدة نسخ مخطوطة بالمكتبة الملكية
وصححها نخبة من العلماء

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

مطبعة مصطفى محمد
صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفقيه الإمام العالم العلم العلامة ، فريد دهره ، ووحيد عصره ، أبو عبدالله محمد المدعو بالقاسم ابن أحمد بن محمد بن جزى الكلبى ، رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه ، بحرمة النبى الأواه .

الحمد لله العزيز الوهاب ، مالك الملوك ورب الأرباب ، هو الذى أنزل على عبده الكتاب ، هدى وذكرى لأولى الألباب ، وأودعه من العلوم النافعة ، والبراهين القاطعة : غاية الحكمة وفصل الخطاب ؛ وخصصه من الخصائص العلية ، واللطائف الخفية ، والدلائل الجلية ، والأسرار الربانية ، العجب بكل عجب عجاب ؛ وجعله فى الطبقة العليا من البيان ، حتى أعجز الإنسان والجان ، واعترف علماء أرباب اللسان بما تضمنه من الفصاحة والبراعة والبلاغة والإعراب والإغراب ؛ ويسر حفظه فى الصدور ، وضمن حفظه من التبديل والتغيير ، فلم يتغير ولا يتغير على طول الدهور وتوالى الأحقاب ؛ وجعله قولا فصلا ، وحكما عدلا ، وآية بادية ، ومعجزة باقية : يشاهدها من شهد الوحى ومن غاب ؛ وتقوم بها الحجة للمؤمن الأواب ، والحجة على الكافر المرتاب ؛ وهدى الخلق بما شرع فيه من الأحكام ، وبين الحلال والحرام ، وعلم من شعائر الإسلام ، وصرف من النواهى والأوامر والمواعظ والزواجر ، والبشارة بالثواب ، والنذارة بالعقاب ، وجعل أهل القرآن أهل الله وخاصته ، واصطفاهم من عباده ، وأورثهم الجنة وحسن المآب . فسبحان مولانا الكريم الذى خصنا بكتابه ، وشرفنا بخطابه ، فياله من نعمة سابغة ، وحجة بالغة ، أوزعنا الله الكريم القيام بواجب شكرها ، وتوفية حقها ، ومعرفة قدرها ، وما توفيق إلا بالله ، هو ربى لا إله إلا هو ، عليه توكلت وإليه متاب . وصلاة الله وسلامه ، وتحياته وبركاته وإكرامه ، على من دلنا على الله ، وبلغنا رسالة الله ، وجاءنا بالقرآن العظيم ، وبالآيات والذكر الحكيم ، وجاهد فى الله حق الجهاد ، وبذل جهده فى الحرص على نجاة العباد ، وعلم ونصح وبين وأوضح حتى قامت الحجة ، ولاحت المحجة ، وتبين الرشد من الغى ، وظهر طريق الحق والصواب ، وانقشعت ظلمات الشك والارتياب . ذلك : سيدنا ومولانا محمد النبى الأمى ، القرشى الهاشمى ، المختار من لباب اللباب ، والمصطفى من أطهر الأنساب ، وأشرف الأحساب ، الذى أيده الله بالمعجزات الظاهرة ، والجنود القاهرة ، والسيوف الباترة القضاب ، وجمع له بين شرف الدنيا والآخرة ، وجعله قائداً للغر المحجلين والوجوه الناضرة ، فهو أول من يشفع يوم الحساب ، وأول من يدخل الجنة ويقرع الباب ، فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين ، وأصحابه الأكرمين ، خير أهل وأصحاب ، صلاة زاكية نامية ، لا يحصر مقدارها العد والحساب ، ولا يبلغ إلى أدنى وصفها ألسنة البلغاء ولا أقلام الكتاب .

أما بعد ؛ فإن علم القرآن العظيم : هو أرفع العلوم قدرا . وأجلها خطرا ، وأعظمها أجرا ، وأشرفها ذكرا وأن الله أنعم على بأن شغلنى بخدمة القرآن ، وتعلمه وتعليمه ، وشغفنى بتفهم معانيه وتحصيل علومه ، فاطلعت

على ما صنف العلماء رضى الله عنهم فى تفسير القرآن من التصانيف المختلفة الأوصاف ، المتباينة الأصناف ، فنهم من آثر الاختصار ، ومنهم من طوّل حتى كثر الأسفار ، ومنهم من تكلم فى بعض فنون العلم دون بعض ومنهم من اعتمد على نقل أقوال الناس ، ومنهم من عوّل على النظر والتحقيق والتدقيق ، وكل أحد سلك طريقا نحاه ، وذهب مذهبا ارتضاه ، وكلا وعد الله الحسنى ، فرغبت فى سلوك طريقهم ، والانخراط فى مساق فريقهم ، وصنفت هذا الكتاب فى تفسير القرآن العظيم ، وسائر ما يتعلق به من العلوم ، وسلكت مسلكا نافعا ، إذ جعلته وجيزا جامعا ، قصدت به أربع مقاصد : تتضمن أربع فوائد : (الفائدة الأولى) جمع كثير من العلم ، فى كتاب صغير الحجم ؛ تسهيلا على الطالبين ، وتقريبا على الراغبين ؛ فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم ، ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها ، وتنقيح فصولها ، وحذف حشوها وفضولها ؛ ولقد أودعته من كل فنّ من فنون علم القرآن : اللباب المرغوب فيه ، دون القشر المرغوب عنه ، من غير إفراط ولا تفريط . ثم إنى عزمت على إيجاز العبارة ، وإفراط الاختصار ، وترك التطويل والتكرار (الفائدة الثانية) ذكر نكت عجيبة ، وفوائد غريبة ، قلما توجد فى كتاب ؛ لأنها من نبات صدرى ، وينابيع ذكرى . ومما أخذته عن شيوخى رضى الله عنهم ، أو مما التقطته من مستظرفات النوادر ، الواقعة فى غرائب الدفاتر (الفائدة الثالثة) إيضاح المشكلات ، إما بحل العقد المقفلات ، وإما بحسن العبارة ورفع الاحتمالات . وبيان المجملات (الفائدة الرابعة) تحقيق أقوال المفسرين ، السقيم منها والصحيح ، وتمييز الراجح من المرجوح . وذلك أن أقوال الناس على مراتب : فنها الصحيح الذى يعوّل عليه ، ومنها الباطل الذى لا يلتفت إليه ، ومنها ما يحتمل الصحة والفساد . ثم إنّ هذا الاحتمال قد يكون متساويا أو متفاوتا ، والتفاوت قد يكون قليلا أو كثيرا ، وإنى جعلت لهذه الأقسام عبارات مختلفة ، تعرف بها كل مرتبة وكل قول ؛ فأدناها ما أصرح بأنه خطأ أو باطل ، ثم ما أقول فيه إنه ضعيف أو بعيد ، ثم ما أقول إن غيره أرجح أو أقوى أو أظهر أو أشهر ثم ما أقدم غيره عليه إشعارا بترجيح المتقدم أو بالقول فيه : قيل كذا ، قصدا للخروج من عهدته ، وأما إذا صرحت باسم قائل القول ؛ فإنى أفعل ذلك لأحد أمرين : إما للخروج عن عهدته ، وإما لنصرته إذا كان قائله ممن يقتدى به ، على أنى لست أنسب الأقوال إلى أصحابها إلا قليلا ، وذلك لقلة صحة إسنادها إليهم ، أو لاختلاف الناقلين فى نسبتها إليهم ، وأما إذا ذكرت شيئا دون حكاية قوله عن أحد ؛ فذلك إشارة إلى أنى أتقلده وأرتضيه سواء كان من تلقاء نفسى ، أو مما أختاره من كلام غيرى ، وإذا كان القول فى غاية السقوط والبطلان ؛ لم أذكره تنزيها للكتاب ، وربما ذكرته تحذيرا منه ، وهذا الذى من الترجيح والتصحيح مبنىّ على القواعد العلمية ، أو ما تقتضيه اللغة العربية ، وسنذكر بعد هذا بابا فى موجبات الترجيح بين الأقوال إن شاء الله . وسميته ﴿كتاب التسهيل : لعلوم التنزيل﴾ وقدمت فى أوله مقدمتين : إحداهما فى أبواب نافعة ، وقواعد كلية جامعة ؛ والأخرى فيما كثر دوره من اللغات الواقعة . وأنا أرغب إلى الله العظيم الكريم : أن يجعل تصنيف هذا الكتاب عملا مبرورا ، وسعيا مشكورا ، ووسيلة توصلنى إلى جنات النعيم ، وتنقذنى من عذاب الجحيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

المقدمة الاولى : فيها إثنا عشر بابا

الباب الأول : فى نزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول مابعثه الله بمكة وهو ابن أربعين سنة إلى أن هاجر إلى المدينة ، ثم نزل عليه بالمدينة إلى أن توفاه الله ، فكانت مدة نزوله عليه عشرون سنة ، وقيل كانت ثلاث وعشرين سنة على حسب الاختلاف فى سنه صلى الله عليه وسلم يوم توفى ، هل كان ابن ستين سنة ، أو ثلاث وستين سنة ؟ وكان ربما تنزل عليه سورة كاملة ، وربما تنزل عليه آيات مفترقات ، فيضم عليه السلام بعضها إلى بعض حتى تكمل السورة ، وأول مانزل عليه من القرآن : صدر سورة العلق ، ثم المدثر والمزمل ، وقيل أول مانزل المدثر وقيل فاتحة الكتاب ، والأول هو الصحيح ؛ لما ورد فى الحديث الصحيح ، عن عائشة فى حديثها الطويل فى ابتداء الوحى قالت فيه : جاءه الملك وهو بغار حراء ، قال اقرأ ، قال ماأنا بقارئ ، قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى ، فقال اقرأ ، قلت ماأنا بقارئ ، قال فأخذنى فغطنى الثانية ، حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى ، فقال اقرأ ، قلت ماأنا بقارئ ، قال فأخذنى وغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى ، ثم قال . اقرأ بسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان مالم يعلم . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فقال زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه مايجد من الروع ، وفى رواية من طريق جابر ابن عبد الله : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم زملونى فأنزل الله تعالى « يأيها المزمل » وآخر مانزل « إذا جاء نصر الله والفتح » وقيل آية الزنى التى فى البقرة ، وقيل الآية قبلها . وكان القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرق فى الصحف وفى صدور الرجال ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قعد علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى بيته ، فجمعه على ترتيب نزوله ، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير ، ولكنه لم يوجد . فلما قتل جماعة من الصحابة يوم اليمامة فى قتال مسيلمة الكذاب ؛ أشار عمر بن الخطاب على أبى بكر الصديق رضى الله عنهما بجمع القرآن : مخافة أن يذهب بموت القراء . فجمعه فى صحف غير مرتب السور وبقيت تلك الصحف عند أبى بكر ، ثم عند عمر بعده ، ثم عند بنته حفصة أم المؤمنين ، وانتشرت فى خلال ذلك صحف كتبت فى الآفاق عن الصحابة ، وكان بينها اختلاف ، فأشار حذيفة بن اليمان على عثمان بن عفان رضى الله عنهما ، فجمع الناس على مصحف واحد خيفة من اختلافهم ، فانتدب لذلك عثمان ، وأمر زيد بن ثابت فجمعه ، وجعل معه ثلاثة من قريش : عبد الله بن الزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وسعيد بن العاصى بن أمية . وقال لهم إذا اختلفتم فى شىء فاجعلوه بلغة قريش ، وجعلوا المصحف الذى كان عند حفصة إماما فى هذا الجمع الأخير ، وكان عثمان رضى الله عنه يتعهدهم ويشاركهم فى ذلك ، فلما كمل المصحف نسخ عثمان رضى الله عنه منه نسخا ووجهها إلى الأمصار وأمر بما سواها أن تخرق أو تحرق ، يروى بالحاء والخاء المنقوطة ، فترتيب السور على ماهو الآن من فعل عثمان وزيد بن ثابت والذين كتبوا معه المصحف ، وقد قيل إنه من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك ضعيف ترده الآثار الواردة فى ذلك ، وأما نقط القرآن وشكله فأول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف بأمر عبد الملك بن مروان وزاد الحجاج تحزيبه وقيل أول من نقطه يحيى بن يعمر وقيل أبو الأسود الدؤلى ، وأما وضع الأعشار فيه فقيل إن الحجاج فعل ذلك وقيل بل أمره به المأمون العباسى ، وأما أسماؤه فهى

أربعة : القرآن ، والفرقان ، والكتاب ، والذكر . وسائر مايسمى صفات لا أسماء : كوصفه بالعظيم ، والكريم ، والمتين ، والعزيز ، والمجيد ، وغير ذلك . فأما القرآن : فأصله مصدر قرأ ، ثم أطلق على المقروء ، وأما الفرقان : فمصدر أيضا معناه التفرقة بين الحق والباطل ، وأما الكتاب : فمصدر ثم أطلق على المكتوب ، وأما الذكر : فسمى القرآن به لما فيه من ذكر الله أومن التذكير والمواعظ ، ويجوز فى السورة من القرآن الهمز ، وترك الهمز لغة قريش ، وأما الآية فأصلها العلامة ثم سميت الجملة من القرآن به لأنها علامة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم

الباب الثانى : فى السورة المكية والمدنية . اعلم أنّ السور المكية هى التى نزلت بمكة ويعد منها كل مانزل قبل الهجرة ، وإن نزل بغير مكة ، كما أنّ المدنية هى السورة التى نزلت بالمدينة ويعد منها كل مانزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة ، وتنقسم السور ثلاثة أقسام : قسم مدنية باتفاق ، وهى اثنان وعشرون سورة ، وهى : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنفال ، وبراءة ، والنور ، والأحزاب ، والقتال ، والفتح ، والحجرات ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والممتحنة ، والصف ، والجمعة ، والمنافقون ، والتغابن ، والطلاق ، والتحريم ، وإذاجاء نصرالله . وقسم فيها خلاف ، هل هى مكية أو مدنية ؟ وهى ثلاثة عشر سورة : أم القرآن والرعد ، والنحل ، والحج ، والإنسان ، والمطففون ، والقدر ، ولم يكن ، وإذا زلزلت ، وأرأيت ، والإخلاص والمعوذتين . وقسم مكية باتفاق ، وهى سائر السور ، وقد وقعت آيات مدنية فى سور مكية ، كما وقعت آيات مكية فى سور مدنية ، وذلك قليل ، مختلف فى أكثره

واعلم أنّ السور المكية نزل أكثرها فى إثبات العقائد والرد على المشركين ، وفى قصص الأنبياء . وأنّ السور المدنية نزل أكثرها فى الأحكام الشرعية ، وفى الرد على اليهود والنصارى ، وذكر المنافقين ، والفتوى فى مسائل ، وذكر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، وحيث ماورد : يأيها الذين آمنوا ؛ فهو مدنى ، وأما : يأيها الناس ، فقد وقع فى المكىّ والمدنىّ

الباب الثالث : فى المعانى والعلوم التى تضمنها القرآن . ولنتكلم فى ذلك على الجملة والتفصيل . أما الجملة ، فاعلم أنّ المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله وإلى الدخول فى دينه ، ثم إنّ هذا المقصد يقتضى أمرين ، لابد منهما ، وإليهما ترجع معانى القرآن كله : أحدهما بيان العبادة التى دعى الخلق إليها ، والأخرى ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها وترددهم إليها ، فأما العبادة فتنقسم إلى نوعين ، وهما أصول العقائد وأحكام الأعمال ، وأما البواعث عليها فأمرين ، وهما الترغيب والترهيب ، وأما على التفصيل فاعلم أنّ معانى القرآن سبعة : وهى علم الربوبية ، والنبوة ، والمعاد ، والأحكام ، والوعد ، والوعيد والقصص . فأما علم الربوبية : فمنه إثبات وجود البارى جل جلاله ، والاستدلال عليه بمخلوقاته ، فكل ماجاء فى القرآن من التنبيه على المخلوقات ، والاعتبار فى خلقة الأرض والسموات ، والحيوان والنبات ، والريح والأمطار ، والشمس والقمر ، والليل والنهار ، وغير ذلك من الموجودات ، فهو دليل على خالقه ، ومنه إثبات الوحدانية ، والرد على المشركين ، والتعريف بصفات الله : من الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر ، وغير ذلك من أسمائه وصفاته ، والتنزيه عما لا يليق به . وأما النبوة : فإثبات نبوة الأنبياء عليهم السلام على العموم ، ونبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الخصوص ، وإثبات الكتب التى أنزلها الله عليهم ، ووجود الملائكة الذين

كان منهم وسائط بين الله وبينهم ، والردّ على من كفر بشيء من ذلك ، وينخرط فى سلك هذا ما ورد فى القرآن من تأنيس النبي صلى الله عليه وسلم وكرامته والثناء عليه ، وسائر الأنبياء صلى الله عليه وعليهم أجمعين . وأما المعاد فإثبات الحشر ، وإقامة البراهين ، والردّ على من خالف فيه ، وذكر ما فى الدار الآخرة من الجنة والنار ، والحساب والميزان ، وصحائف الأعمال وكثرة الأهوال ، ونحو ذلك . وأما الأحكام : فهى الأوامر والنواهى وتنقسم خمسة أنواع : واجب ، ومندوب ، وحرام ، ومكروه ، ومباح . ومنها ما يتعلق بالأبدان : كالصلاة والصيام ، وما يتعلق بالأموال كالزكاة ، وما يتعلق بالقلوب كالإخلاص والخوف والرجاء وغير ذلك . وأما الوعد : فمنه وعد بخير الدنيا من النصر والظهور وغير ذلك ، ومنه وعد بخير الآخرة وهو الأكثر كأوصاف الجنة ونعيمها . وأما الوعيد : فمنه تخويف بالعقاب فى الدنيا ، ومنه تخويف بالعقاب فى الآخرة وهو الأكثر : كأوصاف جهنم وعذابها ، وأوصاف القيامة وأهوالها ، وتأمل القرآن تجد الوعد مقرونا بالوعيد ، قد ذكر أحدهما على أثر ذكر الآخر ، ليجمع بين الترغيب والترهيب ، وليتبين أحدهما بالآخر ، كما قيل « فبضدها تتبين الأشياء » وأما القصص : فهو ذكر أخبار الأنبياء المتقدمين وغيرهم كقصة أصحاب الكهف ، وذى القرنين . فإن قيل : ما الحكمة فى تكرار قصص الأنبياء فى القرآن . فالجواب من ثلاثة أوجه الأول أنه ربما ذكر فى سورة من أخبار الأنبياء مالم يذكره فى سورة أخرى ، ففى كل واحدة منهما فائدة زائدة على الأخرى : الثانى أنه ذكرت أخبار الأنبياء فى مواضع على طريقة الإطناب ، وفى مواضع على طريقة الإيجاز ، لتظهر فصاحة القرآن فى الطريقتين . الثالث أن أخبار الأنبياء قصد بذكرها مقاصد فتعدد ذكرها بتعدد تلك المقاصد ، فمن المقاصد بها إثبات نبوة الأنبياء المتقدمين بذكر ما جرى على أيديهم من المعجزات ، وذكر إهلاك من كذبهم بأنواع من المهالك . ومنها إثبات النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلم من أحد . وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى (ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) ومنها إثبات الوحدانية . ألا ترى أنه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة قال (فما أغنت عنهم آلهتهم اللاتى يدعون من دون الله من شيء) ومنها الاعتبار فى قدرة الله وشدة عقابه لمن كفر . ومنها تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه له بالتأسى بمن تقدم من الأنبياء : كقوله (ولقد كذبت رسل من قبلك) ومنها تسليته عليه السلام ووعده بالنصر كما نصر الأنبياء الذين من قبله . ومنها تخويف الكفار بأن يعاقبوا كما عوقب الكفار الذين من قبلهم ، إلى غير ذلك مما احتوت عليه أخبار الأنبياء من العجائب والمواعظ واحتجاج الأنبياء . وردهم على الكفار وغير ذلك . فلما كانت أخبار الأنبياء تفيد فوائد كثيرة : ذكرت فى مواضع كثيرة . ولكل مقام مقال

الباب الرابع : فى فنون العلم التى تتعلق بالقرآن . اعلم أن الكلام على القرآن يستدعى الكلام فى اثنى عشر فناً من العلوم ، وهى : التفسير ، والقراءات ، والأحكام ، والنسخ ، والحديث ، والقصص ، والتصوف ، وأصول الدين ، وأصول الفقه : واللغة ، والنحو ، والبيان . فأما التفسير فهو المقصود بنفسه وسائر هذه الفنون أدوات تعين عليه أو تتعلق به أو تتفرع منه ، ومعنى التفسير شرح القرآن وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو نجواه . واعلم أن التفسير منه متفق عليه ومختلف فيه ، ثم إن المختلف فيه على ثلاثة أنواع : الأول : اختلاف فى العبارة ، مع اتفاق فى المعنى : فهذا عده كثير من المؤلفين خلافا ، وليس فى الحقيقة بخلاف لاتفاق معناه ، وجعلناه نحن قولا واحدا ، وعبرنا عنه بأحد عبارات المتقدمين ، أو بما يقرب منها ،

أو بما يجمع معانيها . الثانى اختلاف فى التمثيل لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد ، وليس مثال منها على خصوصه هو المراد ، وإنما المراد المعنى العام التى تندرج تلك الأمثلة تحت عمومه فهذا عدّه أيضا كثير من المؤلفين خلافا ، وليس فى الحقيقة بخلاف ؛ لأنّ كل قول منها مثال ، وليس بكل المراد ، ولم نعده نحن خلافا : بل عبرنا عنه بعبارة عامّة تدخل تلك تحتها ، وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل مع التنبيه على العموم المقصود . الثالث : اختلاف المعنى ؛ فهذا هو الذى عددناه خلافا ، ورجحنا فيه بين أقوال الناس حسبما ذكرناه فى خطبة الكتاب ؛ فإن قيل : ما الفرق بين التفسير والتأويل ؛ فالجواب أن فى ذلك ثلاثة أقوال : الأوّل أنهما بمعنى واحد . الثانى : أن التفسير للفظ ، والتأويل للمعنى . الثالث وهو الصواب : أن التفسير : هو الشرح ، والتأويل : هوحمل الكلام على معنى غيرالمعنى الذى يقتضيه الظاهر بموجب اقتضى أن يحمل على ذلك ويخرج على ظاهره وأما القراءات : فإنها بمنزلة الرواية فى الحديث ، فلا بد من ضبطها كما يضبط الحديث بروايته ، ثم إن القراءات على قسمين : مشهورة . وشاذة . فالمشهورة : هى القراءات السبع وما جرى مجراها : كقراءة يعقوب . وابن محيصين . والشاذة ماسوى ذلك . وإنما بنينا هذا الكتاب على قراءة نافع لوجهين : أحدهما أنها القراءة المستعملة فى بلادنا بالأندلس وسائر بلاد المغرب . والأخرى اقتداء بالمدينة شرفها الله لأنها قراءة أهل المدينة . وقال مالك بن أنس : قراءة نافع سنة . وذكرنا من سائر القراءة مافيها فائدة فى المعنى والإعراب وغير ذلك . دون مالا فائدة فيه زائدة . واستغنينا عن استيفاء القراءات لكونها مذكورة فى الكتب المؤلفة فيها . وقد ألفنا فيها كتبا نفع الله بها . وأيضا فإنا لما عزمنا فى هذا الكتاب على الاختصار حذفنا منه مالا تدعو إليه الضرورة وقد ذكرنا فى هذه المقدمات بابا فى قواعد أصول القراءات . وأما أحكام القرآن فهى ماورد فيه من الأوامر والنواهى . والمسائل الفقهية . وقال بعض العلماء إن آيات الأحكام خمسمائة آية . وقد تنتهى إلى أكثر من ذلك إذا استقصى تتبعها فى مواضعها . وقد صنف الناس فى أحكام القرآن تصانيف كثيرة . ومن أحسن تصانيف المشارقة فيها : تأليف إسماعيل القاضى وابن الحسن كباه ومن أحسن تصانيف أهل الأندلس تأليف القاضى الإمام أبى بكر بن العربى والقاضى الحافظ بن محمد بن عبد المنعم ابن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس . وأما النسخ فهو يتعلق بالأحكام لأنها محل النسخ إذ لا تنسخ الأخبار ولا بدّ من معرفة ماوقع فى القرآن من الناسخ والمنسوخ ، والمحكم وهو مالم ينسخ ، وقد صنف الناس فى ناسخ القرآن ومنسوخه تصانيف كثيرة وأحسنها تأليف القاضى أبى بكر بن العربى . وقد ذكرنا فى هذه المقدمات بابا فى قواعد النسخ ، وذكر ماتقرر فى القرآن من المنسوخ ، وذكرنا سائره فى مواضعه ، وأما الحديث فيحتاج المفسر إلى روايته وحفظه لوجهين : الأوّل أنّ كثيرا من الآيات فى القرآن نزلت فى قوم مخصوصين ونزلت بأسباب قضايا وقعت فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم من الغزوات والنوازل والسؤالات ، ولا بدّ من معرفة ذلك ليعلم فيمن نزلت الآية وفيما نزلت ومتى نزلت فإنّ الناسخ يبنى على معرفة تاريخ النزول لأنّ المتأخر ناسخ للمتقدم . الثانى أنه ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم كثير من تفسير القرآن فيجب معرفته لأنّ قوله عليه السلام مقدم على أقوال الناس . وأما القصص فهى من جملة العلوم التى تضمنها القرآن فلا بد من تفسيره إلا أنّ الضرورى منه مايتوقف التفسير عليه . وما سوى ذلك زائد مستغنى عنه وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القصص الصحيح وغير الصحيح . حتى أنهم ذكروا منه مالا يجوز ذكره مما فيه تقصير بمنصب

الأنبياء عليهم السلام أوحكاية مايجب تنزيههم عنه . وأما نحن فاقتصرنا فى هذا الكتاب من القصص على مايتوقف التفسير عليه وعلى ماورد منه فى الحديث الصحيح . وأما التصوف فله تعلق بالقرآن . لما ورد فى القرآن من المعارف الإلهية ورياضة النفوس . وتنوير القلوب . وتطهيرها باكتساب الأخلاق الحميدة . واجتناب الأخلاق الذميمة . وقد تكلمت المتصوفة فى تفسير القرآن . فنهم من أحسن وأجاد . ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعانى . ووقف على حقيقة المراد . ومنهم من توغل فى الباطنية وحمل القرآن على مالا تقتضيه اللغة العربية . وقد جمع أبوعبدالرحمن السلمى كلامهم فى التفسير فى كتاب سماه «الحقائق» وقال بعض العلماء . بل هى البواطل . وإذا انتصفنا قلنا فيه حقائق وبواطل . وقد ذكرنا هذا فى كتاب مايستحسن من الإشارات الصوفية . دون مايعترض أو يقدح فيه . وتكلمنا أيضا على اثنى عشر مقاما من مقام التصوف فى مواضعها من القرآن : فتكلمنا على الشكر فى أم القرآن . لما بين الحمد والشكر من الاشتراك فى المعنى . وتكلمنا على التقوى فى قوله تعالى فى البقرة «هدى للمتقين» وعلى الذكر فى قوله فيها «فاذكرونى أذكركم» وعلى الصبر فى قوله تعالى «وبشر الصابرين» وعلى التوحيد فى قوله فيها «وإلهكم إله واحد» وعلى محبة الله فى قوله فيها «والذين آمنوا أشد حبا لله» وعلى التوكل فى قوله فى آل عمران «فإذا عزمت فتوكل على الله» وعلى المراقبة فى قوله فى النساء «إن الله كان عليكم رقيبا» وعلى الخوف والرجاء فى قوله فى الأعراف «وادعوه خوفا وطمعا» وعلى التوبة فى قوله فى النور «وتوبوا إلى الله جميعا» وعلى الإخلاص فى قوله فى لم يكن «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين» وأما أصول الدين فيتعلق بالقرآن من طرفين : أحدهما : ماورد فى القرآن من إثبات العقائد وإقامة البراهين عليها . والرد على أصناف الكفار . والآخر : أن الطوائف المختلفة من المسلمين تعلقوا بالقرآن وكل طائفة منهم تحتج لمذهبها بالقرآن وترد على من خالفها . وتزعم أنه خالف القرآن . ولاشك أن منهم المحق والمبطل . فمعرفة تفسير القرآن أن توصل فى ذلك إلى التحقيق مع التشديد والتأييد من الله والتوفيق . وأما أصول الفقه فإنها من أدوات تفسير القرآن . على أن كثيرا من المفسرين لم يشتغلوا بها . وإنها لنعم العون على فهم المعانى وترجيح الأقوال . وماأحوج المفسر إلى معرفة النص . والظاهر . والمجمل . والمبين . والعام . والخاص . والمطلق . والمقيد . وفحوى الخطاب . ولحن الخطاب . ودليل الخطاب . وشروط النسخ . ووجوه التعارض . وأسباب الخلاف . وغير ذلك من علم الأصول . وأما اللغة فلابد للمفسر من حفظ ماورد فى القرآن منها . وهى غريب القرآن وهى من فنون التفسير . وقد صنف الناس فى غريب القرآن تصانيف كثيرة . وقد ذكرنا بعد هذه المقدمة : مقدمة فى اللغات الكثيرة الدوران فى القرآن . لئلا نحتاج أن نذكرها حيث وقعت فيطول الكتاب بكثرة تكرارها . وأما النحو فلابد للمفسر من معرفته . فإن القرآن نزل بلسان العرب فيحتاج إلى معرفة اللسان . والنحو ينقسم إلى قسمين : أحدهما عوامل الإعراب . وهى أحكام الكلام المركب . والآخر التصريف وهى أحكام الكلمات من قبل تركيبها . وقد ذكرنا فى هذا الكتاب من إعراب القرآن مايحتاج إليه من المشكل والمختلف . أومايفيد فهم المعنى . أو مايختلف المعنى باختلافه ولم نتعرض لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذى لايحتاج إليه إلا المبتدئ فإن ذلك يطول بغير فائدة كبيرة . وأما علم البيان : فهو علم شريف تظهر به فصاحة القرآن . وقد ذكرنا منه فى هذا الكتاب فوائد فائقة . ونكت مستحسنة رائقة . وجعلنا فى المقدمات بابا فى أدوات البيان

ليفهم به ما يرد منها مفرقا فى مواضعه من القرآن

الباب الخامس : فى أسباب الخلاف بين المفسرين . والوجوه التى يرجح بها بين أقوالهم . فأما أسباب الخلاف فهى اثنى عشر : الأول اختلاف القرآن . الثانى اختلاف وجوه الإعراب وإن اتفقت القراءات . الثالث اختلاف اللغويين فى معنى الكلمة . الرابع اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر . الخامس احتمال العموم والخصوص . السادس احتمال الإطلاق أو التقييد . السابع احتمال الحقيقة أو المجاز . الثامن احتمال الإضمار أو الاستقلال . التاسع احتمال الكلمة زائدة. العاشر احتمال حمل الكلام على الترتيب وعلى التقديم والتأخير . الحادى عشر احتمال أن يكون الحكم منسوخا أو محكما . الثانى عشر اختلاف الرواية فى التفسير عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعن السلف رضى الله عنهم . وأما وجوه الترجيح فهى اثنى عشر . الأول تفسير بعض القرآن ببعض فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال . الثانى حديث النبى صلى الله عليه وسلم : فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شىء من القرآن عولنا عليه . لاسيما إن ورد فى الحديث الصحيح . الثالث أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين : فإن كثرة القائلين بالقول يقتضى ترجيحه . الرابع أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة . وعبد الله بن عباس . لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل» الخامس أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب أو التصريف أو الاشتقاق . السادس أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ماقبله أو مابعده . السابع أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه الثامن تقديم الحقيقة على المجاز . فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الاصوليين . وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله حتى يكون أغلب استعمالا من الحقيقة ويسمى مجازا راجحا والحقيقة مرجوحة . وقد اختلف العلماء أيهما يقدم : فمذهب أبى حنيفة تقديم الحقيقة ؛ لأنها الأصل ومذهب أبى يوسف تقديم المجاز الراجح ؛ لرجحانه . وقد يكون المجاز أفصح وأبرع فيكون أرجح . التاسع تقديم العمومى على الخصوصى ؛ فإن العمومى أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص . العاشر تقديم الإطلاق على التقييد ، إلا أن يدل دليل على التقييد . الحادى عشر تقديم الاستقلال على الإضمار إلا أن يدل دليل على الإضمار . الثانى عشر حمل الكلام على ترتيبه إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير

الباب السادس : فى ذكر المفسرين . اعلم أن السلف الصالح انقسموا إلى فرقتين : فمنهم من فسر القرآن وتكلم فى معانيه . وهم الأكثرون . ومنهم من توقف عن الكلام فيه احتياطا لما ورد من التشديد فى ذلك . فقد قالت عائشة رضى الله عنها : ماكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من القرآن الآيات إلا بعد علمه إياهن من جبريل . وقال صلى الله عليه وسلم : من قال فى القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ . وتأول المفسرون حديث عائشة رضى الله عنها بأنه فى مغيبات القرآن التى لا تعلم إلا بتوقيف من الله تعالى . وتأول الحديث الآخر بأنه فيمن تكلم فى القرآن بغير علم ولا أدوات ؛ لا فيمن تكلم فيما تقتضيه أدوات العلوم ونظر فى أقوال العلماء المتقدمين ؛ فإن هذا لم يقل فى القرآن برأيه . واعلم أن المفسرين على طبقات ؛ فالطبقة الأولى : الصحابة رضى الله عنهم . وأكثرهم كلاما فى التفسير ابن عباس . وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه يثنى على تفسير ابن عباس . ويقول : كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق . وقال ابن عباس

ماعندى من تفسير القرآن فهو عن علىّ بن أبى طالب . ويتلوهما عبد الله بن مسعود . وأبىّ بن كعب . وزيد ابن ثابت . وعبد الله بن عمر بن الخطاب . وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وكلما جاء من التفسير عن الصحابة فهو حسن . والطبقة الثانية : التابعون . وأحسنهم كلاما فى التفسير الحسن بن الحسن البصرى . وسعيد بن جبير ومجاهد مولى ابن عباس . وعلقمة صاحب عبد الله بن مسعود . ويتلوهم : عكرمة . وقتادة . والسدّى . والضحاك ابن مزاحم . وأبو صالح . وأبو العالية . ثم حمل تفسير القرآن عدول كل خلف ، وألف الناس فيه : كالمفضل . وعبد الرزاق . وعبد بن حميد . والبخارى . وعلى بن أبى طلحة . وغيرهم . ثم إن محمد بن جرير الطبرى جمع أقوال المفسرين وأحسن النظر فيها . وممن صنف فى التفسير أشياء : أبو بكر النقاش . والثعلبى . والماوردى . إلا أن كلامهم يحتاج إلى تنقيح . وقد استدرك الناس على بعضهم . وصنف أبو محمد بن قتيبة فى غريب القرآن ومشكله وكثير من علومه وصنف فى معانى القرآن جماعة من النحويين : كأبى إسحق الزجاج ، وأبى على الفارسى ، وأبى جعفر النحاس . وأما أهل المغرب والأندلس فصنف القاضى منذر بن سعيد البلوطى كتابا فى غريب القرآن وتفسيره . ثم صنف المقرئ أبو محمد مكى بن أبى طالب كتاب الهداية فى تفسير القرآن . وكتابا فى غريب القرآن . وكتابا فى ناسخ القرآن ومنسوخه . وكتابا فى إعراب القرآن . إلى غير ذلك من تآليفه . فإنها نحو ثمانين تأليفا : أكثرها فى علوم القرآن والقراءات والتفسير وغير ذلك . وأما أبو عمرو الدانى فتآليفه تنيف على مائة وعشرين . إلا أن أكثرها فى القرآن . ولم يؤلف فى التفسير إلا قليلا . وأما أبو العباس المهدى فمتقن التآليف . حسن الترتيب . جامع لفنون علوم القرآن : ثم جاء القاضيان أبو بكر بن العربى وأبو محمد عبد الحق بن عطية . فأبدع كل واحد وأجمل . واحتفل وأكمل . فأما ابن العربى فصنف كتاب «أنوار الفجر» فى غاية الاحتفال والجمع لعلوم القرآن : فلما تلف تلافاه بكتاب «قانون التأويل» إلا أنه اخترمته المنية قبل تخليصه وتلخيصه . وألف فى سائر علوم القرآن تآليفا مفيدة وأما ابن عطية فكتابه فى التفسير أحسن التآليف وأعدلها . فإنه اطلع على تآليف من كان قبله فهذبها ولخصها . وهو مع ذلك حسن العبارة . مسدد النظر : محافظ على السنة . ثم ختم علم القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير . فلقد قطع عمره فى خدمة القرآن وآتاه الله بسطة فى علمه . وقوة فى فهمه . وله فيه تحقيق . ونظر دقيق . ومما بأيدينا من تآليف أهل المشرق تفسير ابن القاسم الزمخشرى فمسدد النظر بارع فى الإعراب متقن فى علم البيان . إلا أنه ملأ كتابه من مذهب المعتزلة وشرهم . وحمل آيات القرآن على طريقتهم . فتكدر صفوه . وتمرر حلوه . فخذ منه ماصفا ودع ما كدر . وأما القرنوى فكتابه مختصر . وفيه من التصوف نكت بديعة . وأما ابن الخطيب فتضمن كتابه مافى كتاب الزمخشرى وزاد عليه إشباع فى قواعد علم الكلام . ونمقه بترتيب المسائل . وتدقيق النظر فى بعض المواضع . وهو على الجملة كتاب كبير الجرم . ربما يحتاج إلى تلخيص ، والله ينفع الجميع بخدمة كتابه . ويجزيهم أفضل ثوابه

الباب السابع فى الناسخ والمنسوخ : النسخ فى اللغة : هو الإزالة والنقل . ومعناه فى الشريعة : رفع الحكم الشرعى بعد ما نزل ، ووقع فى القرآن على ثلاثة أوجه : الأول نسخ اللفظ والمعنى كقوله (لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم) الثانى نسخ اللفظ دون المعنى كقوله (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم) الثالث نسخ المعنى دون اللفظ وهو كثير وقع منه فى القرآن على ما عدّ بعض العلماء

مائتا موضع وثلثا عشرة مواضع منسوخة ، إلا أنهم عدوا التخصيص والتقييد نسخا ، والاستثناء نسخا ، وبين هذه الأشياء وبين النسخ : فروق معروفة ، وسنتكلم على ذلك فى مواضعه . ونقدم هنا ماجاء من نسخ مسالمة الكفار والعفو عنهم والإعراض والصبر على أذاهم ، بالأمر بقتالهم ليغنى ذلك عن تكراره فى مواضعه ، فإنه وقع منه فى القرآن مائة آية وأربع عشرة آية من أربع وخمسين آية ، فى البقرة (وقولوا للناس حسنا) (ولنا أعمالنا) (ولا تعتدوا) أى لا تبدءوا بالقتال (ولا تقاتلوهم) (قل قتال) (لا إكراه) وفى آل عمران (فإنما عليك البلاغ) (منهم تقاة) وفى النساء (فأعرض عنهم) فى موضعين (فما أرسلناك عليهم حفيظا) (لا تكلف إلا نفسك) (إلا الذين يصلون) وفى المائدة (ولا آمين) (عليك البلاغ) (عليكم أنفسكم) وفى الأنعام (لست عليكم بوكيل) (ثم ذرهم) (عليكم بحفيظ) (وأعرض) (عليهم حفيظا) (ولا تسبوا) فذرهم فى موضعين (ياقوم اعملوا) (قل انظروا) (لست منهم فى شىء) وفى الأعراف (فأعرض) (وأملى لهم) وفى الأنفال (وإن استنصروكم) يعنى المجاهدين . وفى التوبة (فاستقيموا لهم) وفى يونس (فانتظروا) (فقل لى عملى) (وإما نرينك) (ولا يحزنك قولهم) لما يقتضى من الإمهال (أفأنت تكره) (فمن اهتدى) لأن معناه الإمهال (واصبر) وفى هود (إنما أنت نذير) أى تنذر ولا تجبر (اعملوا على مكانتكم) (انتظروا) وفى الرعد (عليك البلاغ) وفى النحل (إلا البلاغ) (عليك البلاغ) (وجادلهم) (واصبر) وفى الإسراء (ربكم أعلم بكم) وفى مريم (فأنذرهم) (فليمدد) (ولا تعجل) وفى طه (قل كل متربص) وفى الحج (وإن جادلوك) وفى المؤمنين (فذرهم) (ادفع) وفى النور (فإن تولوا) (وما على الرسول إلا البلاغ) وفى النمل (فمن اهتدى) وفى القصص (لنا أعمالنا) وفى العنكبوت (أنا نذير) لما يقتضى من عدم الإجبار ، وفى الروم (فاصبر) وفى لقما ، (ومن كفر) وفى السجدة (فانظروا) وفى الأحزاب (ودع أذاهم) وفى سبأ (قل لا تسألون) وفى فاطر (إن أنت إلا نذير) وفى يس (فلا يحزنك) وفى الصافات (فتول) و(تول) ومايليهما ، وفى ص (اصبر) (أنا نذير) وفى الزمر (إنّ الله يحكم بينهم) لما فيه من الإمهال (فاعبدوا ماشئتم) (ياقوم اعملوا) (فمن اهتدى) (أنت تحكم) لأنّ فيه تفويضا ، وفى المؤمن (فاصبر) فى موضعين ، وفى السجدة (ادفع) وفى الشورى (وما أنت عليهم بوكيل) (لنا أعمالنا) (فإن أعرضوا) وفى الزخرف (فذرهم) (واصفح) وفى الدخان (فارتقب) وفى الجاثية (يغفروا) وفى الأحقاف (فاصبر) وفى القتال (فإما منا) وفى ق (فاصبر) (وما أنت) وفى الذاريات (فتول) وفى الطور (قل تربصوا) (واصبر) (فذرهم) وفى النجم (فأعرض) وفى القمر (فتول) وفى ن (فاصبر) (سنستدرجهم) وفى المعارج (فاصبر) (فذرهم) وفى المزمل (واهجرهم) (وذرنى) وفى المدثر (ذرنى) وفى الإنسان (فاصبر) وفى الطارق (فمهل الكافرين) وفى الغاشية (لست عليهم بمصيطر) وفى الكافرين (لكم دينكم) نسخ ذلك كله : (اقتلوا المشركين) ، و(كتب عليكم القتال)

الباب الثامن فى جوامع القراءة ، وهو على نوعين : مشهورة ، وشاذة ، فالمشهورة القراءات السبع ، وهو حرف نافع المدنى . وابن كثير المكى ، وأبو عمر بن العلاء البصرى ، وابن عامر الشامى ، وعاصم ، وابن حمزة والكسائى الكوفيين . ويجرى مجراهم فى الصحة والشهرة : يعقوب الحضرى بن محيصن ، ويزيد بن القعقاع . والشاذة ماسوى ذلك ، وإنما سميت شاذة لعدم استقامتها فى النقل ، وقد تكون فصيحة اللفظ ، أو قوية المعنى . ولا يجوز أن يقرأ بحرف إلا بثلاث شروط : موافقته لمصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وموافقته لكلام العرب ولو على بعض الوجوه أو فى بعض اللغات ، ونقله نقلا متواترا أو مستفيضا

واعلم أنّ اختلاف القرّاء على نوعين : أصول ، وفرش الحروف . فأما الفرش : فهو مالا يرجع إلى أصل مضطرد ، ولا قانون كلى ، وهو على وجهين : اختلاف فى القراءة باختلاف المعنى ، وباتفاق المعنى . وأما الأصول : فالاختلاف فيها لا يغير المعنى . وهى ترجع إلى ثمان قواعد : الأولى : الهمزة ، وهى فى حروف المد الثلاث ، ويزاد فيها على المد الطبيعى بسبب الهمزة والتقاء الساكنين . الثانية وأصله التحقيق ثم قد يحقق على سبعة أوجه : إبدال واو أو ياء أو ألف وتسهيل بين الهمزة والواو ، وبين الهمزة والياء ، وبين الهمزة والألف ، وإسقاط . الثالثة : الإدغام ، والإظهار ، والأصل الإظهار ، ثم يحدث الإدغام فى المثلين ، أو المتقاربين وفى كلمة ، وفى كلمتين ، وهو نوعان : إدغام كبير انفرد به أبو عمرو : وهو إدغام المتحرك . وإدغام صغير لجميع القرّاء : وهو إدغام الساكن . الرابعة : الإمالة ، وهى أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة . وبالألف نحو الياء ، والأصل الفتح ، ويوجب الإمالة الكسرة والياء . الخامسة : الترقيق والتفخيم ، والحروف على ثلاثة أقسام يفخم فى كل حال ، وهى حروف الاستعلاء السبعة ؛ ومفخم تارة ومرقق أخرى وهى الراء واللام والألف فأما الراء فأصلها التفخيم وترقق للكسر والياء ، وأما اللام فأصلها الترقيق وتفخم لحروف الإطباق ، وأما الألف فهى تابعة للتفخيم والترقيق لما قبلها ، والمرقق على كل حال سائر الحروف . السادسة : الوقف ، وهو على ثلاثة أنواع : سكون جائز فى الحركات الثلاثة ، وروم فى المضموم والمكسور ، وإشمام فى المضموم خاصة . السابعة : مراعاة الخط فى الوقف . الثامنة : إثبات الياءات وحذفها

الباب التاسع فى الوقف ، وهى أربعة أنواع : وقف تام ، وحسن ، وكاف ، وقبيح ، وذلك بالنظر إلى الإعراب ، والمعنى فإن كان الكلام مفتقراً إلى مابعده فى إعرابه أو معناه ، وما بعده مفتقراً إليه كذلك : لم يجز إليه الفصل بين كل معمول وعامله ، وبين كل ذى خبر وخبره ، وبين كل ذى جواب وجوابه . وبين كل ذى موصول وصلته ، وإن كان الكلام الأول مستقلا يفهم دون الثانى ؛ إلا أن الثانى غير مستقل إلا بما قبله ، فالوقف على الأول كاف ، وذلك فى التوابع والفضلات : كالحال ، والتمييز ، والاستثناء وشبه ذلك إلا أنّ وصل المستثنى المتصل آكد من المنقطع ووصل التوابع والحال إذا كانت أسماء مع ذات آكد من وصلها إذا كانت جملة ، وإن كان الكلام مستقلا والثانى كذلك ، فإن كانا فى قصة واحدة فالوقف على الأول حسن ، وإن كانا فى قصتين مختلفتين فالوقف تام . وقد يختلف الوقف باختلاف الإعراب أو المعنى ، وكذلك اختلف الناس فى كثير من الوقف من أقوالهم فيها : راجح ، ومرجوح ، وباطل ، وقد يقف لبيان المراد وإن لم يتم الكلام ﴿تنبيه﴾ هذا الذى ذكرنا من رعى الإعراب والمعنى فى المواقف : استقرّ عليه العمل ، وأخذ به شيوخ المقرئين ، وكان الأوائل يراعون رؤس الآيات فيقفون عندها لأنها فى القرآن كالفقر فى النثر والقوافى فى الشعر ، ويؤكد ذلك ما أخرجه الترمذى عن أمّ سلمة رضى الله عنها أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع قراءته يقول : الحمد لله رب العالمين ثم يقف ، الرحمن الرحيم ثم يقف

الباب العاشر : فى الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان ، أما الفصاحة فلها خمسة شروط : الأول أن تكون الألفاظ عربية لا مما أحدثه المولدون ولا مما غلطت فيه العامة ، الثانى أن تكون من الألفاظ المستعملة لا من الوحشية المستثقلة ، الثالث أن تكون العبارة واقعة على المعنى موفية له ؛ لا قاصرة عنه ، الرابع أن تكون العبارة سهلة سالمة من التعقيد . الخامس : أن يكون الكلام سالما من الحشو الذى لا يحتاج إليه ، وأما البلاغة

فهى سياق الكلام على مايقتضيه الحال والمقال من الإيجاز والإطناب ، ومن التهويل والتعظيم والتحقير ، ومن التصريح والكناية والإشارة وشبه ذلك ، بحيث يهز النفوس ويؤثر فى القلوب ، ويقود السامع إلى المراد أو يكاد ، وأما أدوات البيان : فهى صناعة البديع ، وهو تزيين الكلام كما يزين العلم الثوب ، وقد وجدنا فى القرآن منها اثنين وعشرين نوعا ، ونبهنا على كل نوع فى المواضع التى وقع فيها من القرآن وقد ذكرنا هنا أسماءها ونبين معناه ، الأول المجاز : وهو اللفظ المستعمل فى غير مواضع له لعلاقة بينهما ، وهو اثنا عشر نوعا : التشبيه والاستعارة ، والزيادة ، والنقصان ، وتشبيه المجاور باسم مجاوره ، والملابس باسم ملابسه ، والكل ، وإطلاق اسم الكل على البعض ، وعكسه ، والقسمية باعتبار مايستقبل ، والتسمية باعتبار مامضى ، وفى هذا خلاف هل هو حقيقة أو مجاز ، واتفق أهل علم اللسان وأهل الأصول على وقوع المجاز فى القرآن لأن القرآن نزل بلسان العرب وعادة فصحاء العرب استعمال المجاز ، ولا وجه لمن منعه ؛ لأن الواقع منه فى القرآن أكثر من أن يحصى . الثانى الكناية : وهى العبارة عن الشىء فيما يلازمه من غير تصريح . الثالث الالتفات : وهو على ستة أنواع : خروج من التكلم إلى الخطاب أو الغيبة ، وخروج من الخطاب إلى التكلم أو الغيبة ، وخروج من الغيبة إلى التكلم أو الخطاب . الرابع التجديد : وهو ذكر شىء بعد اندراجه فى لفظ عام متقدم ، والقصد بالتجديد تعظيم المجدد ذكره أو تحقيره ، أو رفع الاحتمال . الخامس الاعتراض : وهو إدراج كلام بين شيئين متلازمين : كالخبر والمخبر عنه ، والصفة والموصوف ، والمعطوف والمعطوف عليه ، وإدخاله فى أثناء كلام متصل . والقصد به تأكيد الكلام الذى أدرج فيه . السادس التجنيس : وهو اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى ، ثم الاتفاق قد يكون فى الحروف والصيغة ، أو فى الحروف خاصة ، أو فى أكثر الحروف لافى جميعها ، أو فى الخط لافى اللفظ ، وهو تجنيس التصحيف . السابع الطباق : وهو ذكر الأشياء المتضادة كالسواد والبياض والحياة والموت ، والليل والنهار ، وشبه ذلك . الثامن المقابلة ، وهو أن يجمع بين شيئين فصاعدا ثم يقابلهما بأشياء أخر . التاسع المشاكلة : وهى أن تذكر الشىء بلفظ آخر لوقوعه فى صحبته . العاشر الترديد : وهو ردّ الكلام على آخره ويسمى فى الشعر ردّ العجز على الصدر . الحادى عشر لزوم مالا يلزم : وهو أن تلتزم قبل حروف الروىّ حرفا آخر ، وكذلك عند رؤوس الآيات . الثانى عشر القلب : وهو أن يكون الكلام يصلح ابتداء قراءته من أوله وآخره نحو دعد أو تعكس كلماته فتقدم المؤخر منها وتؤخر المقدم . الثالث عشر التقسيم : وهو أن تقسم المذكور إلى أنواعه أو أجزائه . الرابع عشر التتميم : وهو أن تزيد فى الكلام مايوضحه ويؤكده وإن كان مستقلا دون هذه الزيادة . الخامس عشر التكرار : وهو أن تضع الظاهر موضع المضمر ، فتكرر الكلمة على وجه التعظيم أو التهويل ، أو مدح المذكور أو ذمه أو للبيان . السادس عشر التهكم : وهو إخراج الكلام عن مقتضاه استهزاء بالمخاطب أو بالخبر ، كذلك البشارة فى موضع النذارة . السابع عشر اللف والنشر وهو أن تلف فى الذكر شيئين فأكثر ، ثم تذكر متعلقات بها ، وفيه طريقتان : أن تبدأ فى ذكر المتعلقات بالأول ، وأن تبدأ بالآخر . الثامن عشر الجمع : وهو أن تجمع بين شيئين فأكثر فى خبر واحد ، وفى وصف واحد وشبه ذلك . التاسع عشر الترصيع : وهو أن تكون الألفاظ فى آخر الكلام مستوفية الوزن ، أو متقاربة مع الألفاظ التى فى أوله . العشرون التشجيع : وهو أن يكون كلمات الآى على روىّ واحد . الحادى والعشرون الاستطراد : وهو أن يتطرق من كلام إلى كلام آخر بوجه يصل ماينهما ، ويكون الكلام الثانى

هو المقصود : كخروج الشاعر من السب إلى المدح بمعنى يتعلق بالطرفين ، مع أنه قصد المدح . الثانى والعشرون المبالغة : وقد تكون بصيغة الكلمة نحو صيغة فعال ومفعال وقد تكون بالمبالغة فى الإخبار أو الوصف ، فإن اشتدت المبالغة فهو غلو وإغراب ، وذلك مستكره عند أهل هذا الشأن

الباب الحادى عشر : فى إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند الله عزوجل ، ويدل على ذلك عشرة أوجه : الأول فصاحته التى امتاز بها عن كلام المخلوقين . الثانى نظمه العجيب وأسلوبه الغريب من قواطع آياته وفواصل كلماته . الثالث عجز المخلوقين فى زمان نزوله وبعد ذلك إلى الآن عن الإتيان بمثله . الرابع ما أخبر فيه من أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم تعلم ذلك ولاقرأه فى كتاب . الخامس ما أخبر فيه من الغيوب المستقبلة فوقعت على حسب ماقال . السادس مافيه من التعريف بالبارى جل جلاله ، وذكر صفاته وأسمائه ، وما يجوز عليه ، وما يستحيل عليه ، ودعوة الخلق إلى عبادته وتوحيده ، وإقامة البراهين القاطعة ، والحجج الواضحة . والرد على أصناف الكفار ، وذلك كله يعلم بالضرورة أنه لا يصل إليه بشر من تلقاء نفسه ، بل بوحى من العليم الخبير ، ولا يشك عاقل فى صدق من عرف الله تلك المعرفة وعظم جلاله ذلك التعظيم ودعا عباد الله إلى صراطه المستقيم . السابع ماشرع فيه من الأحكام وبين من الحلال والحرام ، وهدى إليه من مصالح الدنيا والآخرة ، وأرشد إليه من مكارم الأخلاق ، وذلك غاية الحكمة وثمرة العلوم . الثامن كونه محفوظا عن الزيادة والنقصان ، محروسا عن التغيير والتبديل على طول الزمان ، بخلاف سائر الكتب . التاسع تيسيره للحفظ وذلك معلوم بالمعاينة . العاشر كونه لايمله قارئه ولا سامعه على كثرة الترديد، بخلاف سائر الكلام

الباب الثانى عشر : فى فضل القرآن . وإنما نذكر منه ماورد فى الحديث الصحيح ، فمن ذلك ماورد عن أبى أمامة الباهلى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اقرؤا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه » وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذى يقرؤه ويتتعتع به وهو عليه شاق فله أجران » وعن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة : ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة : لاريح لها وطعمها طيب ، ومثل المنافق الذى الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة : ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة : ليس لها ريح وطعمها مر » وعن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم بعقلها » وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » فإن الله يرفع بهذا القرآن أقواما ويضع آخرين » وعن ابن عباس قال : بينما جبريل قاعد عند النبى صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه ، فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك : فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة » وعن أبى أمامة الباهلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اقرأوا البقرة فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة » وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان يفر

من البيت الذى يقرأ فيه سورة البقرة » وعن أبىّ بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم . قلت : الله لا إله إلا هو الحى القيوم . فضرب فى صدرى ، وقال ليهنك العلم يا أبا المنذر » وعن النواس بن سمعان قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران — وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال مانسيتهما بعد — قال وإنهما غمامتان أوظلتان سوداوان بينهما شرف أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما » وعن أبى الدرداء أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من حفظ عشر آيات من أوّل سورة الكهف عصم من الدجال » وعن أبى الدرداء أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سورة قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألم تر آيات أنزلت علىّ لم ير مثلهنّ قط : قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس

المقدمة الثانية : فى تفسير معانى اللغات

نذكر فى هذه المقدمة الكلمات التى يكثر دورها فى القرآن ، أو تقع فى موضعين فأكثر من الأسماء والأفعال والحروف ، وإنما جمعناها فى هذا الباب لثلاثة فوائد : أحدها تفسيرها للحفظ ؛ فإنها وقعت فى القرآن متفرقة فجمعها أسهل لحفظها ، والثانية ليكون هذا الباب كالأصول الجامعة لمعانى التفسير ؛ لما أن تآليف القرآن جمعت فيها الأصول المطردة والكثيرة الدور ، والثالثة : الاقتصار فنستغنى بذكرها هنا عن ذكرها فى مواضعها من القرآن خوف التطويل بتكرارها ، وربما نبهنا على بعضها للحاجة إلى ذلك ، ورتبناها فى هذا الكتاب على حروف المعجم ، فمن لم يجد تفسير كلمة فى موضعها من القرآن : فلينظر فى هذا الباب ، واعتبرنا فى هذا الحروف : الحرف الذى يكون فاء الكلمة وهو الأصلى دون الحروف الزائدة فى أوّل الكلمات

﴿حرف الهمزة﴾ (آية) لها معنيان أحدهما علامة وبرهان والثانى آية من القرآن ، وهى كلام متصل إلى الفاصلة ، والفواصل هى رؤس الآيات (أتى) بقصر الهمزة معناه جاء ، ومضارعه يأتى ، ومصدره إتيان ، واسم الفاعل منه آت ، واسم المفعول منه مأتى ، ومنه قوله تعالى آتى بمد الهمزة معناه أعطى ، ومضارعه يؤتى ، واسم الفاعل مؤت ، ومنه والمؤتون الزكاة (أبى) يأبى أى امتنع (أثر) الشىء بقيته وأمارته ، وجمعه آثار والأثر أيضا الحديث ، وأثارة من علم بقية ، وأثاروا الأرض حرثوها وأثر الرجل الشىء يؤثره فضله (إثم) ذنب ، ومنه آثم وأثيم أى مذنب (أجر) ثواب وبمعنى الأجرة ، ومنه استأجره وعلى أن تأجرنى ، وأما استجارك فأجره ويجركم من عذاب أليم ، ومن يجيرنى من الله ، وهو يجير ولا يجار عليه : فذلك كله من الجوار بمعنى التأمين (آمن) إيمانا أى صدق ، والإيمان فى اللغة التصديق مطلقا ، وفى الشرع التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والمؤمن فى الشرع المصدق بهذه الأمور ، والمؤمن اسم الله تعالى : أى المصدّق لنفسه وقيل إنه من الأمن : أى يؤمن أولياءه من عذابه ، وأمن بقصر الهمزة وكسر الميم أمنا وأمانة : ضد الخوف وأمن من الأمانة ، وأمّن غيره من التأمين (أليم) مؤلم أى موجع ومنه تألمون (إمام) له أربعة معان : القدوة والكتاب ، والطريق ، وجمع أمّ أى تابع ، وهى للمتقين إماما (أمّة) لها أربعة معان : الجماعة من الناس ، والدين

والحين ، والإمام أى القدوة (أمىّ) لايقرأ ولا يكتب ، ولذلك وصف العرب بالأميين (أم) لها معنيان الوالدة ، والأصل ، وأم القرى مكة (أخرى) مؤنثة آخر وآخر (آل) له معنيان الأهل ، ومنه آل لوط ، والأتباع والجنود ، ومنه آل فرعون (أمس) اليوم الذى قبل يومك والزمان الماضى (إناه) وقته وجمعه إنا ومنه آناء الليل (أمر) له معنيان : أحدهما طلب الفعل على الوجوب أو الندب أو الإباحة ، وقد تأتى صفة الأمر لغير الطلب ، والتهديد ، والتعجيز ، والتعجب ، والخبر ، والثانى بمعنى الشأن والصفة ، وقد يراد به العذاب ، ومنه جاء أمرنا (إسرائيل) هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام وهو والد الأسباط واليهود ذريتهم (إياب) رجوع ومنه مآب أى مرجع ، ورجل أواب كثير الرجوع إلى الله ، والتأويب التسبيح ، ياجبال أوبى (إفك) أشد الكذب ، والأفاك : الكذاب ، وأفك الرجل عن الشىء : أى صرف عنه ، ومنه تؤفكون (أوى) الرجل إلى الموضع بالقصر ، وآواه غيره بالمد ، ومنه المأوى (أف) كلمة شر (آلاء الله) نعمه ، ومنه آلاء ربكما (أسف) له معنيان : الحزن ، والغضب ، ومنه فلما آسفونا (أسوة) بكسر الهمزة وضمها قدوة (أسى) الرجل يأسى أسآ : أى حزن ، ومنه فلا تاس ، وكيف آسى (أذان) بالقصر إعلام بالشىء ومنه الأذان بالصلاة ، والآذان بالمد : جمع أذن (إذن الله) بمعنى العلم والإرادة والإباحة ، وأذنت بالشىء أعلمت به بكسر الذال ، وآذنت به غيرى بالمد (إصر) له معنيان ، الذنب ، والعهد (أيد) أى قوة ، ومنه أيدناه ، وبنيناها بأيد ، والأيدى جمع يد ، فهمزتها زائدة (أكل) بضم الهمزة اسم المأكول ، ويجوز فيه ضم الهمزة وإسكانها ، والأكل بضم الهمزة المصدر (أيلة) غيضة (أثاث) متاع البيت (أجاج) مر (أرائك) أسرة واحدها أريكة (آنية) له معنيان أحدهما جمع إناء ، ومنه آنية من فضة ، وشديدة الحر ، ومنه عين آنية ، ووزن الأولى أفعلة ، والثانية فاعلة ومذكرها آن (أحد) له معنيان واحد ، ومنه (الله أحد) واسم جنس بمعنى إنسان (أيان) معناه متى (أنى) بمعنى كيف ومتى و (أين) للحصر (إن) المكسورة المخففة أربعة أنواع شرطية ونافية وزائدة ومخففة من الثقيلة (أن) المفتوحة المخففة أربعة أنواع ·صدرية وزائدة ومخففة من الثقيلة وعبارة عن القول (إنما) نوعان ظرف زمان مستقبل ومعناها الشرط وقد تخلو عن الشرط ومجابة (إذا) لها معنيان : ظرف زمان ماضى وسببية للتقليل (أو) العاطفة لها خمسة معان : الشك ، والإبهام ، والإباحة ، والتخيير ، والناصبة للفعل بمعنى إلى أو إلا (أم) استفهامية وتديكون فيها معنى الإنكار والإضراب وتكون متصلة للمعادلة بين ماقبلها وما بعدها ومنفصلة عما قبلها (إما) المكسورة المشددة للتنويع ، والشك والتخيير ، وقد تكون مركبة من إن الشرطية وما الزائدة (إلا) المفتوحة المشددة أداة استثناء وتكون للإيجاب بعد غير الواجب ، وتكون مركبة من إن الشرطية ولا النافية (أىّ) المشددة سبعة أنواع : شرطية ، واستفهامية وموصولة ، ومنادى ، وصفة ، وظرفية إذا أضيفت إلى ظرف ، ومصدرية إذا أضيفت إلى مصدر (إى) المكسورة المخففة ومعناها التصديق (إلى) معناه انتهاء الغاية ، وقيل تكون بمعنى مع (الهمزة) للاستفهام ، والتقرير ، والتوبيخ ، والتسوية ، وللتكلم وأصلية ، وزائدة للبناء

﴿حرف الباء﴾ : (بارى) خالق ، ومنه البرية أى الخلق (بعث) له معنيان بعث الرسل وبعث الموتى من القبور (بسط) الله الرزق وسعه ومعنى قبض وقدر الرزق : أى ضيقه ، ومن أسماء الله تعالى : القابض والباسط ، وبسطة : زيادة (بشر) من البشارة وهى الإعلام بالخير قبل وروده ، وقد يكون للشر إذا ذكر

معها ، ويجوز فى الفعل التشديد والتخفيف ، ومنه المبشر والبشير ، واستبشر بالشيء فرح به (بعد)له معنيان : ضدّ القرب والفعل منه بعد بضم العين ، والهلاك والفعل منه بكسرها ومنه كما بعدت ثمود (بلاء) له معنيان : العذاب ، والاختبار ومنه أيضا ونبلوكم (برّ)له معنيان : الكرامة ومنه برّ الوالدين و : أن تبروهم ، والتقوى ، والجمع لخصال الخير ومنه : البرّ من اتقى ، ورجل بارّ وبرّ والجمع أبرار والبرّ من أسماء الله تعالى (بات) معروف ومصدره بيات وبيت الأمر دبره بالليل (بغتة) فجأة (بروج) جمع برج وهو الحصن ، وبروج السماء منازل الشمس والقمر (بين) ظرف وبين يدى الشيء ماتقدم قبله ، والبين الفراق والاجتماع لأنه من الأضداد (بينات) براهين من المعجزة وغيرها ومبينة من البيان (يبين) من البيان وله معنيان : بين غير متعد ، ومبين لغيره (بدا) يبدو بغير همز : ظهر ، وأبديته : أظهرته ، والبادى أيضا من البداية ، ومنه بادون فى الأعراب (بدأ) بالهمزة من الابتداء ويقال بدأ الخلق وأبدأه ، وقد جاء القرآن بالوجهين (بغى) له معنيان : العدوان على الناس ، والحسد ، والبغا بكسر الباء : الزنا ، ومنه امرأة بغىّ أى زانية ، وابتغاء الشيء وبغاه : أى طلبه (بث) الحديث وغيره نشره ، والمبثوث : المنتشر ، ومبثوثه متفرقة ، والبث الحزن الشديد ، ومنه أشكو بثى (بوّأ) أنزل الرجل ومنه بوّأكم فى الارض ، ولنبوّأنهم ، ومبوأ (بوار) هلاك ، ومنه قوما بورا أى هلكى (باء) بالشيء رجع به ، وقد يقال بمعنى اعترف (بأساء) الفقر والبؤس والشدة والمحنة ، والبائس : الفقير من البؤس ، والبأس : القتال والشجاعة ، والمكروه ، وبأس الله عذابه وبئس كلمة ذم (برزخ) شيء بين شيئين ، والبرزخ مابين الموت والقيامة (بديع) له معنيان جميل ، ومبدع أى خالق الشيء ابتداء (بسر) عبس ومنه : باسرة (بصير) من أبصر ، يقال : أبصرته وبصرته ، والبصائر البراهين جمع بصيرة (برز) ظهر ومنه : بارزة وبارزون (بطش) أخذ بشدّة (بخس) نقص (بعل) له معنيان زوج المرأة وجمعه بعولة ، والبعل أيضا الرب ، وقيل اسم صنم ، ومنه : أتدعون بعلا (بهجة) حسن ، وبهيج حسن (مبلسون) جمع مبلس وهو البائس ، وقيل الساكت الذى انقطعت حجته ، وقيل الحزين النادم منه يبلس ومنه اشتق إبليس (بهت) انقطعت حجته (تبارك) من البركة ، وهى الكثرة والنماء ، وقيل تقدّس (بلى) جواب يقتضى إثبات الشيء (بل) معناها الإضراب عما قبلها (الباء) للإلصاق ، ولنقل الفعل فى التعدى ، وللقسم ، وللتعليل ، وللمصاحبة ، وللاستعانة ، وظرفية وزائدة

﴿حرف التاء﴾ : (تلا) يتلو : له معنيان : قرأ ، واتبع (تقوى) مصدر مشتق من الوقاية فالتاء بدل من الواو : معناه الخوف والتزام طاعة الله وترك معاصيه ، فهو جامع لكل خير (تاب) يتوب رجع توبة وتوبا فهو فهو تائب ، وتواب : كثير التوبة ، وتواب : اسم الله تعالى : أى كثير التوبة على عباده ، وتاب الله على العبد : ألهمه التوبة وقبل توبته (تباب) خسران ، وتب : خسر (تبار) هلاك ، ومنه متبر (أترفوا) أنعموا ، والمترفون : المنعمون فى الدنيا

﴿حرف الثاء﴾ : (ثمود) قبيلة من العرب الأقدمين (ثوى) فى الموضع أقام فيه ومنه مثوى (ثبور) هلاك ، ومنه دعوا هنالك ثبورا أى صاحوا هلاكا (ثمر) مايؤكل مما تنبت الأرض ويقال بالفتح والضم (ثقفوا) أخذوا وظفر بهم ، ومنه فإمّا تثقفنهم فى الحرب (ثاقب) مضيء (ثَم) بالفتح ظرف ، وبالضم حرف عطف يقتضى الترتيب والمهلة ، وقد يرد لغير الترتيب ، كالتأكيد ، وترتيب الأخبار

﴿حرف الجيم﴾ : (جعل) له أربعة معان : صير ، وألقى ، وخلق ، وأنشأ يفعل كذا (جناح) الطائر : معروف وجناح

الإنسان إبطه ، ومنه : اضمم إليك جناحك ، ولاجناح : لاإثم فمعناه الإباحة ، وجنح للشيء مال إليه (لاجرم) لابد (اجتبى) اختار (جدال) مخالفة ومخاصمة واحتجاج (تجأرون) تصيحون بالدعاء (جوارى) جمع جارية وهي السفينة (أجرم) فهومجرم ، له معنيان : الكفر، والعصيان (جنة) الجنون ، وقدجاء بمعنى الملائكة (جانّ) له معنيان : الجن والحية الصغيرة (جنة) بالفتح البستان ، وبالكسر الجنون ، وبالضم الترس وما أشبهه مما يستتر به ، ومنهاستعير : أيمانهم جنة (جاثية) أى على ركبهم لايستطيعون مما هم فيه وقوله جثيا جمع جاث (الجرز) الأرض التى لانبات فيها (جاثمين) باركين على ركبهم (جبار) اسم الله تعالى له معنيان: قهار، ومتكبر. وقد يكون من الجبر للكسير وشبهه ، والجبار أيضا الظالم (أجداث) قبور (جزى) له معنيان من الجزاء بالخير والشر وبمعنى أغنى ، ومنه : لاتجزى نفس . وأما أجزأ بالهمز فمعناه كفى (جرح) له معنيان من الجروح وبمعنى الكسب والعمل ، ومنه جرحتم بالنهار . واجترحوا السيئات ، ولذلك سميت كلاب الصيد جوارح لأنها كواسب لأهلها (جنب) له معنيان من الجنابة وبمعنى البعد ومنه : عن جنب

﴿حرف الحاء﴾ : (حمد) هوالثناء سواء كان جزاء على نعمه أوابتداء ، والشكر إنما يكون جزاء ، فالحمد من هذا الوجه أعم ، والشكر باللسان والقلب والجوارح ، ولا يكون الحمد إلا باللسان ، فالشكر من هذا الوجه أعم (حميد) اسم الله تعالى أى بمعنى محمود (حكمة) عقل أو علم وقيل فى الكتاب والحكمة هى السنة (حكيم) اسم الله من الحكمة ومن الحكم بين العباد ، أو من إحكام الأمور وإتمامها (حليم) الحلم العقل وقد يقال بمعنى العفو ، والأحلام العقول ، والحليم من أسماء الله تعالى ، قيل الذى لايعجل بالعقوبة على من عصاه ، وقيل معناه العفو عن الذنوب ، والأحلام مايرى فى النوم (حبط) بطل وأحبطه الله أبطله (حنيف) مسلم وموحد الله ، وقيل حاج ، وقيل مختتن ، والجمع حنفاء (محصنين ومحصنات) الإحصان له أربع معان : الإسلام والحرية ، والعفاف ، والتزوج . وليحصنكم من بأسكم : بقيكم (حجة) بالضم : دليل وبرهان وحاجّ فلان فلانا : جدله ، وحجة عليه : بالحجة . والحج بالفتح والكسر: القصد ، ومنه أخذحج البيت ، وحجة بالكسر سنة ، وجمعها حجج (حطه) أى حط عنا ذنوبنا وقيل كلمة بالعبرانية تفسيرها لا إله إلا الله (حضر) بالضاد من الحضور ، ومنه محضرون ، وشرب محتضر ، وبالظاء : من المنع ، ومنه : وما كان عطاء ربك محظورا . وكهشيم المحتظر ، وبالذال من الحذر وهو الخوف ، ومنه : إنّ عذاب ربك كان محذورا (حفظ) العلم : وعيه وحفظ الشيء حراسته ، والحفيظ : اسم الله تعالى ، قيل معناه العليم ، وقيل حافظ الخلق كالئهم من المهالك (حاق) بهم أى حل بهم (حبل) من الله ومن الناس ، أى عهد ، وحبل الله القرآن وأصله بالحبل المعروف (حسب) بكسر السين ظن ، مضارعه بالفتح والكسروحسب بالفتح من العددومضارعه بالضم ومنه الحساب والحسبان، وحسبانامن السماء : أى مرام، واحدها حسبانة (حساب) من الظن والعدد وبغير حساب يحتمل الوجهين وأن يكون من المحاسبة أن لايحاسب عليه ومن التقدير أى بغير تضييق ، وعطاء حسابا : أى كافيا (حسيب) اسم الله تعالى ، فيه أربعة أقوال : كافى ، وعالم ، وقادر، ومحاسب (حسبك الله) أى كافيك (حزن) تأسف على ماض أوحال الخوف ترفع فى المستقبل ، ويقال حزن بكسرالزاى ، وحزنه غيره ، وأحزنه أيضا (حصير) مجلس من الحصر ، وأحصر عن الشيء : حبس عنه ، وحسير بالسين : كليل (حصيد) هو مايحصد من الزرع وغيره ، واستعير قائم وحصيد ، أى باق وزاهد (حميم) له معنيان الصديق ، والماء الحارّ (محيص)

مهرب (حجر) له أربعة معان : الحرام ، والعقل ، ومنازل ثمود ، وحجر الكعبة (حمل) بكسر الحاء : ماعلى ظهر الدابة وغيرها ، ويستعار للذنوب . وبالفتح مافى بطن المرأة وجمعه أحمال (إحسان) له ثلاث معان : فعل الحسنات ، والإنعام على الناس ، ومراقبة الله تعالى المشار إليها فى قوله صلى الله عليه وسلم « الإحسان أن تعبدالله كأنك تراه » (حق) له أربعة معان : الصدق ، والعدل فى الحكم ، والشيء الثابت ، والأمرالواجب والحق : اسم الله تعالى : أى الواجب الوجود (حاصب) أى ريح شديدة سميت بذلك لأنها ترمى بالحصباء أى الحصا ، والحاصب أيضا : الحجارة (حلية) حلى (حرج) ضيق أو مشقة (حول) له معنيان : العام ، والحيلة ، وحولا بكسر الحاء : انتقالا (حرث) الأرض مصدر ثم استعمل بمعنى الأرض والزرع والجنات (حس) بغير ألف قتل ومنه : إذ تحسونهم ، وأحس من الحس (حرم) بضمتين محرمون بالحج (حقب) بضمتين ، وأحقاب جمع حقب ، وهومدة من الدهر يقال إنه ثمانون سنة (حف) الشيء بالشيء أطاف به من جوانبه ومنه حففناهما بنخل ، والملائكة حافين (حل) بالمكان يحل بالضم والكسر ، وحل من إحرامه يحل بالكسر لاغير (حطام) فتات ، والحطام ماتحطم من عيون الزرع اليابس

حرف الخاء : (خلق) له معنيان : من الخلقة ومنه الخالق اسم الله وكذا الخلاق . وخلق الرجل كذب ومنه تخلقون إفكا . واختلاق : أى كذب (خلاق) نصيب (خير) ضد الشر ، وله أربعة معان : العمل الصالح والمال ، والخيرة ، والتفضيل بين شيئين (خلا) له معنيان : من الخلوة ، وبمعنى ذهب ومنه : أمة قد خلت (خطيئة) ذنب ، وجمعه خطايا وخطيات ، والفعل منه خطئ فهوخاطئ ، وأما الخطأ بغيرعمد فالفعل منه أخطأ (خاسئين) مطرودين من قولك خسئت الكلب ومنه : اخسئوا فيها (خاف) بفتح الخاء وإسكان اللام ، وله معنيان وراء ، ومن خلف خلفه : بشر ، فإذا خلفه بخير قيل بفتح اللام (خلاف) له معنيان من المخالفة ، وبمعنى بعد ، أودون ، ومنه : بمقعدهم خلاف رسول الله (خول) أعطى (خلة) بضم الخاء مودة ومنه الخليل ، وجمعه أخلاء (خلال) له معنيان : وداد ، ومنه « لابيع فيه ولا خلال » ، وبمعنى بين ، ومنه خلال الديار ، وخلالكم (خر) يخر سقط على وجهه (خامدون) هالكون ، وأصله من خمود النار (خطب) الخطب سبب الأمر والخطب أيضا الأمر العظيم ، وخطبة النساء بالكسر ، وخطبة الخطيب بالضم (يخرصون) يكذبون ، ومنه : يخرصون والخرص أيضا التقدير ، وقيل : يخرصون منه : أى يقولون بالظن من غير تحقيق (خوان) كثير الخيانة (مختال) من الخيلاء (مخمصة) من الخمص وهو الجوع (أخدان) جمع خدن وهو الخليل (خراج ، وخرج) أى أجرة وعطية

حرف الدال (دين) له خمسة معان : الملة ، والعادة ، والجزاء ، والحساب ، والقهر (دأب) له معنيان : عادة ، وجد ، وملازمة ، ومنه : سبع سنين دأبا : متتابعة للزراعة من قولك : دأبت على الشيء : دمت عليه (أدنى) له معنيان : أقرب من الدنو ، وأقل فهو من الدانى الحقير (دار السلام) الجنة (دوائر) صروف الدهر ، واحدها دائرة ، ومنه دائرة السوء (دعاء) له خمسة معان : الطلب من الله ، والعبادة ، ومنه : تدعون من دون الله ، والتمنى : ولهم فيها مايدعون ، والنداء : ادعوا شهداءكم ، والدعوة إلى الشيء : ادع إلى سبيل ربك (دابة) كل مايدب فيجمع جميع الحيوان (دحور) إبعاد ، ومنه المدحور المطرود (دع) بتشديد العين ، يدع : أى دفع بعنف ، ومنه يدع اليتيم ، ويدعون إلى نار جهنم دعا (درأ) دفع ، ومنه يدرؤون (مدرارا) من در المطر إذا

صب (داخرين) صاغرين (دكت) الأرض : أى دقت حبالهـا حتى استوت مع وجه الأرض ومنه : جعله دكا : أى مستويا مع الأرض

حرف الذال : (ذكر) له أربعة معان : ضد النسيان ، والذكر باللسان ، والقرآن ، ومنه : نزلنا الذكر ، والشرف ومذكر مفعل من الذكر (ذنوب) بضم الذال : جمع ذنب ، وبالفتح النصيب ، ومنه ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم : أى نصيبا من العذاب ، والذنوب أيضا : الدلو (ذبح) بكسر الذال : المذبوح ، وبالفتح المصدر (ذرأ) خلق ونشر (ذلول) مذللة للعمل من الفلك ومنه : ذللناها لهم ، ورجل ذلول : من الذل بالضم ، وذللت قطوفها أدنيت (أذقان) جمع ذقن

حرف الراء : (رب) له أربعة معان : الإله ، والسيد ، والمالك الشيء ، والمصلح للأمر (ريب) شك ، ومنه : ارتابوا ، ومريب ، وريب المنون : حوادث الدهر (رجع) يستعمل متعديا بمعنى ردّ وغير متعد ، والمرجع اسم مصدر أو زمان أو مكان من الرجوع (رعى) له معنيان : من النظر ، ومن رعى الغنم (روح) له أربعة معان للنفس التى بها الحياة : يسئلونك عن الروح ، والوحى : ينزل الملائكة بالروح ، وجبريل : نزل به الروح الأمين ، وملك عظيم : تنزل الملائكة والروح ، وروح بفتح الراء رائحة طيبة ، والريحان : الرزق ، وقيل الشجر المعروف (ركام) بعضه فوق بعض ، ومنه مركوم ، وبركه (رجا) طمع وقد يستعمل فى الخوف ، ومنه لايرجون لقاءنا (رجال) جمع رجل ، وجمع راجل : أى غير راكب ، ومنه : يأتوك رجالا ، ومثله : بخيلك ورجلك (رفث) له معنيان : الجماع ، والكلام بهذا المعنى (رجز) عذاب . والرجز فاهجر : فهى الأوثان والرجس بالسين : النجس حقيقة ، أو مجازا ، وقد يستعمل بمعنى العذاب (رهب) خوف ، ومنه : يرهبون (رؤف) من الرأفة وهى الرحمة إلا أنّ الرأفة فى دفع المكروه ، والرحمة فى دفع المكروه وفعل الجميل ، فهى أعم من الرأفة (مرضاة) مفعلة من الرضا (راسيات) ثابتات ، ومنه : قيل للجبال : رواسى ، ومنه : مرساها (رغدا) أى كثيرا (ربوة) مكان مرتفع (ربا) هو فى اللغة الزيادة ، ومنه : ويربى الصدقات ، وربت الأرض : انفتحت (أرحام) جمع رحم ، وهو فرج المرأة ويستعمل أيضا فى القرابة (أرجئه) أخره ، ومنه : ترجى ويرجون ، ويجوز فيه الهمز وتركه (رأى) من رؤية العين يتعدى إلى واحد ، ومن رؤية القلب بمعنى العلم : يتعدى إلى مفعولين (تربص) انتظر (رفات) فتات (أرذل) العمر : الهرم ، والأرذلون : من الرذالة (رق) من الرقية بفتح القاف ، ومنه : وقيل من راق ، ورقى فى السلم بالكسر فى الماضى والفتح فى المستقبل (أرداكم) أهلككم ، والردى الهلاك ، ومنه : تردين ، وتردى (رجفة) زلزلة وشدة

حرف الزاى (زبر) بضمتين كتب ، والزبور كتاب داود عليه السلام (زخرف) زينة والزخرف أيضا : الذهب (زكاة) له فى اللغة معنيان : الزكاة ، والطهارة ، ثم استعمله الشرع فى إعطاء المال ، وهو من الزيادة ، لأنه يبارك له فيه فيزيد ، أو من الطهارة لأنه يطهره من الذنوب ، وزكيت الرجل : أثنيت عليه ، وزكا هو مخففة أى صار زكيا (زوج) له ثلاث معان : الرجل ، والمرأة ، وقد يقال زوجة ، والمعنى الصنف والنوع ، ومنه : أزواج من نبات ، ومن كل زوج كريم (زلّ) له معنيان : زلّ القدم عن الموضع ، وفعل الزلل (زاغ) عن الشيء زيغا مال عنه وأزاغه غيره : أماله (زلفى) قربى ، وأزلفت : قربت ، وزلفا من الليل : ساعات (زعم) أى ادعى ، ولم يوافقه غيره ، قال ابن عباس : زعم كناية عن كذب (زعيم) ضامن (تزجى)

تسوق (زلزلة) الأرض : اهتزازها ، وتستعمل بمعنى الشدة والخوف ، ومنه : زلزلوا (زجرة) واحدة : صيحة بمعنى نفخة الصور ، والزجرة : الصيحة بشدة وانتهار ، وازدجر : من الزجر

حرف السين : (أسباط) جمع سبط وهم ذرية يعقوب عليه السلام كان له اثنى عشر ولداً ذكراً فأعقب كل واحد منهم عقبا ، والأسباط فى بنى إسرائيل كالقبائل فى العرب (سبيل) هو الطريق ، وجمعه سبل ، ثم استعمل فى طريق الخير والشر ، وسبيل الله : الجهاد وابن السبيل الضيف وقيل القريب (سوّى) بالتشديد له معنيان : من التسوية بين الأشياء وجعلها سواء ، وبمعنى أتقن وأحسن ، ومنه فسوّاك فعدلك (سواء) بالفتح والهمز من التسوية بين الأشياء ، وسواء الجحيم : وسطها ، وسواء الصراط : قصد الطريق (سوى) بالكسر والضم مع ترك الهمزة استثناء ، وقد يكون من التسوية (سفهاء) جمع سفيه وهو الناقص العقل ، وأصل السفه : الحمق ولذلك قيل لمبذر المال سفيه ، وللكفار والمنافقين : سفهاء (سلوى) طائر يشبه السمانى ، وكان ينزل على بنى إسرائيل مع المن (سأل) له معنيان طلب الشىء ، والاستفهام عنه ، وسال بغير همز من المعنيين المذكورين ، ومن السيل (سبحان) تنزيه ، وسبحان الله : أى نزهته عما لا يليق به من الصاحبة والولد والشركاء والأنداد وصفات الحدوث وجميع العيوب والنقائص (سار) يسير مشى ليلا أو نهارا (سرى) يسرى مشى ليلا ، ويقال أيضا : أسرى بألف (سخر) يسخر بالكسر فى الماضى والفتح فى المضارع : أى استهزأ ، وسخر بالتشديد من التسخير (سخريا) بضم السين من السخرة وهى تكليف الأعمال ، وبالكسر من الاستهزاء (سلطان) له معنيان البرهان ، والقوة ، ومنه لا ينفذون إلا بسلطان (سام) يسوم أى كلف الأمر وألزمه ، ومنه يسومونكم سوء العذاب ، وأصله من سوم السلعة فى البيع (سئم) يسأم : أى ملّ ، ومنه : وهم لا يسامون (سنة) أى عادة (سلف) الأمر : أى تقدم ، وأسلفه الرجل : أى قدمه ، ومنه هنيئا بما أسلفتم (سراء) فعلاء من السرور (سارع) إلى الشىء : بادر إليه (سوءة) عورة ، والسوء مايسوء بالفتح والضم ، والسوآى فعلاء من السوء ، وسىء بهم : فعل بهم السوء (سنة) بفتح السين : عام ، ولامها محذوفة وجمعها سنون وقد تقال بمعنى الحفظ والجدب (سنة) بكسر السين ابتداء النوم وفاؤها واو محذوفة لأنها من الوسن (سلك) يسلك له معنيان أدخل ومنه اسلك يدك وسلكه ينابيع ، ومنه سلوك الطريق (أسفار) جمع سفر بفتحتين ، وجمع سفر وهو الكتاب (ساح) يسيح أى سار ، ومنه فسيحوا فى الأرض . والسائحون الصائمون (سوّل) بتشديد الواو : زين ، ومنه : سولت لكم أنفسكم أمرا (سرابيل) جمع سربال وهو القميص (سبأ) قبيلة من العرب (سموم) شدة الحر (سلام) له ثلاثة معان : التحية ، والسلامة ، والقول الحسن ، ومنه : إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (سلام) اسم الله تعالى معناه السلامة من كل نقص ، فهو من أسماء التنزيه ، وقيل سلم العباد من المهالك ، وقيل ذو السلام على المؤمنين فى الجنة (سلم) بفتحتين : انقياد وإلقاء باليد ، وهو أيضا بيع (سلم) بفتح السين وإسكان اللام صلح ومهادنة (سلم) بكسر السين وإسكان اللام ومعناه الإسلام ، وبضم السين وفتح اللام مشددة : هو الذى يصعد فيه (أسلم) يسلم له ثلاث معان : الدخول فى الإسلام ، والإخلاص لله ، والانقياد ، ومنه : فلما أسلما (سعى) يسعى ، له ثلاث معان : عمل عملا ، ومنه وأن ليس للإنسان إلا ماسعى ، ومشى . ومنه : فاسعوا إلى ذكر الله ، وأسرع فى مشيه ، ومنه : رجل يسعى (سكن) يسكن له معنيان : من السكون ضد الحركة ، ومن السكنى فى الموضع (سكينة) وقار وطمأنينة (سائغ) سهل الشرب

لا يغص به من شربه (سابغات) دروع واسعات (أساطير) الأولين : ما كتبه المتقدمون (مسيطر) أى مسلط ، وأم هم المسيطرون : الأرباب (سندس) وإستبرق : ثياب حرير ، قيل السندس : رقيق الديباج ، والإستبرق : صفيقه (سحقا) بعدا ، ومنه مكان سحيق : أى بعيد (سعير) جهنم ، وسعرت : أوقدت (سبب) وجمعه أسباب له خمسة معان : الحبل ، ومنه : فليمدد بسبب إلى السماء ، والاستعارة من الحبل فى المودّة والقرابة ، ومنه ، وتقطعت بهم الأسباب ، والطريق ومنه : فأتبع سببا ، والباب ومنه : أسباب السموات ، وسبب الأمر : موجبه

حرف الشين : (شعر) بالأمر يشعر : أى علمه ، والشعور : العلم من طريق الحس ، ومنه : لا يشعرون (شهد) يتشهد له معنيان : من الشهادة على الشىء ، ومن الحضور ، ومن الشهادة فى سبيل الله (شكرا) قد تقدّم فى الحمد والشكر ، والشكور : اسم الله المجازى لعباده على أعمالهم بجزيل الثواب ، وقيل المثنى على العباد (شرى) أى باع ، وقد يكون بمعنى اشترى (شقاق) عداوة ومعاندة ، ومنه : ومن يشاقق الله (شهاب) كوكب ، وقد يطلق على شعلة النار (شجر) هو كل ما ينبت فى الأرض ، وشجر بينهم : أى اختلفوا فيه (شنآن) عداوة وشرّ ، ويجوز فيه فتح النون وإسكانها (شرع) الله الأمر : أى أمر به ، والشريعة والشرعة : الملة وشرعة الماء : فى الدواب ، شعائر الله : معالم دينه ، واحدها شعيرة أو شعارة (شرك) له معنيان : من الإشراك ، وهو أيضا النصيب ، ومنه أم لهم شرك فى السموات (شركاء) جمع شريك (مشحون) أى مملوء

﴿حرف الصاد﴾ (صراط) هو فى اللغة الطريق ثم استعمل فى القرآن بمعنى الطريقة الدينية ، وأصله بالسين ثم قلبت صادا لحرف الإطباق بعدها ، وفيه ثلاث لغات : بالصاد ، وبالسين ، وبين الصاد والزاى (صلاة) إذا كانت من الله فمعناها رحمة ، وإذا كانت من المخلوق فلها معنيين : الدعاء ، والأفعال المعلومة (صوم) أصله فى اللغة الإمساك مطلقا ، ثم استعمل شرعا فى الإمساك عن الطعام والشراب ، وقد جاء بمعنى الصمت فى قوله : إنى نذرت للرحمن صوما ، لأنه إمساك عن الكلام (صدقة) يطلق على الزكاة الواجبة ، وعلى التطوّع ، ومنه إنّ المصدّقين والمصدّقات ، وأما ، أتنك لمن المصدّقين ، بالتخفيف فهو من التصديق (صدقة) بضم الدال صداق المرأة ، ومنه : وآتوا النساء صدقاتهن نحلة . والصدق فى القول : ضدّ الكذب ، والصدق فى الفعل صدق النية فيه ، والصدق فى القصد : العزم الصادق (صعد) يصعد : أى ارتفع ، وأصعد بالألف يصعد بالضم : أى أبعد فى الهروب ، ومنه إذ تصعدون ، صعيدا طيبا : أى ترابا ، والصعيد : وجه الأرض (صدّ) له معنيان فالمتعدّى بمعنى منع غيره من شىء ، ومصدره صدّ ، ومضارعه بالضم ، وغيره بمعنى أعرض ومصدره صدود (صار) له معنيان : من الانتقال ومنه : تصير الأمور ، والمصير ، وبمعنى ضم ، ومضارعه يصور ومنه : فصرهن إليك (صاعقة) له ثلاثة معان : الموت ، وكل بلاء يصيب ، وقطعة نار تنزل من شدّة الرعد والمطر ، وجمعها صواعق (أصرّ) على الذنب يصر إصرارا : دام عليه ولم يتب منه (صواع) مكيال وهو السقاية والصاع ، وسواع بالسين اسم صنم (صابئين) قوم يعبدون الملائكة ويقولون إنها بنات الله . وقيل إنهم يرون تأثير الكواكب . وفيه لغتان . الهمز وتركه . من صبأ إلى الشىء : إذا مال إليه (تصطلون) تفتعلون من صبأ بالنار إذا تسخن بها والطاء بدل من التاء (اصطفى) أى اختار . وأصله من الصفى . أى اتخذه صفيا (صغار) بفتح الصاد ذلة . ومنه صاغرون . والصغير ضدّ الكبير (صدف) عن الشىء يصدف . أعرض عنه (صريخ) مغيث ومنه : ما أنا بمصرخكم (صلصال) طين يابس . فإذا مسته النار فهو فخار (صرح) قصر وهو أيضا البناء العالى

حرف الضاد : (ضرب) له أربعة معان : من الضرب باليد وشبهه . ومن ضرب الأمثال . ومن السفر . ومنه ضربتم فى الأرض . ومن الالتزام . ومنه ضربت عليهم الذلة . أى ألزموها، وضربنا على آذانهم : أى ألقينا عليهم النوم . و «أفنضرب عنكم الذكر» أى نمسك عنكم التذكير (ضاعف الشىء : كثره . ويجوز فيه التشديد وضعف الشىء بكسر الضاد . مثلاه ، وقيل مثله . والضعف أيضا العذاب . والضعف بالضم ويجوز فيه الفتح (ضرّ) بفتح الضاد وضمها بمعنى واحد . وكذلك الضير بالياء . ومنه لايضركم كيدهم . والضرّ مايصيب من المرض وشبهه (ضحى) أوّل النهار . والفعل منه أضحى . وأما ضحى بكسر الحاء . يضحى فى المضارع . فمعناه برز للشمس وأصابه حرّها . ومنه لاتظمأ فيها ولا تضحى (ضيف) يقال للواحد والاثنين والجماعة (ضيق) بكسر الضاد مصدر . وبفتحها مع إسكان الياء : تخفيف من ضيق المشدّد : كميت وميت

حرف الطاء : (طبع) ختم ، والخاتم الطابع (طول) بفتح الطاء : فضل أوغنى (طائر) له معنيان : من الطيران ومن الطيرة (طوى) قيل اسم الوادى وقيل معناه مرتين ، أى قدس الوادى مرتين (طهارة) له معنيان : الطهارة بالماء ، ومنه : جنبا فاطهروا ، والماء الطهور وهو المطهر ، والطهارة من القبائح والرذائل ، ومنه : أناس يتطهرون . (طيب) له معنيان : اللذيذ ، والحلال (طوفان) السيل العظيم (طاغوت) أصنام وشياطين ، ويكون مفردا أو جمعا ، والطاغوت أيضا : رؤوس النصارى على قول (طباق) بعضها على بعض ، وطبقا عن طبق : حالا بعد حال (طور) جبل وهو الطور (طفق) يفعل كذا : أى جعل يفعله (طائفين) من الطواف ، وطائف من الشيطان لمم وقرئ طيف

حرف الظاء : (ظهر) الأمر : بدا ، وأظهره غيره : أبداه ، وظهير : معين (ظاهر) الرجل من امرأته ، وتظاهر ، وتظهر : أى قال لها : أنت علىّ كظهر أمى ، وهو الظاهر (ظهر) البيت أعلاه وظهرته أى ارتفعت عليه ، ومنه : فما استطاعوا أن يظهروه (ظلم) وقع فى القرآن على ثلاثة معان : الكفر ، والمعاصى ، وظلم الناس : أى التعدى عليهم (ظنّ) له ثلاثة معان : التحقيق ، وغلبة أحد الاعتقادين ، والتهمة (ظمئ) عطش (ظلال) جمع ظل . وظلل بالضم جمع ظلة وهى ماكان من فوقه وظل بالنهار بمنزلة بات بالليل

حرف العين : (عاذ) بالله يعوذ أى استجار به ليدفع عنه مايخاف ، ويقال أيضا استعاذ يستعيذ ، ومنه عذت بربى ، ومعاذ الله (العالمين) جمع عالم ، وهو عند المتكلمين : كل موجود سوى الله تعالى ، وقيل العالمين : الإنس والجن والملائكة ، لجمعه جمع العقلاء ، وقيل الإنس خاصة ، لقوله « أتأتون الذكران من العالمين » (يعمهون) يتحيرون فى ضلالهم ، والعمه : الحيرة (عدل) يعدل : ضدّجار ، وعدل عن الحق ، عدولا ، وعدلت فلانا بفلان : سويت بينهما ، ومنه : أوعدل ذلك صياما (عزيز) اسم الله تعالى ، معناه : الغالب ، وعزّ : غلب ، ومنه : وعزنى فى الخطاب ، والغلبة ترجع إلى القوة والقدرة ، ومنه : فعززنا بثالث . أى قوينا ، وقيل العزيز القديم المثل (عفا) له أربعة معان : عفا عن الذنب : أى صفح عنه ، وعفا : أسقط حقه ، ومنه إلا أن يعفون أو يعفو الذى ، وعفا القوم . كثروا ، ومنه : حتى عفوا ، وعفا المنزل : إذا درس (عفو) له ثلاث معان ، العفو عن الذنب ، والإسقاط ، والسهل من غير كلفة : ومنه : ماذا ينفقون قل العفو (عين) بكسر العين وإسكان الياء : وهو جمع عيناء (عنت) معناه الهلاك أو المشقة ، ومنه : ولو شاء الله لأعنتكم : أى أهلككم ، أو ضيق عليكم ، والعنت أيضا . الزنا ، ومنه : ذلك لمن خشى العنت منكم . وأمّا عنت الوجوه : فليس من

هذا ، لأن لامه واو فهو من عتا يعتو إذا خضع (عاقب) له معنيان : من العقوبة على الذنب ، ومن العقبى ، ومنه : وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم : أى أصبتم عقبا (أعجاز) نخل : أصولها ، أعجز الشيء : إذا فات ولم يقدر عليه ، ومنه : وماهم بمعجزين ، وما كان الله ليعجزه من شيء ، وأما معاجزين بالألف : فمعناه مسابقين (عال) يعيل عيلة : أى افتقر ومنه : ووجدك عائلا ، وعال يعول : عدل عن الحق ، وعال يعول أيضا : كثر عياله ، والأشهر أن يقال فى هذا المعنى أعال بالألف (عرج) يعرج بفتح الراء فى الماضى ، وضمها فى المضارع صعد وارتقى ومنه المعارج ، وعرج بالكسر فى الماضى والفتح فى المستقبل : صار أعرج (عتبى) معناه الرضى ، ومنه : فماهم من المعتبين ، ولاهم يستعتبون ، العتاب العدل (أعد) بالألف يسد الشيء : هيأه ، وعدّ بغير الألف من العدد (عرش) سرير الملك ، ومنه : ورفع أبويه على العرش ، وأهكذا عرشك ، وعرش الله فوق السماء ، وتعرشون تبنون ، وعلى عروشها سقوفها (عورة) أصل معناه الانكشاف فيما يكره كشفه ، ولذلك قيل عورة الإنسان، عورات : أى أوقات انكشاف ، وبيوتنا عورة : أى خالية معرضة للسراق (عاقر) له معنيان : المرأة العقيم ، واسم فاعل من عقر الحيوان (عبر) يعبر ، له معنيان من عبارة الرؤيا ومنه : إن كنتم للرؤيا تعبرون ، ومن الجواز على الموضع ، ومنه : عابر سبيل (عمون) جمع عم ، وهو صفة على وزن فعل بكسر العين من العمى فى البصر أو فى البصيرة (علا) يعلو : تكبر ، ومنه قوما عالين ، وعلا فى الأرض ، والعلىّ اسم الله ، والمتعالى ، والأعلى : من العلوّ بمعنى الجلال والعظمة ، وقيل بمعنى التنزيه عن عما لا يليق به (عزب) الشيء : غاب ، ومنه : لا يعزب عن ربك : أى لا يخفى عنه (عصبة) جماعة من العشرة إلى الأربعين (علقة) واحدة العلق : وهو الدم (عاصف) ريح شديدة (عصف) ورق الزرع

حرف الغين : (غشاوة) غطاء إما حقيقة أو مجاز (غمام) هو السحاب (غلف) جمع أغلف ، وهو كل شيء جعلته فى غلاف : أى قلوبنا محجوبة (غرفة) بضم الغين لها معنيان : المسكن المرتفع ، والغرفة من الماء بالضم وبالفتح : المرة الواحدة (غادر) ترك ، ومنه لم نغادر (غل) يغل : من الغلول ، وهو الخيانة والأخذ من المغنم بغير حق ، والغل الحقد (أغلال) جمع غل بالضم ، وهو ما يجعل فى العنق ، ومنه مغلولة (غلا) يغلو من الغلو وهو مجاوزة الحد والإفراط ، ومنه لا تغلوا فى دينكم أى لا تجاوزوا الحد (غائط) المكان المنخفض ، ثم استعمل فى حاجة الإنسان (غشى) الأمر يغشى بالكسر فى الماضى والفتح فى المضارع معناه غطى حسا ومعنى ، ومنه : والليل إذا يغشى ؛ لأنه يغطى بظلامه ، وينقل بالهمزة والتشديد ، فيقال غشى وأغشى ، ومن فوقهم غواش يعنى ما يغشاهم من العذاب أو يصيبهم ، ومنه : غاشية من عذاب الله ، والغاشية أيضا : القيامة ؛ لأنها تغشى الخلق (غبر) له معنيان : ذهب وبقى ، ومنه عجوزا فى الغابرين : أى فى الهالكين أو فى الباقين فى العذاب (غرور) بضم الغين . وبفتحها : اسم فاعل مبالغة ، ويراد به إبليس (غاض) الشيء : نقص ، ومنه : وغيض الماء . وتغيض الأرحام . وغاظ بالظاء يغيظ من الغيظ (غور) غاير من غار الماء إذا أذهب (غرام) عذاب ومنه : إنا لمغرمون ، والمغرم : غرم المال ومنه : من مغرم مثقلون

حرف الفاء : (فرقان) مفرق بين الحق والباطل ومنه : يجعل لكم فرقانا : أى تفرقة . ولذلك سمى القرآن بالفرقان (فئة) جماعة من الناس (فصال) فطام من الرضاع (فضل) له معنيان : الإحسان . والربح فى التجارة وغيرها . ومنه : يبتغون من فضل الله (فسق) أصله الخروج وتارة يرد بمعنى الكفر . وتارة بمعنى العصيان

(فتنة) لها ثلاثة معان : الكفر . والاختبار . والتعذيب (فاء) يفيء أى رجع (فلك) بضم الفاء : سفينة . ويستوى فيه المفرد والجمع (فلك) بفتحتين القطب الذى تدور به الكواكب (فزع) له معنيان : الخوف والإسراع . ومنه : إذا فزعوا فلا فوت (فرح) له معنيان : السرور والبطر (فاحشة) والفحشاء : هى كل مايقبح ذكره من المعاصى (فرض) له معنيان : الوجوب . والتقدير (فتح) له معنيان فتح الأبواب . ومنه فتح البلاد وشبهها . والحكم ومنه : افتح بيننا وبين قومنا . ويقال للقاضى فاتح . واسم الله الفتاح : قيل الحاكم . وقيل خالق الفتح والنصر (انفضوا) تفرقوا (فطره) خلقه ابتداء . ومنه : فاطر السموات والأرض . وفطرة الله : التى خلق الخلق عليها . وأفطر بالألف من الطعام (فطور) شقوق . ومنه انفطرت أى انشقت . ويتفطرن (فج) طريق واسع وجمعه فجاج (فار التنور) يقال لكل شيء هاج وعلا حتى فاض . ومنه : وهى تفور . وقولهم فارت القدر (فوج) جماعة من الناس وجمعه أفواج (فاكهين) من التلذذ بالفاكهة أو من الفكهة وهى السرور واللهو (فؤاد) هو القلب ، وجمعه أفئدة (استفز) يستفز : أى استخف (فقه) فهم . ومنه : لايفقهون . وما نفقه كثيرا (فى) حرف جر بمعنى الظرفية . وقد تكون للتعليل . وقد تكون بمعنى مع . وقيل بمعنى على (الفاء) لها ثلاثة أنواع : عاطفة . ورابطة . وناصبة للفعل بإضمار أن . ومعناها الترتيب والتعقيب والسبب

حرف القاف : (قرآن) القرآن العزيز . ومصدره قرأ : أى تلا . ومنه إن علينا جمعه وقرآنه (قنوت) له خمسة معان : العبادة . والطاعة . والقيام فى الصلاة . والدعاء . والسكوت (قضاء) له سبعة معان : الحكم . والأمر . والقدر السابق . وفصل الشيء ، والفراغ منه ، والموت ، والإعلام بالشيء ، ومنه . قضينا إليه ذلك الأمر (قدر) له خمسة معان : من القدرة ، ومن التقدير ، ومن المقدار ، ومن القدر ، والقضاء ، وبمعنى التضييق نحو : فقدر عليه رزقه ، وقد يشدّ الفعل ويخفف . والقدر بفتح الدال وإسكانها القضاء والمقدار وبالفتح لاغير من القضاء (قام) له معنيان : من القيام على الرجلين ، ومن القيام بالأمر بتقديره وإصلاحه ، ومنه : الرجال قوامون على النساء ، وقام الأمر : ظهر واستقام ، ومنه : الدين القيم دين القيامة (أقام) له ثلاثة معان : أقام الرجل غيره من القيام ، ومن التقويم ومنه : جدارا يريد أن ينقض فأقامه ، وأقام فى الموضع : سكن ، ومنه مقيم أى دائم (قيوم) اسم الله تعالى وزنه فيعول وهو بناء مبالغة من القيام على الأمور : معناه مدبر الخلائق فى الدنيا وفى الآخرة ومنه : قائم على كل نفس : له معنيان : مصدر قام على اختلاف معانيه ، وبمعنى قوام الأمر وملاكه ، وقيم بغير ألف : جمع قيمة (قرض) سلف والفعل منه أقرض يقرض (أقسط) بألف : قسطا . عدلا فى الحكم ، ومنه يحب المقسطين ، وقسط بغير ألف : جار ، ومنه : وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا (مقاليد) فيه قولان : خزائن ، ومفاتح (قدس) يقدس من التنزيه والطهارة ، وقيل من التعظيم ، والقدوس : اسم الله تعالى فعول من النزاهة عما لا يليق به (قال) يقول من القول ، وقد يكون بمعنى الظن ومصدره قول ، وقال يقيل : من القايلة ، ومنه : أوهم قائلون ، وأحسن مقيلا (قفى) اتبع ، وأصله من القفا ، يقال أقفوته : إذا جئت فى أثره وقفيته بالتشديد : إذا سقت شيئا فى أثره ، ومنه : وقفينا من بعده بالرسل (قرن) جماعة من الناس ، وجمعه قرون (قواعد) البيت : أساسه ، واحدها قاعدة ، والقواعد من النساء : واحدة قاعد ، وهى العجوز (قربان) مايتقرب به إلى الله تعالى من الذبائح وغيرها ، وقربان أيضا من القرابة (قلى) يقلى : أبغض ، ومنه : وما قلى ، وإنى لعملكم من القالين (اقترف) اكتسب حسنة أو سيئة (قصص) له معنيان : من الحديث ، ومن قص الأثر . ومنه :

على آثارهما قصصا ، وقصيه (قررت) به عينا ، قرر بالكسر فى الماضى والفتح فى المضارع (قسطاس) ميزان (قتر) وقترة : غبار ، وعبارة عن تغير الوجه ، وقتور من التقتير (قارعة) داهية وأمر عظيم (قبس) شعلة نار (قنط) يئس من الخير (قرطاس) صحيفة وجمعه قراطيس

حرف الكاف : (كافر) له معنيان : من الكفر وهو الجحود ، وبمعنى الزرع ، ومنه : أعجب الكفار نباته أى الزراع ، وتكفير الذنوب غفرانها (كرة) رجعة (كبر) بكسر الباء من السن يكبر بالفتح فى المضارع ، وكبر الأمر بالضم فى المضارع والماضى ، وكبر بضم الكاف وفتح الباء : جمع كبرى ، وكبار بالضم والتشديد : كبير مبالغة ، والكبر : التكبر ، وكبر الشىء بكسر الكاف وضمها : معظمه ، والكبرياء : الملك والعظمة ، والمتكبر : اسم الله تعالى من الكبرياء ، وبمعنى العظمة (كفل) يكفل : أى ضم الصبى وحضنه ، وأكملنيها اجعلنى كافلها (كفيل) نصيب (كلالة) هى أن يموت الرجل ولا ولد له ولا والد (كاد) قارب الأمر ولم يفعله فإذا نفى اقتضى الإثبات (كريم) من الكرم وهو الحسب والجلالة والفضل ، وكريم : اسم الله تعالى أى محسن (أكنه) أغطيه وأكنان جمع كن ، وهو ما وقى من الحر والبرد (كهل) هو الذى انتهى شبابه (أكمام) الثمار والنخيل جمع كم وهو ماتكون الثمرة فيه قبل خروجها (أكب) الرجل على وجهه فهو مكب ، وكبه غيره بغير ألف (كهف) غار (كيد) هو من المخلوق احتيال ، ومن الله مشيئة أمر ينزل بالعبد من حيث لا يشعر (كسفا) بفتح السين جمع كسفة ، وهى القطعة من الشىء وبالسكون كذلك أو مفرد (كبتوا) أى أهلكوا : أى يكبتهم ، ثم يهلكهم ، أو يخذلهم (أكمه) هو الذى ولد أعمى (كان) على نوعين : تامة بمعنى حضر أو حدث أو وقع ، وهى ترفع الفاعل . وناقصة : ترفع الاسم وتنصب الخبر ، وتقتضى ثبوت الخبر للمخبر عنه فى زمانها ، وقد تأتى بمعنى الدوام فى مثل قوله : وكان الله غفورا رحيما ، وكان ربك قديرا ، وشبه ذلك ، وهو كثير فى القرآن ، ومعناه : لم يزل ولا يزال موصوفا بذلك الوصف (كأن) معناها التشبيه (كى) معناها التعليل (كم) معناها التكثير ، وهى خبرية واستفهامية (كأين) بمعنى كم ، وهى عند سيبويه كاف التشبيه دخلت على أى (كلا) حرف ردع وزجر ، وقيل إنها تكون لمنى : أى ليس الأمر كما ظننت ، وقيل إنها استفتاح كلام بمعنى إلا (الكاف) بمعنى التشبيه وبمعنى التعليل ، وقيل إنها تكون زائدة .

حرف اللام : (لبس) الأمر أى خلطه بفتح الباء فى الماضى وكسرها فى المستقبل (ألباب) عقول ، وهو جمع لب (لبث) فى المكان أقام فيه (لمز) يلمز : أى عاب الشىء (لؤلؤ) جوهر (لغو) الكلام : الباطل منه ، والفحش ، ولغو اليمين : مالا يلزم (لها) بفتح الهاء من اللهو ، ومضارعه يلهو ، ولهى عن الشىء بالكسر والياء يلهى بالفتح . إذا أعرض عنه وألهاه الشىء . إذا أشغله ، ومنه لا تلهكم أموالكم (لطيف) اسم الله تعالى ، قيل معناه رفيق ، وقيل خبير بخفيات الأمور (لدى ولدن) معناها عند (ليت) معناها التمنى (لعل) معناها الترجى فى المحبوبات ، والتوقع للمكروهات ، وأشكل ذلك فى حق الله تعالى ، فقيل جاءت فى القرآن على منهاج كلام العرب وبالنظر إلى المخاطب : أى ذلك مما يرتجى عندكم أى يتوقع ، وقد يكون معناها التعليل ، أو مقاربة الأمر فلا إشكال (لولا) لها معنيان . التمنى ، وامتناع شىء لامتناع غيره (لما) لها معنيان : النفى وهى الجازمة ووجود شىء لوجود غيره وأما « لما » بالتخفيف ، فهى لام التأكيد دخلت على ما ، وقال الكوفيون هى

بمعنى إلا الموجبة بعد النفى (لا) ثلاثة أنواع : نافية ، وناهية ، وزائدة (اللام) خمسة أنواع . لام الجر ، ولام كى ، ولام الأمر ، ولام التأكيد فى القسم وغيره وهى المفتوحة ، ثم إن لام الجر لها ثلاثة معان . الملك . والاستحقاق ، والتعليل . وقد تأتى للتعدى إذا ضعف العامل ، وقد تأتى بمعنى عند ، نحو أقم الصلاة لدلوك الشمس ، ولام كى معناها التشبيه والتعليل ، وقد تأتى بمعنى الصيرورة والعاقبة ، نحو فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا . وقد تأتى بمعنى أن المصدرية ، ومنه : يريد الله ليبين لكم

حرف الميم : (مرض) الجسد معروف . ومرض القلب : الشك فى الإيمان ، والبغض فى الدين (المن) شبه العسل ، والسلوى طائر ، والمنّ أيضا : الإنعام ، والمن أيضا : العطية ، والمن أيضا : القطع ، ومنه أجر غير ممنون (أمانى) جمع أمنية ولها ثلاثة معان : ما تتمناه النفس ، والتلاوة ، والكذب . وكذلك تمنى ، له هذه المعانى الثلاثة (ملأ) القوم : أشرفهم ، وذوو الرأى منهم (مثل) بفتح الميم والمثلثة ، لها أربعة معان : الشبيه والنظير ومن المثل المضروب ، وأصله من التشبيه ، ومثل الشىء حاله وصفته ، والمثل الكلام الذى يتمثل به ، ومثل الشىء بكسر الميم شبهه (مرية) شك ، ومنه : الممترين أى الشاكين ، لا تمار من المراء وهو الجدال (أملى) لهم : أمهلهم وزادهم (مهاد) فراش (مدّ) يمدّ : أى أملى ، وقد تكون بمعنى زاد مثل أمدّ بألف من المداد (مضغة) قطعة لحم (إملاق) فقر (مرد) فهو مارد : من العتو والضلال (مكانة) بمعنى مكان أى من التمكين والعز ، ومنه مكين (مواخر) فواعل من المخر يقال مخرت السفينة إذا جرت تشق الماء (مجيد) من المجد وهو الكرم والشرف (مقت) هو الذم أو البغض على ما فعل من القبيح (معين) ماء كثير جار وهو من قولك : معن الماء إذا كثر ، وقيل : هو مشتق من العين ، ووزنه مفعول ، فالميم زائدة (مارج) مختلط والمارج لهب النار ، من قولك مرج الشىء إذا اضطرب ، وقيل من الاختلاط أى خالط نوعين من النار (مرج) البحرين ، أى خلى بينهما ، وقيل خلطهما ، وقيل فاض أحدهما فى الآخر (مهل) فيه قولان : دردىّ الزيت ، وما أذيب من النحاس (منون) له معنيان : الموت ، والدهر (مس) له معنيان : اللمس باليد وغيره ، والجنون (من) لها أربعة أنواع : شرطية ، وموصولة ، واستفهامية ، ونكرة موصوفة (ما) إذا كانت اسما فلها ستة أنواع : شرطية ، وموصولة ، واستفهامية ، وموصوفة ، وصفة ، وتعجبية ، وإذا كانت حرفا فلها خمسة أنواع : نافية ومصدرية وزائدة وكافية ومبهمة (من) لها ستة أنواع : لابتداء الغاية ، ولجملة الغاية ، وللتبعيض ، ولبيان الجنس والتعليل ، وزائدة (مهما) اسم شرط

حرف النون : (نظر) له معنيان . من النظر ، ومن الانتظار ، فإذا كان من الانتظار تعدى بغير حرف ، ومن نظر العين يتعدى بإلى ، ومن نظر القلب يتعدى بفى (أنظر) بالألف أخر ، ومنه أنظرنى ، ومن المنظرين ونظرة إلى ميسرة (نضرة) بالضاد من التنعم ، ومنه وجوه يومئذ ناضرة : أى ناعمة ، وأمّا إلى ربها ناظرة ، فمن النظر (نعمة) بفتح النون من النعيم وبكسرها من الإنعام (أنعام) هى : الإبل ، والبقر ، والغنم . دون سائر البهائم ويجوز تذكيرها وتأنيثها ، ويقال لها أيضا نعم ، ونعم كلمة مدح ، ويجوز فيها كسر النون وفتحها ، وإسكان العين وكسرها (نعم) بفتح العين والنون كلمة تصديق وموافقة على ما قبلها بالنفى أو الإثبات ، بخلاف بلى : فإنها للإثبات خاصة ، ويجوز فى نعم فتح العين وكسرها (ندّ) هو المضاهى والمماثل والممانت ، وجمعه أنداد (أنذر) أعلم بالمكروه قبل وقوعه ، ومنه : نذير ، ومنذر ، والمنذرين ، وكيف كان نذير : أى إنذارى فهو مصدر ، ومنه عذابى ونذر ، والنذر بغير ألف ومنه نذر ، ثم من نذر : فليوفوا نذورهم (نكال) له معنيان :

العقوبة . والعبرة (نجى) بتشديد الجيم له معنيان : من النجاة ومن النجوة : وهو الموضع المرتفع ومنه ننجيك ببدنك على قول (نجوى) معناه كلام خفى ، ومنه : ناجى ، وقربناه نجيا ، وقيل إنه يكون بمعنى الجماعة من الناس فى قوله : وإذ هم نجوى ، وقد يجمع ذلك على حذف مضاف تقديره وإذ هم أصحاب نجوى (نسيان) له معنيان : الذهول ، ومنه إن نسينا أو أخطأنا ، والترك ومنه : نسوا الله فنسيهم (نسخ) له معنيان : الكتابة ، ومنه نستنسخ ما كنتم تعملون ، والإزالة ، ومنه : ماننسخ من آية أو ننسها (نصر) بالصاد المهملة معروف ، وبالسين اسم صنم : ويعوق ونسرا ، أو اسم طائر أيضا (نشوز) بالزاى : له معنيان شر بين الرجل والمرأة ، وارتفاع ، ومنه انشزوا أى قوموا من المكان (نزل) بضمتين رزق ، وهو مايطعم الضيف (نأى) بعد ومنه ينأون عنه (نكص) رجع إلى وراء (نفر) نفورا عن الشىء ونفر ينفر بضم المضارع ، ومنه نفرت الدابة ، ونفر ينفر بكسر المضارع نفيرا : أى ، أسرع ، وجد ومنه : انفروا فى سبيل الله (نبأ) خبر ، ومنه اشتق النبىء بالهمز ، وترك الهمز تخفيفا ، وقيل إنه عند من ترك مشتق من النبوة ، وهى الارتفاع (نطفة) أى نقطة من ماء ، ومنه خلقكم من نطفة يعنى من المنى (أناب) إلى الشىء : رجع ومال إليه ، ومنه : منيب (نفذ) ينفذ أى تم وانقطع (نهر) بفتح الهاء الوادى ، ويجوز الإسكان ، وأما السائل فلا تنهر : فهو من الانتهار ، وهو الزجر (منير) من النور ، وهو الضىء حسا أو معنى (نصب) بضمتين وبضم النون وإسكان الصاد ، وبفتح النون وإسكان الصاد بمعنى واحد ، وهو حجر أو صنم كان المشركون يذبحون عنده وجمعه أنصاب (نصب) بفتحتين تعب ، ومسنى الشيطان بنصب : أى بلاء وشر (نقم) الشىء ينقمه أى كرهه وعابه (نضيد) أى منصوب بعضه إلى بعض (نكير) إنكار ، ويقال نكر الشىء وأنكره (نسل) بمعنى أسرع ومنه : ينسلون ، من النسلان وهو الإسراع فى المشى مع قرب الخطا

حرف الهاء : (الهدى) له معنيان : الإرشاد والبيان ، ومن البيان : فأما ثمود فهديناهم ، والإرشاد قد يكون إلى الطريق ، وإلى الدين ، وبمعنى التوفيق والإلهام (هدى) بفتح الهاء وإسكان الدال مايهدى إلى الكعبة من البهائم (هاد) يهود : أى تاب ، ومنه هدنا إليك ، والذين هادوا : أى تهودوا أى صاروا يهودا ، وأصله من قولهم : هدنا إليك (هود) له معنيان : اسم نبى عاد عليه السلام وبمعنى اليهود ، ومنه كونوا هودا (هوى) النفس : مقصور وهو ماتحبه وتميل إليه ، والفعل منه : بكسر الواو فى الماضى وفتحها فى المضارع (والهواء) بالمد والهمز : مابين السماء والأرض ، وأفئدتهم هواء : أى متحرقة لاتعى شيئا (وهوى) يهوى بالفتح فى الماضى والكسر فى المضارع : وقع من علو ، ويقال أيضا بمعنى الميل ، ومنه : أفئدة من الناس تهوى إليهم (هاجر) خرج من بلاده ، ومنه سمى المهاجرون (هجر) من الهجران ، ومنه الهجر أيضا ، وهو فحش الكلام ، وقد يقال فى هذا الهجر بالألف (أهل) لغير الله به أى صيح ، والإهلال : الصياح ، وفى النية أى أريد به غير الله (مهيمن) عليه شاهد ، وقيل مؤتمن ، والمهيمن . اسم الله القائم على خلقه بأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم ، وقيل الشهيد ، وقيل الرقيب (هوان ، هون) أى ذل (مهين) بضم الميم أى مفعل مشتق من الهوان : أى مذل ، وأما مهين ، بفتح الميم فمعناه : ضعيف أو ذليل

حرف الواو : (وقود) النار بفتح الواو : ماتوقد به من الحطب وشبهه ، والوقود بالضم المصدر (وجه) له معنيان : الجارحة ، والجهة . وأما وجه الله : ففى قوله ابتغاء وجه الله أى طلب رضاه ، وفى قوله : كل شىء هالك إلا وجهه ، ويبقى وجه ربك : قيل الوجه الذات ، وقيل صفة كاليدين ، وهو من المتشابه (وعد) يعد

وعدا بالخير ، وقد يقال فى الشر وأوعد بالألف يوعد وعيدا بالشر لاغير (ودّ) يودّ له معنيان من المودة والمحبة ، وبمعنى تمنى : ودّوا لو تكفرون ، والودّ بالضم : المحبة ، وودّ : اسم صنم بضم الواو وفتحها (ودود) اسم الله تعالى أى محب لأوليائه وقيل محبوب (ويل) كلمة شر ، وقيل إن الويل وادفى جهنم (وجب) له معنيان من وجوب الحق بمعنى سقط كقولهم وجب الحائط إذا سقط ومنه وجبت جنوبها (وسط) وأوسط له معنيان من التوسط بين الشيئين ، وبمعنى الخيار والأحسن (وسع) يسع سعة : من الاتساع ضد الضيق ، والسعة الغنى ، والواسع اسم الله تعالى : أى واسع العلم والقدرة والغنى والرحمة (واسع) جواد موسع غنىّ أى واسع الحال وهو ضد المقتر : وإنا لموسعون قيل أغنياء ، وقيل قادرون ، وإلاوسعها : طاقتها (ولى) له معنيان : أدبر ، وجعل واليا ، وتولى له ثلاث معان : أدبر ، وأعرض بالبدن أو بالقلب ، وصار واليا ، واتخذ وليا ، ومنه : ومن يتولى الله ورسوله (ولىّ) ناصر ، والولى اسم الله ، قيل ناصر ، وقيل متولى أمر الخلائق (مولى) له سبعة معان : السيد والأعظم ، والناصر ، والوالى أى القريب ، والمالك والمعتق ، وبمعنى أولى ، ومنه النار مولاكم (ولج) يلج أى دخل ، ومنه : مايلج فى الأرض ، وأولج : أدخل ، ومنه : يولج الليل فى النهار (وهن) يهن : ضعف ، ومنه : وهن العظم ، والوهن : الضعف (ورد) الماء يرده : إذا جاء إليه وأورده غيره ، وأرسلوا واردهم ، الذى يتقدمهم إلى الماء فيسق لهم (أوزعنى) أى ألهمنى ووفقنى (يوزعون) يدفعون (وليد) صبى والجمع ولدان (وجل) يوجل وجلا : خاف ، ومنه : لا توجل (أوجس) وجد فى نفسه وأضمر (وارى) يوارى : أى يستر ومنه يوارى سوأة أخيه ، وماوورى عنهما ، وتواروا أى استتروا واستخفوا (وطأ) يطأ . له ثلاث معان : جماع المرأة . ومن الوطء بالأقدام . ومنه أرضا لم تطؤها . والإهلاك . ومنه : لم تعلموهم أن تطؤهم (وقر) بفتح الواو وهو الصمم والثقل فى الأذن . والوقر بكسر الواو : الحمل . ومنه : فالحاملات وقرا (ودق) هو المطر (واصب) أى دائم (وكيل) كفيل بالأمر . وقيل : كاف (وزر) بفتحتين أى ملجأ (وزير) أى معين . وأصله من الوزر بمعنى الثقل . لأنّ الوزير يحمل عن الملك أثقاله (وسوس) الشيطان إلى الإنسان : ألقى فى نفسه . والوسواس : الشيطان (أوحى) يوحى وحيا ، له ثلاث معان : كلام الملك من الله للأنبياء . ومنه قيل للقرآن وحى . وبمعنى الإلهام ، ومنه : أوحى ربك إلى النحل ، وبمعنى الإشارة . ومنه : فأوحى إليهم أن سبحوا : أى أشار (وعى) العلم يعى : حفظه . ومنه : أذن واعية ، وأوعى بالألف : يوعى جمع المال فى وعاء . ومنه : جمع فأوعى

حرف الياء : (يمين) له أربعة معان : اليد اليمين . وبمعنى القوة . وبمعنى الحلف . وأيمن أى إلى الجهة اليمين (يسير) له معنيان قليل ، ومنه : كيل يسير ، وهين ، ومنه : ذلك على الله يسير ، واليسر : ضد العسر (يئس) أى انقطع رجاؤه . ومنه : لا تيئسوا من روح الله ، وإنه ليؤس وأما : أفلم ييئس الذين آمنوا : فمعناه ألم يعلم (يم) هو البحر (ميسر) هو القمار فى النرد والشطرنج وغير ذلك . وهو مأخوذ من يسر لى كذا إذا وجب . واليسر بفتح الياء والسين : الرجل الذى يشتغل بالميسر . وجمعه أيسار . وميسر العرب أنهم كانوا لهم عشرة قداح وهم الأزلام لكل واحد منها نصيب معلوم من ناقة ينحرونها . وبعضها لانصيب له . ويجزؤنها عشرة أجزاء ثم يدخلون الأزلام فى خريطة ويضعونها على يد عدل . ثم يدخل يده فيها فيخرج باسم رجل قدحا . فمن خرج له قدح له نصيب : أخذ ذلك النصيب . ومن خرج له قدح لانصيب له . غرم ثمن الناقة كلها (ينبوع) أى عين من ماء والجمع ينابيع

الكلام على الاستعاذة

فى عشرة فوائد : من فنون مختلفة : (الأولى) لفظ التعوذ على خمسة أوجه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو المروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمختار عند القراء . وأعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم ، وأعوذ بالله القوى من الشيطان الغوى . وأعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد . وهى محدثة : وأعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . وهو مروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم (الثانية) يؤمر القارئ بالاستعاذة قبل القراءة . سواء ابتدأ أول سورة أوجزء سورة على الندب (الثالثة) يجهر بالاستعاذة عندالجمهور وهو المختار . وروى الإخفاء عن حمزة ونافع (الرابعة) لا يتعوذ فى الصلاة عند مالك . ويتعوذ فى أول ركعة عند الشافعى وأبى حنيفة . وفى كل ركعة عند قوم . لحجة مالك عمل أهل المدينة وحجة قول غيره : قول الله تعالى (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) وذلك يعم الصلاة وغيرها (الخامسة) إنما جاء أعوذ بالمضارع دون الماضى ؛ لأن معنى الاستعاذة لا يتعلق إلا بالمستقبل لأنها كالدعاء وإنما جاء بهمزة المتكلم وحده مشاكلة للأمر به فى قوله «فاستعذ» (السادسة) الشيطان : يحتمل أن يراد به الجنس فتكون الاستعاذة من جميع الشياطين ، أوالعهد فتكون الاستعاذة من إبليس . وهومن شطن إذا بعد ؛ فالنون أصلية والياء زائدة . وزنه فيعال . وقيل من شاط إذا هاج ؛ فالنون زائدة . والياء أصلية ووزنه فعلان . وإن سميت به لم ينصرف على الثانى لزيادة الألف والنون ، وانصرف على الأول (السابعة) الرجيم فعيل بمعنى مفعول ، ويحتمل معنيين : أن يكون بمعنى لعين وطريد . وهذا يناسب إبليس لقوله (وجعلناها رجوما للشياطين) والأول أظهر (الثامنة) من استعاذ بالله صادقا أعاذه ؛ فعليك بالصدق ؛ ألا ترى امرأة عمران لما أعاذت مريم وذريتها عصمها الله . فى الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «مامن مولود إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا إلا ابن مريم وأمه (التاسعة) الشيطان عدو . وحذر الله منه إذ لا مطمع فى زوال علة عداوته . وهو يجرى من ابن آدم مجرى الدم . فيأمره أولا بالكفر ويشككه فى الإيمان ؛ فإن قدر عليه ؛ وإلا أمره بالمعاصى . فإن أطاعه وإلا ثبطه عن الطاعة . فإن سلم من ذلك أفسدها عليه بالرياء والعجب (العاشرة) القواطع عن الله أربعة : الشيطان ، والنفس ، والدنيا ، والخلق . فعلاج الشيطان : الاستعاذه والمخالفة له ، وعلاج النفس : بالقهر ، وعلاج الدنيا : بالزهد ، وعلاج الخلق : بالانقباض والعزلة

الكلام على البسملة

فيه عشر فوائد . (الأولى) ليست البسملة عند مالك آية من الفاتحة ولا من غيرها ، إلا فى النمل خاصة ، وهى عند الشافعى آية من الفاتحة ، وعند ابن عباس آية من أول كل سورة ، لحجة مالك ماورد فى الحديث الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «أنزلت على سورة ليس فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى القرآن مثلها ، ثم قال : الحمد لله رب العالمين» فبدأ بها دون البسملة ، وماورد فى الحديث الصحيح «إن الله يقول : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين : يقول العبد الحمد لله رب العالمين» فبدأ بها دون البسملة : وحجة الشافعى ماورد فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله رب العالمين وحجة ابن عباس ثبوت البسملة مع كل سورة فى المصحف (الثانية) إذا ابتدأت أول سورة بسملت ؛ إلا براءة . وسنذكر علة سقوطها من براءة فى موضعه ، وإذا ابتدأت جزء سورة فأنت مخير بين البسملة وتركها عند أبى عمرو الدانى ، وتترك البسملة عند غيره ، وإذا أتممت سورة وابتدأت أخرى ، فاختلف القراء فى البسملة وتركها (الثالثة) لا يبسمل فى الصلاة عند مالك ، ويبسمل عند الشافعى جهرا فى الجهر ، وسرًّا فى السرّ ، وعند أبى حنيفة سرًّا فى الجهر والسرّ لحجة مالك من وجهين : أحدهما أنه ليست عنده آية فى الفاتحة حسبما ذكرنا ، والآخر ماورد فى الحديث الصحيح عن أنس أنه قال «صليت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين ، لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم فى أول الفاتحة ولا فى آخرها ، وحجة الشافعى من وجهين : أحدهما أنّ البسملة عنده آية من الفاتحة ، والأخرى ماورد فى الحديث من قراءتها حسبما ذكرنا (الرابعة) كانوا يكتبون باسمك اللهم حتى نزلت بسم الله مجراها فكتبوا بسم الله ، حتى نزلت أو ادعوا الرحمن فكتبوا بسم الله الرحمن ، حتى نزل إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم فكتبوها ، وحذفت الألف فى بسم الله لكثرة الاستعمال (الخامسة) الباء من بسم الله : متعلقة باسم محذوف عند البصريين والتقدير : ابتداء كائن بسم الله ؛ فموضعها رفع ، وعند الكوفيين تتعلق بفعل تقديره أبدأ أو أتلو فموضعها نصب وينبغى أن يقدر متأخراً لوجهين أحدهما : إفادة الحصر والاختصاص ، والأخرى : تقديم اسم الله اعتناء كما قدم فى بسم الله مجراها (السادسة) الاسم مشتق من السمو عند البصريين فلامه واو محذوفه ، وعند الكوفيين مشتق من السمة وهى العلامة ، ففاؤه محذوفة ، ودليل البصريين التصغير والتكسير ؛ لأنهما يردان الكلمات إلى أصولها ، وقول الكوفيين أظهر فى المعنى ؛ لأنّ الاسم علامة على المسمى (السابعة) قولك الله اسم مرتجل جامد ، والألف واللام فيه لازمة لا للتعريف ، وقيل إنه مشتق من التأله وهو التعبد ، وقيل من الولهان : وهى الحيرة لتحير العقول فى شأنه ، وقيل أصله إله من غير الف ولام ، ثم حذفت الهمزة من أوله على غير قياس ، ثم أدخلت الألف واللام عليه ، وقيل أصله الإله بالألف واللام ثم حذفت الهمزة ، ونقلت حركتها إلى اللام كما نقلت إلى الأرض وشبهه ، فاجتمع لامان ، فأدغمت إحداهما فى الأخرى ، ونفخم للتعظيم : إلا إذا كان قبله كسرة (الثامنة) الرحمن الرحيم صفتان من الرحم ومعناهما الإحسان فهى صفة فعل وقيل إرادة الإحسان ، فهى صفة ذات (التاسعة) الرحمن الرحيم على ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الرحمن فى الدنيا والرحيم فى الآخرة ، وقيل الرحمن عام فى رحمة المؤمنين والكافرين لقوله (وكان بالمؤمنين رحيما) فالرحمن أعم وأبلغ ، وقيل الرحمن . أبلغ لوقوعه بعده ، على طريقة الارتقاء إلى الأعلى (العاشرة) إنما قدم الرحمن لوجهين : اختصاصه بالله ، وجريانه مجرى الأسماء التى ليست بصفات . انتهى والله أعلم

قال الله تعالى : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۞ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سورة أمّ القرآن

وتسمى سورة الحمد لله ، وفاتحة الكتاب ، والواقية ، والشافية ، والسبع المثانى . وفيها عشرون فائدة ، سوى ماتقدم فى اللغات من تفسير ألفاظها ، واختلف هل هى مكية أو مدنية ؟ ولا خلاف أن الفاتحة سبع آيات إلا أنّ الشافعى يعدّ البسملة آية منها ، والمالكى يسقطها ويعدّ أنعمت عليهم آية (الفائدة الأولى) قراءة الفاتحة فى الصلاة واجبة عند مالك والشافعى ، خلافا لأبى حنيفة وحجتهما قوله صلى الله عليه وآله وسلم للذى علمه الصلاة « اقرأ ماتيسر من القرآن» (الفائدة الثانية) اختلف هل أول الفاتحة على إضمار القول تعليما للعباد : أى قولوا الحمد لله ، أوهو ابتداء كلام الله ، ولا بدّ من إضمار القول فى «إياك نعبد» وما بعده (الفائدة الثالثة) الحمد أعم من الشكر ؛ لأنّ الشكر لايكون إلا جزاء على نعمة ، والحمد يكون جزاء كالشكر ، ويكون ثناء ابتداء كما أنّ الشكر قد يكون أعم من الحمد ، لأنّ الحمد باللسان ؛ والشكر باللسان والقلب ، والجوارح . فإذا فهمت عموم الحمد : علمت أنّ قولك (الحمد لله) يقتضى الثناء عليه لما هو من الجلال والعظمة والواحدانية والعزة والإفضال والعلم والمقدرة والحكمة وغير ذلك من الصفات ، ويتضمن معانى أسمائه الحسنى التسعة والتسعين ، ويقتضى شكره والثناء عليه بكل نعمة أعطى ورحمة أولى جميع خلقه فى الآخرة والأولى ، فيالها من كلمة جمعت ماتضيق عنه المجلدات ، واتفق دون عدّه عقول الخلائق ، ويكفيك أنّ الله جعلها أوّل كتابه وآخر دعوى أهل الجنة (الفائدة الرابعة) الشكر باللسان هو الثناء على المنعم والتحدث بالنعم ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « التحدث بالنعم شكر» والشكر بالجوارح هو العمل بطاعة الله وترك معاصيه ، والشكر بالقلب هو معرفة مقدار النعمة . والعلم بأنها من الله وحده ، والعلم بأنها تفضل لا باستحقاق العبد ، واعلم أنّ النعم التى يجب الشكر عليها لاتحصى ، ولكنها تنحصر فى ثلاثة أقسام : نعم دنيوية : كالعافية والمال ونعم دينية : كالعلم ، والتقوى . ونعم أخروية : وهى جزاؤه بالثواب الكثير على العمل القليل فى العمر القصير . والناس فى الشكر على مقامين : منهم من يشكر على النعم الواصلة إليه خاصة ، ومنهم من يشكر الله عن جميع خلقه على النعم الواصلة إلى جميعهم ، والشكر على ثلاث درجات : فدرجات العوام الشكر على النعم ، ودرجة الخواص الشكر على النعم والنقم وعلى كل حال ، ودرجة خواص الخواص أن يغيب عن النعمة بمشاهدة المنعم ، قال رجل لإبراهيم بن أدهم[1] : الفقراء إذا منعوا شكروا ، وإذا أعطوا آثروا . ومن فضيلة

(١) كذا بالأصل ، ولعل هنا سقطا تقديره : « من أفضل الناس ؟ قال » فتدبر اه مصححه

الشكر أنه من صفات الحق ، ومن صفات الخلق فإنّ من أسماء الله : الشاكر ، والشكور ، وقد فسرتهما في اللغة (الفائدة الخامسة) قولنا « الحمد لله رب العالمين » أفضل عند المحققين من لا إله إلا الله لوجهين : أحدهما ما خرجه النسائي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من قال لا إله إلا الله كتب له عشرون حسنة ، ومن قال الحمد لله رب العالمين كتب له ثلاثون حسنة » والثاني : أنّ التوحيد الذي يقتضيه لا إله إلا الله حاصل في قولك «رب العالمين» وزادت بقولك الحمد لله ، وفيه من المعاني ماقدمنا ، وأما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله » فإنما ذلك للتوحيد الذي يقتضيه ، وقد شاركتها الحمد لله رب العالمين في ذلك وزادت عليها ، وهذا المؤمن يقولها لطلب الثواب ، وأما لمن دخل في الإسلام فيتعين عليه لا إله إلا الله (الفائدة السادسة) الرب وزنه فعل بكسر العين ثم أدغم ، ومعانيه أربعة : الإله ، والسيد ، والمالك ، والمصلح . وكلها في رب العالمين ، إلا أنّ الأرجح معنى الإله : لاختصاصه لله تعالى ، كما أنّ الأرجح في العالمين ان يراد به كل موجود سوى الله تعالى ، فيعم جميع المخلوقات (الفائدة السابعة) ملك قراءة الجماعة بغير ألف من الملك ، وقرأ عاصم والكسائي بالألف والتقدير على هذا : مالك مجيء يوم الدين ، أو مالك الأمر يوم الدين ، وقراءة الجماعة أرجح من ثلاثة أوجه . الأول : أنّ الملك أعظم من المالك إذ قد يوصف كل أحد بالمالك لماله ، وأما الملك فهو سيد الناس ، والثاني : قوله (وله الملك يوم ينفخ في الصور) والثالث : أنها لا تقتضي حذفا ، والأخرى تقتضيه ؛ لأنّ تقديرها مالك الأمر، أو مالك مجيء يوم الدين ، والحذف على خلاف الأصل . وأمّا قراءة الجماعة فإضافة ملك إلى يوم الدين فهي على طريقة الاتساع ، وأجرى الظرف مجرى المفعول به ، والمعنى على الظرفية : أي الملك في يوم الدين ، ويجوز أن يكون المعنى ملك الأمور يوم الدين ، فيكون فيه حذف . وقد رويت القراءتان في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قرئ ملك بوجوه كثيرة إلا أنها شاذة (الفائدة الثامنة) الرحمن ، الرحيم ، مالك : صفات ، فإن قيل : كيف جرّ مالك ومالك صفة للمعرفة ، وإضافة اسم الفاعل غير محضة . فالجواب أنها تكون غير محضة إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال ، وأما هذا فهو مستمر دائما فإضافته محضة (الفائدة التاسعة) هو يوم القيامة ويصلح هنا في معاني الدين والحساب والجزاء والقهر ، ومنه إنا لمدينون (الفائدة العاشرة) إياك في الموضعين مفعول بالفعل الذي بعده ، وإنما قدم ليفيد الحصر فإنّ تقديم المعمولات يقتضي الحصر ، فاقتضى قول العبد إياك نعبد أن يعبد الله وحده لاشريك له ، واقتضى قوله « وإياك نستعين » اعترافا بالعجز والفقر وأنا لانستعين إلا بالله وحده (الفائدة الحادية عشرة) إياك نستعين : أي نطلب العون منك على العبادة وعلى جميع أمورنا ، وفي هذا دليل على بطلان قول القدرية والجبرية ، وأنّ الحق بين ذلك (الفائدة الثانية عشرة) اهدنا : دعاء بالهدى . فإن قيل كيف يطلب المؤمنون الهدى وهو حاصل لهم ؟ فالجواب أنّ ذلك طلب للثبات عليه إلى الموت ، أو الزيادة منه فإنّ الارتقاء في المقامات لانهاية له (الفائدة الثالثة عشرة) قدم الحمد والثناء على الدعاء لأنّ تلك السنة في الدعاء وشأن الطلب أن يأتي بعد المدح ، وذلك أقرب للإجابة . وكذلك قدم الرحمن على ملك يوم الدين لأنّ رحمة الله سبقت غضبه ، وكذلك قدم إياك نعبد على إياك نستعين لأنّ تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة (الفائدة الرابعة عشرة) ذكر الله تعالى في أول هذه السورة على طريق الغيبة ، ثم على الخطاب في إياك نعبد وما بعده ، وذلك يسمى الالتفات ، وفيه إشارة إلى أنّ العبد إذا ذكر الله تقرب منه

فصار من أهل الحضور فناداه (الفائدة الخامسة عشرة) الصراط فى اللغة الطريق المحسوس الذى يمشى ثم استعير للطريق الذى يكون الإنسان عليها من الخير والشر ، ومعنى المستقيم القويم الذى لاعوج فيه ، فالصراط المستقيم الإسلام ، وقيل القرآن ، والمعنيان متقاربان ، لأنّ القرآن يضمن شرائع الإسلام وكلاهما مروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقرئ الصراط بالصاد والسين وبين الصاد والزاى ، وقد قيل إنه قرئ بزاى خالصة ، والأصل فيه السين ، وإنما أبدلوا منها صاداً لموافقة الطاء فى الاستعلاء والإطباق ، وأما الزاى فلموافقة الطاء فى الجهر (الفائدة السادسة عشرة) الذين أنعمت عليهم: قال ابن عباس: هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون. وقيل المؤمنون ، وقيل الصحابة ، وقيل قوم موسى وعيسى قبل أن يغيروا ، والأوّل أرجح لعمومه ، ولقوله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (الفائدة السابعة عشرة) إعراب غير المغضوب بدل ، ويبعد النعت لأنّ إضافته غير مخصوصة وهو قد جرى عن معرفة وقرئ بالنصب على الاستثناء أو الحال (الفائدة الثامنة عشرة) إسناد نعمة عليهم إلى الله ، والغضب لما لم يسم فاعله على وجه التأدب : كقوله : وإذا مرضت فهو يشفين ، وعليهم أوّل فى موضع نصب ، والثانى فى موضع رفع (الفائدة التاسعة عشرة) المغضوب عليهم اليهود ، والضالين : النصارى ، قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما ، وقد روى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل ذلك عام فى كل مغضوب عليه ، وكل ضال ، والأول أرجح لأربعة أوجه : روايته عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وجلالة قائله ، وذكر ولا فى قوله ولا الضالين دليل على تغاير الطائفتين وأن الغضب صفة اليهود فى مواضع من القرآن : كقوله فباؤا بغضب ، والضلال صفة النصارى لاختلاف أقوالهم الفاسدة فى عيسى ابن مريم عليه السلام ، ولقول الله فيه وقد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل، (الفائدة العشرون) هذه السورة جمعت معانى القرآن العظيم كله فكأنها نسخة مختصرة منه فتأملها بعد تحصيل الباب السادس من المقدّمة الأولى تعلم ذلك فى الألوهية حاصلا فى قوله : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، والدار الآخرة : فى قوله مالك يوم الدين ، والعبادات كلها من الاعتقادات والأحكام التى تقتضيها الأوامر والنواهى : فى قوله إياك نعبد ، والشريعة كلها فى قوله : الصراط المستقيم ، والأنبياء وغيرهم فى قوله الذين أنعمت عليهم ، وذكر طوائف الكفار فى قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين

﴿خاتمة﴾ أمر بالتأمين عند خاتمة الفاتحة للدعاء الذى فيها ، وقولك آمين اسم فعل معناه اللهم استجب ، وقيل هو من أسماء الله ويجوز فيه مدّ الهمزة وقصرها أو لا يجوز تشديد الميم ، وليؤمن فى الصلاة . المأموم والفذ والإمام إذا أسرّ ، واختلفوا إذا جهر

ســـورة البقرة

مدنية إلا آية ٢٨١ فنزلت بمنى فى حجة الوداع

وآياتها مائتان وست وثمانون وهى أول سورة نزلت بالمدينة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَٰبُ لَارَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ

ســـورة البقرة

(الٓمٓ) اختلف فيه وفى سائر حروف الهجاء فى أوائل حروف السور ، وهى : المصٓ ، والرٓ ، والمرٓ ، وكهيعص ، وطه ، وطسم ، وطس ، ويسٓ ، وصٓ ، وقٓ ، وحمٓ ، وحمٓ عسقٓ ، ون . فقال قوم لاتفسر لأنها من المتشابه الذى لايعلم تأويله إلاالله ، قال أبوبكر الصديق : لله فى كل كتاب سرٌ ، وسرّه فى القرآن فواتح السور ، وقال قوم تفسر ، ثم اختلفوا فيها ، فقيل هى أسماء السور ، وقيل أسماء الله ، وقيل : أشياء أقسم الله بها ، وقيل هى حروف مقطعة من كلمات : فالألف من الله ، واللام من جبريل ، والميم من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومثل ذلك فى سائرها ، وورد فى الحديث أن بنى إسرائيل فهموا أنها تدل بحروف أبجدعلى السنين التى تبقى هذه الأمة ، وسمع النبى صلى الله عليه وآله وسلم منهم ذلك فلم ينكره ، وقد جمع أبوالقاسم السهيلى عددها على ذلك بعد أن أسقط المتكرر فبلغت تسعمائة وثلاثة ، وإعراب هذه الحروف يختلف بالاختلاف فى معناها فيتصور أن تكون فى موضع رفع أونصب أوخفض . فالرفع على أنها مبتدأ أوخبر ابتداء مضمر ، والنصب على أنها مفعول بفعل مضمر ، والخفض على قول من جعلها مقسما بها كقولك : الله لأفعلن (ذلك الكتاب) هو هنا القرآن ، وقيل التوراة والإنجيل ، وقيل اللوح المحفوظ وهو الصحيح الذى دل عليه سياق الكلام ويشهدله مواضع من القرآن والمقصودمنها إثبات أن القرآن من عندالله كقوله «تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين» يعنى القرآن باتفاق ، وخبر ذلك : لاريب فيه ، وقيل خبره الكتاب فعلى هذا «ذلك الكتاب» جملة مستقلة فيوقف عليه (لاريب فيه) أى لاشك أنه من عند الله فى نفس الأمر فى اعتقاد أهل الحق ، ولم يعتبر أهل الباطل ، وخبر لاريب : فيه ، فيوقف عليه ، وقيل خبرها محذوف فيوقف على «لاريب» والأول أرجح لتعينه فى قوله «لاريب» فى مواضع أخر ، فإن قيل : فهلا قدم قوله فيه على الريب كقوله «لافيها غول» ؟ فالجواب : أنه إنما قصد نفى الريب عنه . ولوقدم فيه : لكان إشارة إلى أن ثمّ كتاب آخر فيه ريب ، كما أن «لافيها غول» إشارة إلى أن خمر الدنيا فيهاغول ، وهذا المعنى يبعد قصده فلايقدم الخبر (هدى) هنا بمعنى الإرشاد لتخصيصه بالمتقين ، ولوكان بمعنى البيان لعم كقوله «هدى للناس» وإعرابه خبر ابتداء أومبتدأ وخبره فيه ، عند مايقف على لاريب ، أو منصوب على الحال والعامل فيه الإشارة (للمتقين) مفتعلين من التقوى ، وقد تقدم معناه فى الكتاب ، فنتكلم عن التقوى فى ثلاثة فصول

الأول : فى فضائلها المستنبطة من القرآن ، وهى خمس عشرة : الهدى كقوله «هدى للمتقين» والنصرة ، لقوله «إن الله مع الذين اتقوا» والولاية لقوله «الله ولىّ المتقين» والمحبة لقوله «إن الله يحب المتقين» والمغفرة لقوله «إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا» والمخرج من الغم والرزق من حيث لايحتسب لقوله «ومن يتق الله

وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ

يجعل له مخرجا الآية ، وتيسير الأمور لقوله «ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » وغفران الذنوب وإعظام الأجور لقوله «ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا » وتقبل الأعمال لقوله «إنما يتقبل الله من المتقين » والفلاح لقوله « واتقوا الله لعلكم تفلحون » والبشرى لقوله «لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » ودخول الجنة لقوله «إنّ للمتقين عند ربهم جنات النعيم » والنجاة من النار لقوله «ثم ننجى الذين اتقوا »

الفصل الثانى : البواعث على التقوى عشرة : خوف العقاب الأخروى ، وخوف الدنيوى ، ورجاء الثواب الدنيوى ، ورجاء الثواب الأخروى ، وخوف الحساب ، والحياء من نظر الله ، وهو مقام المراقبة ، والشكر على نعمه بطاعته ، والعلم لقوله «إنما يخشى الله من عباده العلماء » وتعظيم جلال الله ، وهو مقام الهيبة ، وصدق المحبة لقول القائل : —

تعصى الإله وأنت تظهر حبه | هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته | إن المحب لمن يحب مطيع

ولله درّ القائل : —

قالت وقد سألت عن حال عاشقها | لله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقلت لو كان يظن الموت من ظمإ | وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

الفصل الثالث : درجات التقوى خمس : أن يتقى العبد الكفر ، وذلك مقام الإسلام ، وأن يتقى المعاصى والحرمات وهو مقام التوبة ، وأن يتقى الشبهات ، وهو مقام الورع ، وأن يتقى المباحات وهو مقام الزهد ، وأن يتقى حضور غير الله على قلبه ، وهو مقام المشاهدة (الذين يؤمنون بالغيب) فيه قولان يؤمنون بالأمور المغيبات كالآخرة وغيرها فالغيب على هذا بمعنى الغائب إما تسميه بالمصدر كعدل ، وإما تخفيفا فى فعيل : كيت ، والآخر يؤمنون فى حال غيبهم أى باطنا وظاهرا ، وبالغيب على القول الأول : يتعلق بيؤمنون وعلى الثانى فى موضع الحال ، ويجوز فى الذين أن يكون خفضا على النعت أو نصبا على إضمار فعل أو رفعا على أنه خبر مبتدإ (ويقيمون الصلاة) إقامتها : علمها من قولك : قامت السوق ، وشبه ذلك والكمال المحافظة عليها فى أوقاتها بالإخلاص لله فى فعلها ، وتوفية شروطها ، وأركانها ، وفضائلها ، وسننها ، وحضور القلب الخشوع فيها ، وملازمة الجماعة فى الفرائض والإكثار من النوافل (ومما رزقناهم ينفقون) فيه ثلاثة أقوال : الزكاة لاقترانها مع الصلاة ، والثانى أنه التطوع ، والثالث العموم ، وهو الأرجح ؛ لأنه لادليل على التخصيص ، (والذين يؤمنون) هل هم المذكورون قبل فيكون من عطف الصفات أوغيرهم وهم من أسلم من أهل الكتاب فيكون عطفا للمغايرة أو مبتدأ وخبره الجملة بعد (بما أنزل إليك) القرآن (وما أنزل من قبلك) التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله عز وجل (إنّ الذين كفروا) فيمن سبق القدر أنه لا يؤمن كأبى جهل ، فإن كان الذين للجنس : فلفظها عام يراد به الخصوص ، وإن كان للعهد فهو إشارة إلى قوم بأعيانهم ، وقد اختلف فيهم ؛ فقيل المراد من قتل ببدر من كفار قريش ، وقيل المراد حيّ بن أخطب وكعب بن الأشرف

أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ
إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝

اليهوديان (سواء) خبر إن و(أنذرتهم) فاعل به لأنه فى تقدير المصدر ، وسواء مبتدأ ، وأنذرتهم خبره أو العكس وهو أحسن ، و(لا يؤمنون) على هذه الوجوه : استئنافا للبيان ، أو للتأكيد ، أو خبر بعد خبر أو تكون الجملة اعتراضا ، ولا يؤمنون الخبر ، والهمزة فى ءأنذرتهم لمعنى التسوية قد انسلخت من معنى الاستفهام (ختم) الآية تعليل لعدم إيمانهم ، وهو عبارة عن إضلالهم ، فهو مجاز وقيل حقيقة وأن القلب كالكف ينقبض مع زيادة الضلال أصبعا أصبعا حتى يختم عليه ، والأول أرجح ، و(على سمعهم) معطوف على قلوبهم ، فيوقف عليه ، وقيل الوقف على قلوبهم ، والسمع راجع إلى مابعده ، والأول أرجح لقوله «وختم على سمعه وقلبه » (غشاوة) مجاز باتفاق ، وفيه دليل على وقوع المجاز فى القرآن خلافا لمن منعه ، ووحد السمع لأنه مصدر فى الأصل والمصادر لا تجمع (ومن الناس) أصل الناس أناس لأنه مشتق من الإنس وهو اسم جمع وحذفت الهمزة مع لام التعريف تخفيفا (من يقول) إن كان اللام فى الناس للجنس فمن موصوفة وإن جعلتها للعهد فمن موصولة وأفرد الضمير فى يقول رعيا للفظ ومن (وما هم بمؤمنين) هم المنافقين وكانوا جماعة من الأوس والخزرج رأسهم عبدالله بن أبيّ ابن سلول يظهرون الاسلام ويسرون الكفر ، ويسمى الآن من كذلك : زنديقا ، وهم فى الآخرة مخلدون فى النار ، وأما فى الدنيا إن لم تقم عليهم بينة فحكمهم كالمسلمين فى دمائهم وأموالهم وإن شهد على معتقدهم شاهدان عدلان ، فمذهب مالك : القتل ، دون الاستتابة ، ومذهب الشافعى الاستتابة وترك القتل ، فإن قيل : كيف جاء قولهم «آمنا» جملة فعلية «وما هم بمؤمنين» جملة إسمية فهلا طابقتها ؟ فالجواب : أن قولهم «وما هم بمؤمنين» أبلغ وآكد فى نفى الإيمان عنهم من لو قال ما آمنوا ، فإن قيل : لم جاء قولهم آمنا مقيدا بالله واليوم الآخر ، وما هم بمؤمنين مطلقا ؟ فالجواب أنه يحتمل وجهين : التقييد ؛ فتركه لدلالة الأول عليه ، والاطلاق ، وهو أعم فى سلبهم من الايمان (يخادعون) أى يفعلون فعل المخادع ، ويرومون الخدع بإظهار خلاف مايسرون ، وقيل معناه يخدعون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والأول أظهر (ومايخادعون إلا أنفسهم) أى وبال فعلهم راجع عليهم ، وقرئ وما يخدعون بفتح الياء من غير ألف من خدع وهو أبلغ فى المعنى ، لأنه يقال خادع إذا رام الخداع ، وخدع إذا تم له (وما يشعرون) حذف معموله أى لا يشعرون أنهم يخدعون أنفسهم (فى قلوبهم مرض) يحتمل أن يكون حقيقة ، وهو الألم الذى يجدونه من الخوف وغيره ، وأن يكون مجازا بمعنى الشك أو الحسد (فزادهم) يحتمل الدعاء والخبر (يكذبون) بالتشديد أى يكذبون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقرئ بالتخفيف أى يكذبون فى قولهم آمنا (لا تفسدوا) أى بالكفر والنميمة وإيقاع الشر وغير ذلك (إنما نحن مصلحون) يحتمل أن يكون جحود الكفر لقولهم آمنا ، أو اعتقاد أنهم على إصلاح

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءامِنُوا كَمَآ ءامَنَ النَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءامَنَ السُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لَّايَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءامَنُوا قَالُوٓا ءامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ أُولَـٰٓئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَـٰلَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۝ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّايُبْصِرُونَ ۝ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَايَرْجِعُونَ ۝ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَـٰتٌ

(كما آمن الناس) أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والكاف يحتمل أن تكون للتشبيه أو للتعليل ومايحتمل أن تكون كافة كما هي وربمـا أن تكون مصدرية (أنؤمن) إنكار منهم وتقبيح (هم السفهاء) رد عليهم وإناطة السفه بهم ، وكذلك هم المفسدون ، وجاء بالألف واللام ليفيد حصر السفه والفساد فيهم ، وأكده بإن وبألا التي تقتضي الاستئناف وتنبيه المخاطب (قالوا آمنا) كذبوا خوفا من المؤمنين (خلوا إلى شياطينهم) هم رؤساء الكفر ، وقيل شياطين الجن ، وهو بعيد وتعدى خلا بإلى ضمن معنى مشوا وذهبوا أو ركنوا ، وقيل إلى بمعنى مع ، أو بمعنى الباء وجه قولهم (إنا معكم إنمـا نحن مستهزئون) بجملة إسمية مبالغة وتأكيد بخلاف قولهم آمنا فإنه جاء بالفعل لضعف إيمـانهم (الله يستهزئ بهم) فيه ثلاثة أقوال : تسمية للعقوبة باسم الذنب : كقوله «ومكروا ومكر الله» وقيل يملى لهم بدليل قوله «ويمدهم» وقيل يفعل بهم فى الآخرة ما يظهر لهم أنه استهزأ بهم كما جاء فى سورة الحديد «ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا الآية» (ويمدهم) يزيدهم ، وقيل يملى لهم ، وقد ذكروا يعمهون (اشتروا الضلالة) عبارة عن تركهم الهدى مع تمكنهم منه ووقوعهم فى الضلالة فهو مجاز بديع (فاربحت تجارتهم) ترشيح للمجاز ، لمـا ذكر الشر ذكر مايتبعه من الربح والخسران وإسناد عدم الربح إلى التجارة مجاز أيضا لأن الرابح أو الخاسر هو التاجر (وماكانوا مهتدين) فى هذا الشراء أو على الإطلاق وقال الزمخشرى نفى الربح فى قوله : فمـا ربحت ، ونفى سلامة رأس المـال فى قوله : وماكانوا مهتدين (مثلهم كمثل) إن كان المثل هنا بمعنى حالهم وصفتهم فالكاف للتشبيه وإن كان المثل بمعنى التشبيه فالكاف زائدة (استوقد) أى أوقد وقيل طلب الوقود على الأصل فى استفعل (فلمـا أضاءت) إن تعدى فمـا حوله مفعول به ، وإن لم يتعدّ فمـا زائدة أو ظرفية (ذهب الله بنورهم) أى أذهبه ، وهذه الجملة جواب لمـا محذوف تقديره طفيت النار وذهب الله بنورهم : جملة مستأنفة والضمير عائد على المنافقين ، فعلى هذا يكون «الذى» على بابه من الإفراد ، والأرجح أنه أعيد ضمير الجماعة لأنه لم يقصد بالذى : واحد بعينه إنمـا المقصود التشبيه بمن استوقد نارا سواء كان واحدا أو جماعة ، ثم أعيد الضمير بالجمع ليطابق المشبه ، لأنهم جماعة ، فإن قيل : ما وجه تشبيه المنافقين بصاحب النـار التى أضاءت ثم أظلمت ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : أحدها : أن منفعتهم فى الدنيـا بدعوى الإيمـان شبيه بالنور ، وعذابهم فى الآخرة شبيه بالظلمة بعده ، والثانى : أن استخفاء كفرهم كالنور ، وفضيحتهم كالظلمة ، والثالث : أن ذلك فيمن آمن منهم ثم كفر ، فإيمانه نور ، وكفره بعده ظلمة ، ويرجح هذا قوله «ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا» فإن قيل : لم قال «ذهب الله بنورهم» ولم يقل : أذهب الله نورهم ، مشاكلة لقوله «فلما أضاءت» فالجواب : أن إذهاب النور أبلغ لأنه إذهاب للقليل والكثير ، بخلاف الضوء فإنه يطلق على الكثير (صم

وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ۝ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ

بكم عمى) يحتمل أن يراد به المنافقون ، والمستوقد المشبه بهم ، وهذه الأوصاف مجاز عبارة عن عدم انتفاعهم بسمعهم وأبصارهم وكلامهم ، وليس المراد فقد الحواس (فهم لا يرجعون) إن أريد به المنافقون : فمعناه لا يرجعون إلى الهدى ، وإن أريد به أصحاب النار : فمعناه أنهم متحيرون فى الظلمة لا يرجعون ولا يهتدون إلى الطريق (أو كصيب) عطف على الذى استوقد ، والتقدير : أو كصاحب صيب أو للتنويع لأن هذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين ، والصيب : المطر ، وأصله صيوب ، ووزنه فعيل ، وهو مشتق من قولك صاب يصوب ، وفى قوله (من السماء) إشارة إلى قوته وشدة انصبابه ، قال ابن مسعود : إن رجلين من المنافقين هربا إلى المشركين ، فأصابهما هذا المطر وأيقنا بالهلاك ، فعزما على الإيمان ورجعا إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وحسن إسلامهما فضرب الله ما أنزل فيهما مثلا للمنافقين ، وقيل المعنى تشبيه المنافقين فى حيرتهم فى الدين وفى خوفهم على أنفسهم بمن أصابه مطر فيه ظلمات ورعد وبرق ، فضل عن الطريق وخاف الهلاك على نفسه ، وهذا التشبيه على الجملة ، وقيل : إن التشبيه على التفصيل ، فالمطر مثل للقرآن أو الإسلام والظلمات مثل لما فيه من الإشكال على المنافقين والرعد مثل لما فيه من الوعيد والزجر لهم والبرق مثل لما فيه من البراهين الواضحة ، فإن قيل : لم قال رعد وبرق بالإفراد ولم يجمعه كما جمع ظلمات ؟ فالجواب أن الرعد والبرق مصدران والمصدر لا يجمع ، ويحتمل أن يكونا اسمين وجمعهما لأنهما فى الأصل مصدران (يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق) أى من أجل الصواعق قال ابن مسعود : كانوا يجعلون أصابعهم فى آذانهم لئلا يسمعوا القرآن فى مجلس النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فهو على هذا حقيقة فى المنافقين ، والصواعق على هذا ما يكرهون من القرآن والموت هو ما يتخوفونه فهما مجازان-وقيل لأنه راجع لأصحاب المطر المشبه بهم فهو حقيقة فيهم والصواعق على هذا حقيقة وهى التى تكون من المطر من شدة الرعد ونزول قطعة نار والموت أيضاً حقيقة وقيل إنه راجع للمنافقين على وجه التشبيه لهم فى خوفهم بمن جعل أصابعه فى آذانه من شدة الخوف من المطر والرعد ، فإن قيل : لم قال أصابعهم ولم يقل أناملهم والأنامل هى التى تجعل فى الآذان ؟ فالجواب أن ذكر الأصابع أبلغ لأنها أعظم من الأنامل ولذلك جمعها مع أن الذى يجعل فى الآذان السبابة خاصة (والله محيط بالكافرين) أى لا يفوتونه بل هم تحت قهره وهو قادر على عقابهم (يخطف أبصارهم) إن رجع إلى أصحاب المطر وهم الذين شبه بهم المنافقين : فهو بين فى المعنى ، وإن رجع إلى المنافقين: فهو تشبيه بمن أصابه البرق على وجهين : أحدهما : تكاد براهين القرآن تلوح لهم كما يضيء البرق ، وهذا مناسب لتمثيل البراهين بالبرق حسبما تقدم ، والآخر : يكاد زجر القرآن ووعيده يأخذهم كما يكاد البرق يخطف أبصار أصحاب المطر المشبه بهم (كلما أضاء لهم مشوا فيه) إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم يمشون بضوء البرق إذا لاح لهم ، وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى أنه يلوح لهم من الحق ما يقربون به من الإيمان (وإذا أظلم عليهم قاموا) إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم إذا زال عنهم الضوء وقفوا متحيرين لا يعرفون الطريق ، وإن رجع إلى المنافقين : فالمعنى أنه إذا ذهب عنهم ما لاح لهم من الإيمان : ثبتوا على كفرهم ، وقيل إن المعنى كلما صلحت أحوالهم فى الدنيا قالوا

إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝
ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ
فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟

هذا دين مبارك ؛ فهذا مثل الضوء ، وإذا أصابتهم شدة أومصيبة عابوا الدين وسخطوا : فهذا مثل الظلمة ، فان قيل : لم قال مع الإضاءة كلما ، ومع الظلام إذا ؟ فالجواب أنهم لما كانوا حراصاً على المشي ذكر معه كلما ، لأنها تقتضى التكرار والكثرة (ولو شاء الله) الآية : إن رجع إلى أصحاب المطر : فالمعنى لو شاء الله لأذهب سمعهم بالرعد وأبصارهم بالبرق ، وإن رجع إلى المنافقين : فالمعنى لو شاء الله لأوقع بهم العذاب والفضيحة ، وجاءت العبارة عن ذلك بإذهاب سمعهم وأبصارهم والباء للتعدية كما هي في قوله تعالى : ذهب الله بنورهم ، (يأيهاالناس) الآية لما قدم اختلاف الناس في الدين وذكر ثلاث طوائف : المؤمنين ، والكافرين والمنافقين : أتبع ذلك بدعوة الخلق إلى عبادة الله وجاء بالدعوة عامة للجميع لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث إلى جميع الناس (اعبدوا ربكم) يدخل فيه الإيمان به سبحانه وتوحيده وطاعته ، فالأمر بالإيمان به لمن كان جاحدا ، والأمر بالتوحيد لمن كان مشركا ، والأمر بالطاعة لمن كان مؤمنا (لعلكم) يتعلق بخلقكم : أى خلقكم لتتقوه كقوله « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » أو بفعل مقدر من معنى الكلام أى دعوتكم إلى عبادة الله لعلكم تتقون ، وهذا أحسن . وقيل يتعلق بقوله « اعبدوا » ، وهذا ضعيف ، وإن كانت لعل للترجي فتأويله أنه في حق المخلوقين جريا على عادة كلام العرب ، وإن كانت للمقاربة أو التعليل فلا إشكال ، والأظهر فيها أنها لمقاربة الأمر نحو عسى ، فإذا قالها الله : فمعناها أطماع العباد ، وهكذا القول فيها حيث ما وردت في كلام الله تعالى (الأرض فراشا) تمثيل لما كانوا يقعدون وينامون عليها كالمراش فهو مجاز وكذلك السماء بناء (من الثمرات) من للتبعيض أو لبيان الجنس ، لأن الثمرات هو المأكول من الفواكه وغيرها والباء في به سببية ، أو كقولك كتبت بالقلم لأن الماء سبب في خروج الثمرات بقدرة الله تعالى (فلا تجعلوا) لا ناهية أو نافية ، وانتصب الفعل بإضمار أن بعد الفاء في جواب اعبدوا ، والأول أظهر (أندادا) يراد به هنا الشركاء المعبودون مع الله جل وعلا (وأنتم تعلمون) حذف مفعوله مبالغة وبلاغة أى وأنتم تعلمون وحدانيته بما ذكر لكم من البراهين ، وفي ذلك بيان لقبح كفرهم بعد معرفتهم بالحق ، ويتعلق قوله بلا تجعلوا بما تقدم من البراهين ، ويحتمل أن يتعلق بقوله « اعبدوا » ، والأول أظهر

(فوائد ثلاث) الأولى : هذه الآية ضمنت دعوة الخلق إلى عبادة الله بطريقين « أحدهما » إقامة البراهين بخلقتهم وخلقة السموات والأرض والمطر والسموات « والآخر » ملاطفة جميلة بذكر ما لله عليهم من الحقوق ومن الإنعام فذكر أولا ربوبيته لهم ، ثم ذكر خلقته لهم وآبائهم لأن الخالق يستحق أن يعبد ، ثم ذكر ما أنعم الله به عليهم من جعل الأرض فراشا والسماء بناء ، ومن إنزال المطر ، وإخراج الثمرات ، لأن المنعم يستحق أن يعبد ويشكر ، وانظر قوله : جعل لكم . ورزقا لكم : يدلك على ذلك لتخصيصه ذلك بهم في ملاطفة وخطاب بديع .

شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ

الثانية : المقصود الأعظم من هذه الآية : الأمر بتوحيد الله وترك ماعبد من دونه لقوله فى آخرها : فلا تجعلوا لله أندادا ، وذلك هو الذى يترجم عنه بقولنا : لا إله إلا الله ، فيقتضى ذلك الأمر بالدخول فى دين الإسلام الذى قاعدته التوحيد ، وقول لا إله إلا الله تكون فى القرآن ذكر المخلوقات ، والتنبيه على الاعتبار فى الأرض والسموات والحيوان والنبات والرياح والأمطار والشمس والقمر والليل والنهار ، وذلك أنها تدل بالعقل على عشرة أمور . وهى : أن الله موجود ، لأن الصنعة دليل على الصانع لامحالة ، وأنه واحد لاشريك له ، لأنه لاخالق إلا هو «أفمن يخلق كمن لايخلق» وأنه حى قدير عالم مريد ، لأن هذه الصفات الأربع من شروط الصانع ، إذ لاتصدر صنعة عمن عدم صفة منها ، وأنه قديم لأنه صانع للمحدثات ، فيستحيل أن يكون مثلها فى الحدوث ، وأنه باق ، لأن ماثبت قدمه استحال عدمه ، وأنه حكيم ، لأن آثار حكمته ظاهرة فى إتقانه للمخلوقات وتدبيره للملكوت ، وأنه رحيم ، لأن فى كل ماخلق منافع لبنى آدم سخر لهم مافى السموات ومافى الأرض وأكثر مايأتى ذكر المخلوقات فى القرآن فى معرض الاستدلال على وجوده تعالى وعلى وحدانيته ، فإن قيل لم قصر الخطاب بقوله لعلكم تتقون على المخاطبين دون الذين من قبلهم ، مع أنه أمر الجميع بالتقوى ؟ فالجواب : أنه لم يقصره عليهم ولكنه غلب المخاطبين على الغائبين فى اللفظ ، والمراد الجميع ، فإن قيل : هلا قال لعلكم تعبدون مناسبة لقوله اعبدوا ؟ فالجواب أن التقوى غاية العبادة وكمالها فكان قوله لعلكم تتقون أبلغ وأوقع فى النفوس (وإن كنتم فى ريب) الآية إثبات لنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإقامة الدليل على أن القرآن جاء به من عند الله فلما قدم إثبات الألوهية أعقبها بإثبات النبوة ، فإن قيل : كيف قال إن كنتم فى ريب ، ومعلوم أنهم كانوا فى ريب وفى تكذيب ؟ فالجواب أنه ذكر حرف إن إشارة إلى أن الريب بعيد عند العقلاء فى مثل هذا الأمر الساطع البرهان ، فلذلك وضع حرف التوقع والاحتمال فى الأمر الواقع لبعد وقوع الريب وقبحه عند العقلاء . وكما قال تعالى « لاريب فيه » (على عبدنا) هو النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، والعبودية على وجهين : عامة ، وهى التى بمعنى الملك ، وخاصة وهى التى يراد بها التشريف والتخصيص ، وهى من أوصاف أشراف العباد ولله در القائل : —

لاتدعنى إلا ياعبدها ۰ فإنه أشرف أسمائى

(فأتوا بسورة) أمر يراد به التعجيز (من مثله) الضمير عائد على ماأنزلنا وهو القرآن ، ومن لبيان الجنس ، وقيل يعود على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن على هذا : لابتداء الغاية من بشر مثله ، والأول أرجح لتعيينه فى يونس وهود ، وبمعنى مثله فى فصاحته وفيما تضمنه من العلوم والحكم العجيبة والبراهين الواضحة (شهداءكم) آلهتكم أوأعوانكم أومن يشهدلكم (من دون الله) أى غير الله ، وقيل هو من الدين الحقير فهو مقلوب اللفظ (ولن تفعلوا) اعتراض بين الشرط وجوابه فيه مبالغة وبلاغة ، وهو إخبار ظهر مصداقه فى الوجود إن لم يقدر أحد أن يأتى بمثل القرآن مع فصاحة العرب فى زمان نزوله وتصرفهم فى الكلام وحرصهم على التكذيب ، وفى الإخبار بذلك معجزة أخرى وقد اختلف فى عجز الخلق عنه على قولين : أحدهما أنه ليس فى قدرتهم الإتيان بمثله وهو الصحيح ، والثانى أنه كان فى قدرتهم وصرفوا عنه . والإعجاز حاصل على الوجهين

وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ۞ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَـٰذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۞ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا وَمَا

وقد بينا سائر وجوه إعجازه فى المقدمة (فاتقوا النار) أى فآمنوا لتنجوا من النار ، وعبر باللازم عن ملازمه لأن ذكر النار أبلغ فى التفخيم والتهويل والتخويف (وقودها) حطبها (الحجارة) قال ابن مسعود : هى حجارة الكبريت لسرعة اتقادها وشدة حرها وقبح رائحتها ، وقيل الحجارة المعبودة ، وقيل الحجارة على الإطلاق (أعدت) دليل على أنها قد خلقت ، وهو مذهب الجماعة وأهل السنة ، خلافا لمن قال إنها تخلق يوم القيامة ، وكذلك الجنة) (وبشر) يحتمل أن تكون خطابا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أو خطابا لكل أحد ورجح الزمخشرى هذا لأنه أفخم (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) دليل على أن الإيمان خلاف العمل لعطفه عليه خلافا لمن قال : الإيمان اعتقاد ، وقول ، وعمل ، وفيه دليل على أن السعادة بالإيمان مع الأعمال خلافا للمرجئة (تجرى من تحتها الأنهار) أى تحت أشجارها وتحت مبانيها ، وهى أنهار الماء واللبن والخمر والعسل وهكذا تفسيره وقع ، وروى أن أنهار الجنة تجرى فى غير أخدود (منها من ثمرة رزقا) من الأولى للغاية أو للتبعيض أو لبيان الجنس ومن الثانية لبيان الجنس (من قبل) أى فى الدنيا بدليل قولهم «إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين» فى الدنيا فإن ثمر الجنة أجناس ثمر الدنيا وإن كانت خيرا منها فى المطعم والمنظر (وأتوا به متشابها) أى يشبه ثمر الدنيا فى جنسه ، وقيل يشبه بعضه بعضا فى المنظر ويختلف فى المطعم ، والضمير المجرور يعود على المرزوق الذى يدل عليه المعنى (مطهرة) من الحيض وأقذار النساء وسائر الأقذار التى تختص بالنساء كالبول وغيره ، ويحتمل أن يريد طهارة الطيب وطيب الأخلاق (لا يستحيي) تأول قوم : أن معناه لا يترك لأنهم زعموا أن الحياء مستحيل على الله لأنه عندهم انكسار يمنع من الوقوع فى أمر ، وليس كذلك وإنما هو كرم وفضيلة تمنع من الوقوع فيما يعاب ، ويرد عليهم قوله صلى الله عليه وآله وسلم « إن الله حيي كريم يستحى من العبد إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً » (أن يضرب) سبب الآية أنه لما ذكر فى القرآن الذباب والنمل والعنكبوت عاب الكفار على ذلك ، وقيل المثلين المتقدمين فى المنافقين تكلموا فى ذلك فنزلت الآية ردا عليهم (مثلا مابعوضة) إعراب بعوضة مفعول بيضرب ، ومثلا حال ، أومثلا مفعول وبعوضة بدل منه أوعطف بيان ، أوهما مفعولان بيضرب لأنها على هذا المعنى تتعدى إلى مفعولين ، وماصفة للنكرة أوزائدة (فما فوقها) فى الكبر ، وقيل فى الصغر ، والأول أصح (فيعلمون أنه الحق) لأنه لا يستحيل على الله أن يذكر ماشاء ولأن ذكر تلك الأشياء فيه حكمة : وضرب أمثال ، وبيان للناس ، ولأن الصادق جاءها من عندالله (ماذا أرادالله) لفظه الاستفهام ، ومعناه الاستبعاد والاستهزاء والتكذيب ، وفى إعراب ماذا وجهان : أن تكون مامبتدأ وذا خبره وهى موصولة ، وأن تكون كلمة مركبة فى موضع نصب على المفعول بأراد ، ومثلا منصوب على الحال أو التمييز (يضل به) من كلام الله جوابا للذين قالوا ماذا أراد الله بهذا مثلا ، وهو أيضا تفسير لما أراد

يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ۝ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا

الله بضرب المثل من الهدى والضلال (عهد الله) مطلق فى العهود وكذلك مابعده من القطع والفساد ، ويحتمل أن يشار بنقض عهد الله إلى اليهود لأنهم نقضوا العهد الذى أخذ الله عليهم فى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ويشار بقطع ماأمر الله به أن يوصل إلى قريش لأنهم قطعوا الأرحام التى بينهم وبين المؤمنين ، ويشار بالفساد فى الأرض إلى المنافقين لأن الفساد من أفعالهم حسبما تقدم فى وصفهم (ميثاقه) الضمير للعهد أولله تعالى (كيف تكفرون) موضعها الاستفهام ، ومعناها هنا الإنكار والتوبيخ (وكنتم أمواتا) أى معدومين أى فى أصلاب الآباء أو نطفا فى الأرحام (فأحياكم) أى أخرجكم إلى الدنيا (ثم يميتكم) الموت المعروف (ثم يحييكم) بالبعث (ثم إليه ترجعون) للجزاء ، وقيل الحياة الأولى حين أخرجهم من صلب آدم لأخذ العهد ، وقيل فى الحياة الثانية إنهاق القبور ، والراجح القول الأول لتعيينة فى قوله «وهو الذى أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم»

(فوائد ثلاثة) الأولى : هذه الآية فى معرض الرد على الكفار وإقامة البرهان على بطلان قولهم ، فإن قيل إنما يصح الاحتجاج عليهم بما يعترفون به ، فكيف يحتج عليهم بالبعث وهم منكرون له ؟ فالجواب أنهم ألزموا من ثبوت مااعترفوا به من الحياة والموت ثبوت البعث ، لأن القدرة صالحة لذلك كله . الثانية : قوله «وكنتم أمواتا فى موضع الحال ، فإن قيل : كيف جاز ترك قد وهى لازمة مع الفعل الماضى إذا كان فى موضع الحال فالجواب أنه قد جاء بعد الماضى مستقبل والمراد بمجموع الكلام كأنه يقول وحالهم هذه فلذلك لم تلزم قد . الثالثة : عطف فأحياكم بالفاء لأن الحياة أثر العدم ولا تراخى بينهما ، وعطف ثم يميتكم وثم يحييكم بثم للتراخى الذى بينهما (خلق لكم ما فى الأرض) دليل على إباحة الانتفاع بما فى الأرض (ثم استوى) أى قصد لها والسماء هنا جنس ولأجل ذلك أعاد عليها بعد ضمير الجماعة (فسواهن) أى أتقن خلقهن : كقوله : فسواك فعدلك ، وقيل جعلهن سواء (فائدة) هذه الآية تقتضى أنه خلق السماء بعد الأرض ، وقوله : والأرض بعد ذلك دحاها ، ظاهره خلاف ذلك ، والجواب من وجهين : أحدهما أن الأرض خلقت قبل السماء ، ودحيت بعد ذلك فلا تعارض ، والآخر تكون ثم لترتيب الأخبار (الملائكة) جمع ملك واختلف فى وزنه فقيل فعل فالميم أصلية ، ووزن ملائكة على هذا مفاعلة وقيل هى من الألوكة وهى الرسالة فوزنه مفعل ووزنه مألك ثم حذفت الهمزة ووزن ملائكة على هذا مفاعلة ، ثم قلبت وأخرت الهمزة فصار مفاعلة وذلك بعيد (خليفة) هو آدم عليه السلام ؛ لأن الله استخلفه فى الأرض ، وقيل ذريته لأن بعضهم يخلف بعضا ، والأول أرجح ، ولو أراد الثانى لقال خلفاء (أتجعل فيها) الآية : سؤال محض لأنهم استبعدوا أن يستخلف الله من يعصيه وليس فيه اعتراض ؛ لأن الملائكة منزهون عنه وإنما علموا أن بنى آدم يفسدون بإعلام الله إياهم بذلك ، وقيل

مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ، وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ، قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ، قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ، وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ، وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ، فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا

كان فى الأرض جنّ فأفسدوا ، فبعث الله إليهم ملائكة فقتلتهم ، فقاس الملائكة بنى آدم عليهم (ونحن نسبح) اعتراف والتزام للتسبيح لا افتخار (بحمدك) أى حامدين لك والتقدير نسبح متلبسين بحمدك ، فهو فى موضع الحال (ونقدس لك) يحتمل أن تكون الكاف مفعولا ودخلت عليها اللام كقولك ضربت لزيدا ، وأن يكون المفعول محذوفا أى نقدسك على معنى ننزهك أونعظمك ، وتكون اللام فى لك للتعليل أى لأجلك ، أويكون التقدير نقدس أنفسنا أى نطهرها لك (مالا تعلمون) أى ما يكون فى بنى آدم من الأنبياء والأولياء وغير ذلك من المصالح والحكمة (الاسماء كلها) أى أسماء بنى آدم وأسماء أجناس الأشياء لتسمية القمر والشجر وغير ذلك (ثم عرضهم) أى عرض المسميات ، وبين أشخاص بنى آدم وأجناس الأشياء (أنبؤنى) أمر على وجه التعجيز (إن كنتم صادقين) أى فى قولكم إن الخليفة يفسد فى الأرض ويسفك الدماء وقيل إن كنتم صادقين فى جواب السؤال والمعرفة بالأسماء (لاعلم لنا) اعتراف (أنبئهم بأسمائهم) أى أنبئ الملائكة بأسماء ذريتك أو بأسماء أجناس الأشياء (اسجدوا لآدم) السجود على وجه التحية وقيل عبادة لله ، وآدم كالقبلة (فسجدوا) روى أن من أول من سجد إسرافيل ، ولذلك جازاه الله بولاية اللوح المحفوظ (إلا إبليس) استثناء متصل عند من قال إنه كان ملكا ، ومنقطع عند من قال كان من الجن (استكبر) لقوله أنا خير منه (وكان من الكافرين) قيل كفر بإبايته من السجود وذلك بناء على أن المعصية كفر والأظهر أنه كفر باعتراضه على الله وتسفيهه له فى أمره بالسجود لآدم ، وليس كفره كفر جحود لاعترافه بالربوبية (وزوجك) هى حواء خلقها الله من ضلع آدم ، ويقال زوجة ، وزوج هنا أفصح (الجنة) هى جنة الخلد عند الجماعة وعند أهل السنة ، خلافا لمن قال هى غيرها (لا تقربا) النهى عن القرب يقتضى النهى عن الأكل بطريق الأولى ، وإنما نهى عن القرب سدا للذريعة فهذا أصل فى سد الذرائع (الشجرة) قيل هى شجرة العنب ، وقيل شجرة التين ، وقيل الحنطة ، وذلك مفتقر إلى نقل صحيح واللفظ مبهم (فتكونا) عطف على تقربا ، أو نصب بإضمار أن بعد الفاء فى جواب النهى (فأزلهما) متعدّ من أزل القدم ، وأزالهما بالألف من الزوال (عنها) الضمير عائد على الجنة ، أو على الشجرة فتكون عن سببية على هذا ﴿فائدة﴾ اختلفوا فى أكل آدم من الشجرة فالأظهر أنه كان على وجه النسيان ؛ لقوله تعالى « فنسى ولم نجد له عزما » وقيل سكر من خمر الجنة فحينئذ أكل منها ، وهذا باطل لأن خمر الجنة لا تسكر وقيل أكل عمدا وهى معصية صغرى ، وهذا عند من أجاز على الأنبياء الصغائر ، وقيل تأول آدم أن النهى

فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ۝

كان عن شجرة معينة فأكل من غيرها من جنسها ، وقيل لما حلف له إبليس صدقه لأنه ظن أنه لا يحلف أحد كذبا (اهبطوا) خطاب لآدم وزوجه وإبليس بدليل بعضكم لبعض عدو (مستقر) موضع استقرار وهو فى مدة الحياة ، وقيل فى بطن الأرض بعد الموت (ومتاع) مايتمتع به (إلى حين) إلى الموت (فتلقى) أى أخذ وقيل على قراءة الجماعة ، وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات ، فتلقى على هذا من اللقاء (كلمات) هى قوله : ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكون من الخاسرين ، بدليل ورودها فى الأعراف ، وقيل غير ذلك (اهبطوا) كرر ليناط به مابعده ، ويحتمل أن يكون أحد الهبوطين من السماء ، والآخر من الجنة ، وأن يكون هذا الثانى لذرية آدم لقوله (فإما يأتينكم) إن شرطية وما زائدة للتأكيد ، والهدى هنا : يراد به كتاب الله ورسالته (فمن تبع) شرط ، وهو جواب الشرط الأول . وقيل فلا خوف جواب الشرطين (يا بنى إسرائيل) لما قدم دعوة الناس عموما وذكر مبدأهم : دعا بنى إسرائيل خصوصا وهم اليهود، وجرى الكلام معهم من هنا إلى حزب سيقول السفهاء، فتارة دعاهم بالملاطفة وذكر الإنعام عليهم وعلى آبائهم، وتارة بالتخويف ، وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم على سوء أعمالهم ، وذكر العقوبات التى عاقبهم بها فذكر من النعم عليهم عشرة أشياء ، وهى : وإذ نجيناكم من آل فرعون ، وإذ فرقنا بكم البحر ، وبعثناكم من بعد موتكم ، وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى ، وعفونا عنكم ، وتاب عليكم ، ويغفر لكم خطاياكم ، وآتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ، وانفجرت منه اثنتى عشرة عينا . وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء : قولهم سمعنا وعصينا ، واتخذتم العجل ، وقالوا أرنا الله جهرة ، وبدل الذين ظلموا ولن نصبر على طعام واحد ، ويحرفونه ، وتوليتم من بعد ذلك ، وقست قلوبكم ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء بغير حق . وذكر من عقوباتهم عشرة أشياء : ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ، ويعطوا الجزية ، واقتلوا أنفسكم ، وكونوا قردة ، وأنزلنا عليهم رجزاً من السماء ، وأخذتكم الصاعقة ، وجعلنا قلوبهم قاسية ، وحرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ، وهذا كله جزاء لآبائهم المتقدمين ، وخوطب المعاصرون لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم متبعون لهم راضون بأحوالهم وقد وبخ المعاندين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بتوبيخات أخر ، وهى : كتمانهم أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع معرفتهم به ، ويحرفون الكلم ويقولون هذا من عند الله ، وتقتلون أنفسكم ، وتخرجون فريقا منكم من ديارهم ، وحرصهم على الحياة وعداوتهم لجبريل واتباعهم للسحر ، وقولهم نحن أبناء الله ، وقولهم يد الله مغلولة (نعمتى) اسم جنس فهى مفردة بمعنى الجمع ، ومعناه عام فى جميع النعم التى على بنى إسرائيل مما اشترك فيه معهم غيرهم أو اختصهم به كالمن والسلوى ، وللمفسرين فيه أقوال تحمل على أنها أمثلة ، واللفظ يعم النعم جميعاً (بعهدى) مطلق فى كل ماأخذ عليهم من العهود وقيل الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك قوى لأنه مقصود الكلام (بعهدكم) دخول الجنة

وَءامِنُوا بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ۝ وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ وَٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝

(وإياى) مفعول بفعل مضمر مؤخر لانفصال الضمير ، وليفيد الحصر يفسره فارهبون ، ولا يصح أن يعمل فيه فارهبون ؛ لأنه قد أخذ معموله ، وكذلك إياى فاتقون (بمـا أنزلت) يعنى القرآن (مصدقا لمـا معكم) أى مصدقا للتوراة ، و تصديق القرآن للتوراة وغيرها ، وتصديق محمد صلى الله عليه وآله وسلم للأنبياء والمتقدمين له ثلاث معان : أحدها أنهم أخبروا به ثم ظهر كما قالوا فتبين صدقهم فى الإخبار به ، والآخر أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخبر أنهم أنبياء وأنزل عليهم الكتب ، فهو مصدق لهم أى شاهد بصدقهم ، والثالث أنه وافقهم فيما فى كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة وغير ذلك من عقائد الشرائع فهو مصدق لهم لاتفاقهم فى الإيمان بذلك (ولا تكونوا أول كافر به) الضمير عائد على القرآن وهذا نهى عن المسابقة إلى الكفر به ، ولا يقتضى إباحة الكفر فى ثانى حال ؛ لأن هذا مفهوم معطل ؛ بل يقتضى الأمر بمبادرتهم إلى الإيمان به لمـا يجدون من ذكره ، ولمـا يعرفون من علامته ، ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا : الاشتراء هنا استعارة فى الاستبدال : كقوله : اشتروا الضلالة بالهدى ، والآيات هنا هى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والثمن القليل ما ينتفعون به فى الدنيا من بقاء رياستهم وأخذ الرشا على تغيير أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وغير ذلك ، وقيل كانوا يعلمون دينهم بالأجرة فنهوا عن ذلك ، واحتج الحنفية بهذه الآية على منع الإجارة على تعليم القرآن (الحق بالباطل) الحق هنا يراد به نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والباطل الكفر به ، وقيل الحق التوراة ، والباطل مازادوا فيها (وتكتمون) معطوف على النهى ، أو منصوب بإضمار أن فى جواب النهى ، والواو بمعنى الجمع ، والأول أرجح ، لأنّ العطف يقتضى النهى عن كل واحد من الفعلين ، بخلاف النصب بالواو ، فإنه إنمـا يقتضى النهى عن الجمع بين الشيئين لا النهى عن كل واحد على انفراده (وأنتم تعلمون) أى تعلمون أنه حق (الصلاة وآتو الزكاة) يراد بها صلاة المسلمين وزكاتهم فهو يقتضى الأمر بالدخول فى الإسلام (واركعوا) خصص الركوع بعد ذكر الصلاة لأنّ صلاة اليهود بلا ركوع فكأنه أمر بصلاة المسلمين التى فيها الركوع ، وقيل اركعوا للخضوع والانقياد (مع الراكعين) مع المسلمين فيقتضى ذلك الأمر بالدخول فى دينهم ، وقيل الأمر بالصلاة مع الجماعة (أتأمرون) تقريع و توبيخ لليهود (بالبر) عام فى أنواعه ؛ فوبخهم على أمر الناس وتركهم له ، وقيل كان الأحبار يأمرون من نصحوه فى السر باتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يتبعونه ، وقال ابن عباس : بل كانوا يأمرون باتباع التوراة ، ويخالفون فى جحدهم منها صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (تنسون) أى تتركون ، وهذا تقريع (تتلون الكتاب) حجة عليهم (أفلا تعقلون) توبيخ (واستعينوا بالصبر والصلاة) قيل معناه استعينوا بهـا على مصائب الدنيا ، وقد روى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ونعى إلى ابن عباس أخوه فقام إلى الصلاة فصلى

يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَٱتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝ وَإِذْ فَرَقْنَا

ركعتين وقرأ الآية ، وقيل استعينوا بهما على طلب الآخرة ، وقيل الصبر هنا الصوم ، وقيل الصلاة هنا الدعاء (وإنها) الضمير عائد على العبادة التى تضمنها الصبر والصلاة أو على الاستعانة أو على الصلاة (لكبيرة) أى شاقة صعبة (يظنون) هنا يتيقنون (على العالمين) أى أهل زمانهم وقيل تفضيل من وجه مّاهو كثرة الأنبياء وغير ذلك (لاتجزى) لا تغنى وشيئا مفعول به أو صفة لمصدر محذوف ، والجملة فى موضع الصفة ، وحذف الضمير أى فيه (ولا يقبل منها شفاعة) ليس نفى الشفاعة مطلقا فإنّ مذهب أهل الحق ثبوت الشفاعة لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وشفاعة الملائكة والأنبياء والمؤمنين ، وإنما المراد أنه لايشفع أحد إلا بعد أن يأذن الله له لقوله تعالى «من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه » ولقوله «مامن شفيع إلا من بعد إذنه » ولقوله «ولا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له » وانظر ماورد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستأذن فى الشفاعة فيقال له : اشفع تشفع . فكل ماورد فى القرآن من نفى الشفاعة مطلقا يحمل على هذا لأنّ المطلق يحمل على المقيد ، فليس فى هذه الآيات المطلقة دليل للمعتزلة على نفى الشفاعة (عدل) هنا فدية (ولاهم ينصرون) جمع لأنّ النفس المذكورة يراد بها نفوس (وإذ نجينا كم) تقديره اذكروا إذ نجيناكم أى نجينا آباءكم ، وجاء الخطاب للمعاصرين للنبى صلى الله عليه وآله وسلم منهم لأنهم ذرّيتهم وعلى دينهم ومتبعون لهم ، فحكمهم كحكمهم وكذلك فيما بعد هذا من تعداد النعم لأن الإنعام على الآباء إنعام على الأبناء ، ومن ذكر مساويهم لأنّ ذرّيتهم راضون بها (من آل فرعون) المراد من فرعون وآله ، وحذف لدلالة المعنى ، وآل فرعون هم جنوده وأشياعه وآل دينه لاقرابته خاصة ، ويقال إنّ اسمه الوليد بن مصعب ، وهو من ذرّية عمليق ، ويقال فرعون لكل من ولى مصر ، وأصل آل : أهل ، ثم أبدلت من الهاء همزة وأبدل من الهمزة ألف (فائدة) كل ماذكره فى هذه السور من الأخبار معجزات للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأنه أخبر بها من غير تعلم (يسومونكم سوء العذاب) أى يلزمونهم به ، وهو استعارة من السوم فى البيع وفسر سوء العذاب بقوله (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) ولذلك لم يعطفه هنا ، وأما حيث عطفه فى سورة إبراهيم فيحتمل أن يراد بسوء العذاب غير ذلك بل فيكون عطف مغايرة أو أراد به ذلك ، وعطف لاختلاف اللفظة ، وكان سبب قتل فرعون لأبناء بنى إسرائيل [1] وقيل إنّ آل فرعون تذاكروا وعد الله لإبراهيم بأن يجعل فى ذرّيته ملوكا وأنبياء فحسدوهم على ذلك ، وروى أنه وكل بالنساء رجالا يحفظون من تحمل منهنّ ، وقيل بل وكل على ذلك القوابل ، ولأجل هذا قيل معنى يستحيون يفتشون الحياة ضدّ الموت (فرقنا بكم البحر) فصلناه وجعلناه فرقا اثنى عشر طريقا على عدد

---

(١) كذا بالأصل ولعل هنا سقطة وهى : « أنه رأى فى منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطى بها ولم تتعرض لبنى إسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد فى بنى إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى إسرائيل » ـــ كما فى تفسير الخطيب اه مصححه

بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۞ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ۞ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوٓا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۞ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ۞ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۞ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ

الأسباط والباء سببية أو للمصاحبة، والبحر المذكور هنا: هو بحر القلزم (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة) هى شهر ذى القعدة وعشر ذى الحجة وإنما خص الليالى بالذكر لأنّ العام بها والأيام تابعة لها، والمراد أربعين ليلة بأيامها (اتخذتم العجل) اتخذتموه إلهاً، فحذف لدلالة المعنى (من بعده) أى بعد غيبته فى الطور (الكتاب) هنا التوراة (والفرقان) أى المفرق بين الحق والباطل، وهو صفة للتوراة، عطف عليها لاختلاف اللفظ، وقيل الفرقان هنا فرق البحر، وقيل وآتينا موسى التوراة وآتينا محمداً الفرقان، وهذا بعيد لما فيه من الحذف من غير دليل عليه (فاقتلوا أنفسكم) أى يقتل بعضكم بعضا كقوله «سلموا على أنفسكم» وروى أنّ من لم يعبد العجل قتل من عبده وروى أنّ الظلام ألقى عليهم فقتل بعضهم بعضا حتى بلغ القتلى سبعون ألفا فعفى الله عنهم وإنما خص هنا اسم البلد لأنّ فيه توبيخا للذين عبدوا العجل كأنه يقول كيف عبدتم غير الذى براكم، ومعنى البارى: الخالق (فتاب عليكم) قبله محذوف لدلالة الكلام عليه، وهو فحوى الخطاب أى ففعلتم ما أمرتم به من القتل فتاب عليكم (لن نؤمن لك) تعدى باللام لأنه تضمن معنى الانقياد (جهرة) عيانا (الصاعقة) الموت وكانوا سبعين وهم الذين اختارهم موسى وحملهم إلى الطور فسمعوا كلام الله ثم طلبوا الرؤية فعوقبوا لسوء أدبهم، وجراءتهم على الله، (وظللنا) أى جعلنا الغمام فوقهم كالظلة يقيهم حرّ الشمس، وكان ذلك فى التيه، وكذا أنزل عليه فيه المنّ والسلوى تقدّم فى اللغات (كلوا) معمول لقول محذوف (هذه القرية) بيت المقدس، وقيل أريحاء، وقيل قريب من بيت المقدس (فكلوا) جاء هنا بالفاء التى للترتيب، لأن الأكل بعد الدخول، وجاء فى الأعراف بالواو بعد قوله اسكنوا، لأنّ الدخول لا يتأتى معه السجود، وقيل متواضعين (حطة) تقدّم فى اللغات (وسنزيد) أى نزيدهم أجرا إلى المغفرة (فبدل) روى أنه قالوا: حنطة، وروى: حبة فى شعرة (الذين ظلموا) يعنى المذكورين، وضع الظاهر موضع

فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ۝ وإذ قلتم يموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءو بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ۝ إن الذين ءامنوا والذين هادوا والنصرى والصبئين من ءامن بالله واليوم الآخر وعمل صلحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝ وإذ أخذنا ميثقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما ءاتينكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ۝

المضمر لقصد ذمهم بالظلم ، وكرره زيادة فى تقبيح أمرهم (رجزا) روى أنهم أصابهم الطاعون فمات منهم سبعون ألفا (استسقى) طلب السقيا لما عطشوا فى التيه (الحجر) كان مربعا ذراعا فى ذراع : تفجر من كل جهة ثلاث عيون ، وروى أن آدم كان أهبطه من الجنة ، وقيل هو جنس غير معين ، وذلك أبلغ فى الإعجاز (فانفجرت) قبله محذوف تقديره : فضربه فانفجرت (مشربهم) أى موضع شربهم وكانوا اثنى عشر سبطا لكل سبط عين (كلوا) أى من المن والسلوى ، واشربوا من الماء المذكور (فومها) هى الثوم ، وقيل الحنطة (أدنى) من الدنىء الحقير وقيل أصله أدون ، ثم قلب بتأخير عينه وتقديم لامه (مصر) قيل البلد المعروف وصرف لسكون وسطه . وقيل هو غير معين فهو نكرة لما روى أنهم نزلوا بالشام . والأول أرجح لقوله تعالى «وأورثناها بنى إسرائيل» يعنى مصر (ضربت) أى قضى عليهم بها ، وألزموها وجعله الزمخشرى استعارة من ضرب القبة لأنها تعلو الإنسان وتحيط به (المسكنة) الفاقة ، وقيل الجزية (ذلك بأنهم) الإشارة إلى ضرب الذلة والمسكنة والغضب ، والباء للتعليل (بآيات الله) الآيات المتلوات أو العلامات (بغير الحق) معلوم أنه لا يقتل نبى إلا بغير حق ، وذلك أفصح (فائدة) قال هنا بغير الحق بالتعريف باللام للعهد ، لأنه قد تقررت الموجبات لقتل النفس ، وقال فى الموضع الآخر من آل عمران «بغير حق» بالتنكير لاستغراق النفى . لأن تلك نزلت فى المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم (ذلك بما عصوا) يحتمل أن يكون تأكيدا للأول ، وتكون الإشارة بذلك إلى القتل والكفر ، والباء للتعليل . أى اجترؤا على الكفر وقتل الأنبياء لما انهمكوا فى العصيان والعدوان (إن الذين آمنوا والذين هادوا) الآية : قال ابن عباس نسختها «ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه» ، وقيل معناها أن هؤلاء الطوائف من آمن منهم إيمانا صحيحا فله أجره ، فيكون فى حق المؤمنين الثبات إلى الموت ، وفى حق غيرهم الدخول فى الإسلام ، فلا نسخ ، وقيل إنها فيمن كان قبل بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلا نسخ (من آمن) مبتدأ خبره فلهم أجرهم والجملة خبر إن أو من آمن بدل ، (فلهم أجرهم) خبر إن (ورفعنا فوقكم الطور) لما جاء موسى بالتوراة أبوا أن يقبلوها فرفع الجبل فوقهم وقيل لهم إن لم تأخذوها وقع عليكم (بقوة) جد فى العلم بالتوراة أو العمل بها (اعتدوا منكم فى السبت) اصطادوا

ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ۞ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوٓا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۞ قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ۞ قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ۞ قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۞ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ۞ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۞ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ

فيه الحوت وكان محرما عليهم (كونوا قردة) عبارة عن مسخهم وخاسئين صفة أوخبر ثان ، ومعناه مبعدين كما يخسأ الكلب (فجعلناها) الضمير للفعلة وهى المسخ (نكالا) أى عقوبة لما تقدم من ذنوبهم وماتأخر ، وقيل عبرة لمن تقدم ومن تأخر (أن تذبحوا بقرة) قصتها أن رجلا من بنى إسرائيل قتل قريبه ليرثه وادعى على قوم أنهـم قتلوه فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوا القتيل ببعضها ففعلوا فقام وأخبر بمن قتله ثم عاد ميتا (أتتخذنا هزوا) جفاء وقلة أدب ، وتكذيب (فارض) مسنة (بكر) صغيرة (عوان) متوسطة (بين ذلك) أى بين ماذكر ولذلك قال ذلك مع الإشارة إلى شيئين (صفراء) من الصفرة المفروقة ، وقيل سوداء وهو بعيدوالظاهر صفراء كلهاوقيل القرن والظلف فقط ، وهو بعيد (فاقع) شديدالصفرة (تسرالناظرين) لحسن لونها ، وقيل لسمنها ومنظرها كله (لاذلول) غير مذللة للعمل (تثير الأرض) أى تحرثها وهو داخل تحت النفى على الأصح (ولا تسقى الحرث) لايسقى عليها (مسلمة) من العمل أومن العيوب (لاشية) لالمعة غيرالصفرة ، وهو من وشى فاؤه واو محذوفة كعدة (الآن جئت بالحق) العامل فى الضرب جئت بالحق ، وقيل العامل فيه مضمر تقديره الآن تذبحوها ، والأول أظهر فإن كان قولهم : أتتخذنا هزوا : هكذا : فهذا تصديق وإن كان غير ذلك فالمعنى الحق المبين (وماكادوا) لعصيانهم وكثرة سؤالهم أولغلاء البقرة فقد جاء بأنهاكانت ليتيم وأنهم اشتروها بوزنها ذهبا أو لقلة وجود تلك الصفة ، فقد روى أنهم لوذبحوا أدنى بقرة أجزأت عنهم ، ولكنهم شددوا فشدد عليهم (وإذ قتلتم نفسا) هو أوّل قصة البقرة فرتبته التقديم (إن الله يأمركم) قال الزمخشرى إنما أخر لتعدد توبيخهم لقصتين وهما ترك المسارعة إلى الأمر ، وقتل النفس ولو قدم لكان قصة واحدة بتوبيخ واحد (فادارأتم) أى اختلفتم وهو من المدارأة أى المدافعة (ماكنتم تكتمون) من أمر القتيل ومرة لة (اضربوه) القتيل أوقريبه (ببعضها) مطلقا ، وقيل الفخذ وقيل اللسان ، وقيل الذنب (كذلك)

أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ۝ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ

إشارة إلى حياة القتيل واستدلال بها على الإحياء للبعث ، وقبله محذوف لابد منه تقديره فضعلوا ذلك فقام القتيل ﴿فائدة﴾ استدل المالكية بهذه القصة على قبول قول المقتول فلان قتلنى، وهو ضعيف لأن هذا المقتول قام بعد موته ومعاينة الآخرة ، وقصته معجزة للنبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، فلا يتأتى أن يكذب المقتول ، بخلاف غيره ، واستدلوا أيضا بها على أن القاتل لايرث ولا دليل فيها على ذلك (قست قلوبكم) خطاباً لبنى إسرائيل (من بعد ذلك) أى بعد إحياء القتيل وما جرى فى القصة من العجائب ، وذلك بيان لقبح قسوة قلوبهم بعد ما رأوا تلك الآيات (أو أشد) عطف على موضع الكاف أو خبر ابتداء أى هى أشد ، وأو هنا إما للإبهام أو للتخيير : كأن من علم حالها مخير بين أن يشبهها بالحجارة ، أو بما هو أشد قسوة كالحديد ، أو التفضيل أى فهم أقسى مع أن فعل القسوة ينبنى منه أفعل لكون أشد أدلّ على فرط القسوة (وإن من الحجارة) الآية : تفضيل الحجارة على قلوبهم (يهبط) أى يتردى من علو إلى أسفل والخشية عبارة عن انقيادها ، وقيل حقيقة وأن كل حجر يهبط فمن خشية الله (أفتطمعون) خطاب للمؤمنين (أن يؤمنوا) يعنى اليهود وتعدى باللام لما تضمن معنى الانقياد (فريق منهم) السبعون الذى يسمع كلام الله على الطور ثم حرفوه ، وقيل بنو إسرائيل حرفوا التوراة (من بعد ماعقلوه وهم يعلمون) بيان لقبح حالهم (قالوا آمنا) قالها رجل ادعى الإسلام من اليهود وقيل قالوها ليدخلوا إلى المؤمنين ويسمعوا إلى أخبارهم (أتحدثونهم) توبيخ (بما فتح الله علكم) فيه ثلاثة أوجه بما حكم عليهم من العقوبات وبما فى كتبهم من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبما فتح الله عليهم من الفتح والإنعام ، وكل وجه حجة عليهم ، ولذلك قالوا (ليحاجوكم به عند ربكم) قيل فى الآخرة وقيل أى فى حكم ربكم وما أنزل فى كتابه ، فعنده بمعنى حكمه (أفلا تعقلون) من بقية كلامهم توبيخا لقولهم (ولايعلمون) الآية من كلام الله ردًا عليهم وفضيحة لهم (ومنهم أميون) أى الذين لايقرؤن ولا يكتبون فهم (لايعلمون الكتاب) والمراد قوم من اليهود وقيل من المجوس وهذا غير صحيح ، لأنّ الكلام كله من اليهود (إلا أمانىّ) تلاوة بغير فهم ، أو أكاذيب ، وماتتمناه النفوس (بأيديهم) تحقيق لافترائهم (ثمنا قليلا) عرض الدنيا من الرياسة والرشوة وغير ذلك يكسبون من الدنيا أوهى الذنوب (أياما

تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي
إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ
لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ
أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ
وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ
إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ أُولَٰئِكَ
الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا

معدودة) أربعين يوما عدد عبادتهم العجل وقيل سبعة أيام (تخذتم) الآية : تقرير يقتضى إبطال (بلى) تحقيق لطول مكثهم فى النار ولقولهم مالا يعلمون (من كسب سيئة) الآية : فى الكفار لأنها رد على اليهود ، ولقوله بعدها « والذين آمنوا » فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة فى النار (لا تعبدون إلا الله) جواب لقسم يدل عليه الميثاق ، وقيل خبر بمعنى النهى ، ويرجحه قراءة لا يعبدون وقيل الأصل بان لا تعبدوا ثم حذفت الباء وأن (وبالوالدين) يتعلق بإحسان ، أو بمحذوف تقديره أحسنوا ، ووكد بإحسانا (وذى القربى) القرابة (اليتامى) جمع يتيم : وهو من فقد والده قبل البلوغ ، واليتيم من سائر الحيوان . من فقد أمه ، وجاء الترتيب فى هذه الآية بتقديم الأهم ، فقدم الوالدين لحقهما الأعظم ، ثم القرابة لأن فيهم أجر الإحسان وصلة الرحم ، ثم اليتامى لقلة حيلتهم ، ثم المساكين (لا تسفكون دماءكم)لا يسفك بعضكم دم بعض ، وإعرابه مثل لا تعبدون (ولا تخرجون أنفسكم) لا يخرج بعضكم بعضا (ثم أقررتم) بالميثاق واعترفتم بلزومه (وأنتم تشهدون) بأخذ الميثاق عليكم (هؤلاء) منصوب على التخصيص بفعل مضمر ، وقيل هؤلاء مبتدأ وخبره أنتم وتقتلون حالا لازمة تم بها المعنى (تقتلون أنفسكم) كانت قريظة حلفاء الأوس ، والنضير : حلفاء الخزرج ، وكان كل فريق يقاتل الآخر مع حلفائه ، ويتقيه من موضعه إذا ظفر به (تظاهرون) أى تتعاونون (تفادوهم) قرئ بالألف وحذفها والمعنى واحد ، وكذلك أسارى بالألف وحذفها جمع أسير (وهو محرم) الضمير للإخراج من ديارهم وهو مبتدأ وخبره محرم (وإخراجهم) بدل والضمير للأمر والشأن ، وإخراجهم : مبتدأ ، ومحرم خبره ، والجملة خبر الضمير (أفتؤمنون ببعض الكتاب) فداؤهم الأسارى موافقة لما فى كتبهم (وتكفرون ببعض) القتل والإخراج من الديار مخالفة لما فى كتبهم (خزى) الجزية أو الهزيمة لقريظة والنضير وغيرهم ، أو مطلق (وقفينا

لَاتَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۝ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ۝ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ

من بعده بالرسل) أى جئنا من بعده بالرسل ، وهو مأخوذ من القفا أى جاء بالثانى فى قفا الأول (بالبينات) المعجزات من إحياء الموتى وغير ذلك (روح القدس) جبريل ، وقيل الإنجيل ، وقيل الاسم الذى كان يكنى به الموتى ، والأول أرجح لقوله (قل نزله روح القدس) ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم لحسان : اللهم أيده بروح القدس (تقتلون) جاء مضارعا مبالغة لأنه أيد استحضاره فى النفوس أولأنهم حاولوا قتل محمد صلى الله عليه وآله وسلم لولا أنّ الله عصمه (غلف) جمع أغلف : أى عليها غلاف ، وهو الغشاء فلا تفقهه (بل لعنهم الله) ردّا عليهم ، وبيان أن عدم فقههم بسبب كفرهم (فقليلا) أى إيمانا قليلا (مايؤمنون) ما زائدة ، ويجوز أن تكون القلة بمعنى العدم أو على أصلها لأن من دخل منهم فى الإسلام قليل ، أو لأنهم آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض (كتاب من عند الله) هو القرآن (مصدق) تقدم أن له ثلاثة معان (يستفتحون) أى ينتصرون على المشركين ، إذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان ، ويقولون لأعدائهم المشركين قد أظل زمان نبى يخرج فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، وقيل يستفتحون : أى يعرفون الناس النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، والسين على هذا للمبالغة كما فى استعجب واستسخر ، وعلى الأول للطلب (فلما جاءهم ما عرفوا) القرآن والإسلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال المبرد : كفروا جوابا لما الأولى والثانية ، وأعيدت الثانية لطول الكلام ، ولقصد التأكيد ، وقال الزجاج : كفروا جوابا لما الثانية ، وحذف جواب الأولى للاستغناء عنه لذلك ، وقال الفراء جواب لما الأولى فلما ، وجواب الثانية كفر (على الكافرين) أى عليهم يعنى اليهود ، ووضع الظاهر موضع المضمر ليدل أن اللعنة بسبب كفرهم ، واللام للعهد أو للجنس ، فيدخلون فيها مع غيرهم من الكفار (بئسما) فاعل ليس مضمر وما مفسرة له وإن يكفروا هو المذموم وقال الفراء : بئسما مركب كحبك وقال الكاسى ما مصدرية أى اشتراكهم فهى فاعله (اشتروا) هنا بمعنى باعوا (أن يكفروا) فى موضع خبر ابتداء أو مبتدأ كاسم المذموم فى بئس أو مفعول من أجله أو بدل من الضمير فى به (بما أنزل الله) القرآن أو التوراة لأنهم كفروا بما فيها من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم (أن ينزل) فى موضع مفعول من أجله (من فضله) القرآن والرسالة (من يشاء) يعنى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والمعنى أنهم إنما كفروا حسدا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لما تفضل الله عليه بالرسالة (بغضب على غضب) لعبادتهم العجل ، أو لقولهم عزير ابن الله ، أو لغير ذلك من قبائحهم (بما أنزل الله) القرآن (بما وراءه) أى بما بعده

بِالْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِن بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟
مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ
إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ
صَـٰدِقِينَ ۝ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ
وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا

وهو القرآن (فلم تقتلون) ردّا عليهم فيما ادّعوا من الإيمان بالتوراة ، وتكذيب لهم ، وذكر الماضى بلفظ المستقبل إشارة إلى ثبوته فكأنه دائم لما رضى هؤلاء به (إن كنتم مؤمنين) شرطية بمعنى القدح فى إيمانهم وجوابها يدل عليه ماقبل ، أو نافية فيوقف قبلها والأوّل أظهر (بالبينات) يعنى المعجزات : كالعصا ، وفلق البحر ، وغير ذلك (اتخذتم العجل) ذكر هنا على وجه ألزم لهم ، والإبطال بقولهم : نؤمن بما أنزل علينا ، وكذلك رفع الطور ، وذكر قبل هذا على وجه تعداد النعم لقوله « ثم عفونا عنكم ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته ، وعطفه بثم فى الموضعين إشارة إلى قبح مافعلوه من ذلك (من بعده) الضمير لموسى عليه السلام : أى من بعد غيبته فى مناجاة الله على جبل الطور (سمعنا وعصينا) أى سمعنا قولك وعصينا أمرك ، ويحتمل أن يكونوا قالوه بلسان المقال ، أو بلسان الحال (وأشربوا) عبارة عن تمكن حب العجل من قلوبهم ، فهو مجاز تشبيها بشرب الماء أو بشرب الصبغ فى الصواب وفى الكلام محذوف أى أشربوا حب العجل وقيل إن موسى برد العجل بالمبرد ورمى برادته فى الماء فشربوه ، فالشرب على هذا حقيقة ويردّ هذا قوله فى قلوبهم (بكفرهم) الباء سببية للتعليل ، أو بمعنى المصاحبة (يأمركم) إسناد الأمر إلى إيمانهم ، فهو مجاز على وجه التهكم ، فهو كقولك أصلاتك تأمرك كذلك إضافة الإيمان إليهم (إن كنتم) شرط أو نفى (فتمنوا الموت) بالقلب أو اللسان أو باللسان خاصة ، وهذا أمر على وجه التعجيز والتبكيت ، لأنه من علم أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وروى أنهم لو تمنوا الموت لماتوا ، وقيل إن ذلك معجزة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم دامت طول حياته (ولن يتمنوه) إن قيل : لم قال فى هذه السورة : ولن يتمنوه ، وفى سورة الجمعة : ولا يتمنونه فنفى هنا بلن ، وفى الجمعة بلا ، فقال أستاذنا الشيخ أبو جعفر بن الزبير ، الجواب أنه لما كان الشرط فى المغفرة مستقبلا وهو قوله إن كانت لكم الدار الآخرة خالصة جاءت جوابه بلن التى تخلص الفعل للاستقبال ، ولما كان الشرط فى الجمعة حالا ، وهو قوله إن زعمتم أنكم أولياء لله جاء جوابه بلا : التى تدخل على الحال ، أو تدخل على المستقبل (بما قدمت) أى لسبب ذنوبهم وكفرهم (عليم بالظالمين) تهديد لهم (ومن الذين أشركوا) فيه وجهان : أحدهما : أن يكون عطفا على ماقبله فيوصل به ، والمعنى أن اليهود أحرص على الحياة من الناس ومن الذين أشركوا ، لحمل على المعنى كأنه قال أحرص من الناس ومن الذين أشركوا وخص الذين أشركوا بالذكر بعد دخولهم فى عموم الناس لأنهم لا يؤمنون بالآخرة بإفراط حبهم للحياة الدنيا ، والآخر أن يكون من الذين أشركوا ابتداء كلام فيوقف على ماقبله ، والمعنى : من الذين أشركوا اقوم (يودّ أحدهم لو يعمر ألف سنة) لحذف الموصوف ، وقيل أراد به المجوس ، لأنهم يقولون لملوكهم عش

يَعْمَلُونَ ۞ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَٰلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ۞ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا الْفَٰسِقُونَ ۞ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ كِتَٰبَ اللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ

ألف سنة ، والأول أظهر ؛ لأنّ الكلام إنما هو فى اليهود ، وعلى الثانى يخرج الكلام عنهم (وما هو بمزحزحه) الآية : فيها وجهان : أحدهما أن يكون هو عائد على أحدهم ، وأن يعمر فاعل لمزحزحه ، والآخر أن يكون هو للتعمير وأن يعمر بدل (من كان عدوّا لجبريل) الآية : سببها أنّ اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، جبريل عدوّنا لأنه ملك الشدائد والعذاب . فلذلك لا نؤمن به ، ولو جاءك ميكائيل لآمنا بك ؛ لأنه ملك الأمطار والرحمة (فإنه نزله) فيه وجهان : الأول فإنّ الله نزل جبريل ، والآخر فإنّ جبريل نزل القرآن ، وهذا أظهر ، لأنّ قوله مصدّقا لما بين يديه : من أوصاف القرآن والمعنى الردّ على اليهود بأحد وجهين : أحدهما من كان عدوّا لجبريل فلا ينبغى له أن يعاديه لأنه نزله على قلبك فهو مستحق للمحبة ، ويؤكد هذا قوله وهدى وبشرى ، والثانى من كان عدوّا لجبريل فإنما عاداه لأنه نزله على قلبك ، فكان هذا تعليل لعداوتهم لجبريل (وجبريل ، وميكائيل) ذكرا بعد الملائكة تجديدا للتشريف والتعظيم (أوكلما) الواو للعطف ، قال الأخفش زائدة (نبذه فريق منهم) نزلت فى مالك بن الصيف اليهودى وكان قد قال : والله ما أخذ علينا عهد أن نؤمن بمحمد رسول يعنى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم (كتاب الله) يعنى القرآن أو التوراة لما ـ فيها من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو المتقدمين (ما تتلو) هو من القراءة أو الاتباع (على ملك) أى فى ملك أو عهد ملك سليمان (وما كفر سليمان) تبرئة له مما نسبوه إليه ، وذلك أنّ سليمان عليه السلام دفن السحر ليذهبه فأخرجوه بعد موته ، ونسبوه إليه ، وقالت اليهود إنما كان سليمان ساحرا ، وقيل إنّ الشياطين استرقوا السمع وألقوه إلى الكهان ، فجمع سليمان ما كتبوا من ذلك ودفنه ، فلما مات قالوا ذلك علم سليمان (وما كفر سليمان) بتعليم السحر وبالعمل به أو بنسبته إلى سليمان عليه السلام (وما أنزل) نفى أو عطف على السحر عليهما ، إلا أنّ ذلك يرده آخر الآية ، وإن كانت معطوفة بمعنى الذى فالمعنى أنهما أنزل عليهما ضرب من السحر ابتلاء من الله لعباده أو ليعرف فيحذر ، وقرئ الملكين بكسر اللام ، وقال الحسن : هما علجان ، فعلى هذا يتعين أن تكون ما غير نافية (ببابل) موضع معروف (هاروت وماروت) اسمان علمان بدل من الملكين أو عطف بيان (إنما نحن فتنة) أى محنة ، وذلك تحذير من السحر (فلا تكفر) أى بتعليم السحر ، ومن هنا أخذ مالك أنّ الساحر يقتل كفرا (يفرّقون) زوال العصمة

به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ۝ ولو أنهم ءامنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ۝ يـٰأيها الذين ءامنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكـٰفرين عذاب أليم ۝ مايود الذين كفروا من أهل الكتـٰب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشآء والله ذو الفضل العظيم ۝ ماننسخ من ءاية أو ننسها نأت بخير منهآ أو مثلهآ ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير ۝ ألم تعلم أن الله له ملك السمـٰوات والأرض وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ۝ أم تريدون أن تسئلوا رسولكم كما سئل موسىٰ من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمـٰن فقد ضل سوآء السبيل ۝ ود كثير من أهل الكتـٰب لو يردونكم من بعد إيمـٰنكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم

أو المنع من الوطء (يضرهم) أى فى الآخرة (علموا) أن اليهود والشياطين : أى اشتغلوا به ، وذكر الشرى ، لأنهم كانوا يعطون الأجرة عليه (شروا) هنا بمعنى باعوا (لمثوبة) من الثواب وهو جواب لو أنهم وإنما جاء جوابها بجملة إسمية وعدل عن الفعلية لما فى ذلك من الدلالة على إثبات الثواب واستقراره وقيل الجواب محذوف أى لأثيبوا (لو كانوا يعلمون) فى الموضعين نفى لعلمهم (لاتقولوا راعنا) كان المسلمون يقولون للنبى صلى الله عليه وآله وسلم يارسول الله راعنا ، وذلك من المراعاة أى راقبنا وانظرنا ، فكان اليهود يقولونها ويعنون بها معنى الرعونة على وجه الإذاية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وربما كانوا يقولونها على معنى النداء ، فنهى الله المسلمين أن يقولوا هذه الكلمة لاشتراك معناها بين ماقصده المسلمون وقصده اليهود ، فالنهى سدا للذريعة ، وأمروا أن يقولوا انظرنا لخلوه عن ذلك الاحتمال المذموم ، فهو من النظر والانتظار ، وقيل : إنما نهى الله المسلمين عنها لما فيها من الجفاء وقلة التوقير (واسمعوا) عطف على قولوا لاعلى معمولها والمعنى الأمر بالطاعة والانقياد (مايود الذين كفروا) جنس يعم نوعين أهل الكتاب والمشركين من العرب ، ولذلك فسره بهما ، ومعنى الآية أنهم لايحبون أن ينزل الله خيرا على المسلمين (من خير) من للتبعيض ، وقيل زائدة لتقدم النفى فى قوله مايود (برحمته) قيل القرآن وقيل النبوة والعموم أولى ، ومعنى الآية : الرد على من كره الخير للمسلمين (ماننسخ) نزل حكمه ولفظه أو أحدهما ، وقرئ بضم النون : أى نأمر بنسخه (أو ننسها) من النسيان ، وهو ضد الذكر : أى ينساها النبى صلى الله عليه وآله وسلم بإذن الله كقوله « سنقرئك فلا تنسى إلا ماشاء الله» أو بمعنى الترك : أى نتركها غير منزلة : أى غير منسوخة ، وقرئ بالهمز بمعنى التأخير : أى نؤخر إنزالها أو نسخها (بخير) فى خفة العمل ، أو فى الثواب (قدير) استدلال على جواز النسخ لأنه من المقدورات ، خلافا لليهود لعنهم الله فإنهم أحالوه على الله ، وهو جائز عقلا ، وواقع شرعا فكما نسخت شريعتهم ماقبلها ، نسخها مابعدها (تسألوا رسولكم) أى تطلبوا الآيات ، ويحتمل السؤال عن العلم ، والأول أرجح لما بعده ، فإنه شبهه بسؤالهم لموسى ، وهو قولهم له : أرنا الله جهرة (ود كثير من

ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا وَٱصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿﴾ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿﴾ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُولَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿﴾ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ

أهل الكتاب) أى تمنوا ، ونزلت الآية فى حيىّ بن أخطب وأمية بن ياسر وأشباههما من اليهود الذين كانوا يحرصون على فتنة المسلمين . ويطمعون أن يردّوهم عن الإسلام (حسدا) مفعول من أجله . أومصدر فى موضع الحال ، والعامل فيه ماقبله . فيجب وصله معه ، وقيل هو مصدر ، والعامل فيه محذوف تقديره يحسدونكم حسدا ، فعلى هذا يوقف على ماقبله ، والاول أظهر وأرجح (من عند أنفسهم) يتعلق بحسداً وقيل بيود (فاعف) منسوخ بالسيف (بأمره) يعنى إباحة قتالهم أو وصول آجالهم (وقالوا لن يدخل الجنة) الآية : أى قالت اليهود لن يدخل الجنة : إلا من كان يهوديا ، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا (هودا) يعنى اليهود وهذه الكلمة جمع هايد أو مصدر وصف به وقال الفراء : حذفت منه ياهودا على غير قياس (أمانيهم) أكاذيبهم أو مايتمنونه (هاتوا) أمر على وجه التعجيز ، والرد عليهم ، وهو من : هاتى ، يهاتى ، ولم ينطق به ، وقيل أصله : آتوا ، وأبدل من الهمزة هاء (بلى) إيجاب لما نفوا : أى يدخلها من ليس يهوديا ، ولا نصرانيا (من أسلم وجهه لله) أى دخل فى الإسلام وأخلص ، وذكر الوجه لشرفه والمراد جملة الإنسان (وقالت اليهود) الآية : سببها : اجتماع نصارى نجران مع يهود المدينة قدمت كل طائفة الأخرى (وهم يتلون) تقبيح لقولهم مع تلاوتهم الكتاب (الذين لايعلمون) المشركون من العرب لأنهم لا كتاب لهم (منع مساجد الله) لفظه الاستفهام ومعناه : لاأحد أظلم منه حيث وقع : قريش منعت الكعبة ، أوالنصارى منعوا بيت المقدس أو على العموم (خائفين) فى حق قريش ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لايحج بعدهذاالعام مشرك ، وفى حق النصارى ضربهم عند بيت المقدس أو الجزية (خزى) فى حق قريش غلبتهم وفتح مكة ، وفى حق النصارى : فتح بيت المقدس أو الجزية (فأينما تولوا) فى الحديث الصحيح أنهم صلوا ليلة فى سفر إلى غير القبلة بسبب الظلمة فنزلت ، وقيل هى فى نفل المسافر حيث ماتوجهت به دابته ، وقيـل هى راجعة إلى ماقبلها : أى إن منعتم من مساجد الله فصلوا حيث كنتم ، وقيل إنها احتجاج على من أنكر تحويل القبلة ، فهى كقوله بعد هـذا « قل لله المشرق والمغرب . الآية » والقول الأول هو الصحيح ، ويؤخذ منه أن من

مَافِى السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَٰنِتُونَ ۞ بَدِيعُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۞ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ

أخطأ القبلة، فلاتجب عليه الإعادة وهو مذهب مالك (وجه الله) المراد به هنارضاه كقوله « ابتغاء وجه الله» أى رضاه، وقيل معناه الجهة التى وجهه إليها، وأماقوله «كل شيء هالك إلاوجهه، ويبقى وجه ربك» فهو من المتشابه الذى يجب التسليم له من غير تكييف، ويردّ علمه إلى الله، وقال الأصوليين: هو عبارة عن الذات أوعن الوجود، وقال بعضهم: هو صفة ثابتة بالسمع (وقالوا اتخذ) قالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله، وقالت الصابئون وبعض العرب: الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه لهم عن قولهم (بل له) الآية ردّ عليهم لأنّ الكل ملكه، والعبودية تنافى النبوّة (قانتون) أى طائعون منقادون (بديع السموات) أى مخترعها وخالقها ابتداء (وإذا قضى أمرا) أى قدره وأمضاه، قال ابن عطية يتحد فى الآية المعنيان، فعلى مذهب أهل السنة قدر فى الأزل وأمضى فيه، وعلى مذهب المعتزلة أمضى عند الخلق والإيجاد، قلت: لا يكون قضى هنا بمعنى قدر، لأن القدر قديم، وإذا تقتضى الحدوث والاستقبال وذلك يناقض القدم، وإنما قضى هنا بمعنى أمضى أوفعل أووجد كقوله: فقضاهن سبع سموات، وقد قيل إنه بمعنى ختم الأمر، وبمعنى حكم، والأمر هنا بمعنى الشيء، وهوواحد الأمور، وليس بمصدر أمر يأمر (فإنما يقول له كن فيكون) قال الأصوليون: هذا عبارة عن تعود قدرة الله تعالى وليس بقول حقيق لأنه إن كان قول كن خطابا للشيء فى حال عدمه لم يصح، لأن المعدوم لم يخاطب وإن كان خطابا فى حال وجوده لأنه قد كان، وتحصيل الحاصل غير مطلوب وحمله المفسرون على حقيقته، وأجابوا عن ذلك بأربعة أجوبة. أحدها: أن الشيء الذى يقول له كن فيكون هو موجود فى علم الله وإنما يقول له كن ليخرجه إلى العيان لنا، والثانى: أن قوله كن لا يتقدّم على وجود الشيء ولا يتأخر عنه قاله الطبرى، والثالث: أنّ ذلك خطابا لمن كان موجودا على حاله فيأمر بأن يكون على حالة أخرى: كاحياء الموتى، ومسخ الكفار وهذا ضعيف لأنه تخصيص من غير مخصص والرابع: أن معنى يقول له: يقول من أجله، فلايلزم خطابه: والأوّل أحسن هذه الأجوبة، وقال ابن عطية تلخيص المعتقد فى هذه الآية: أن الله عز وجل لم يزل آمرا للمعدومات بشرط وجودها، فكل مافى الآية مما يقتضى الاستقبال، فهو بحسب المأمورات إذ المحدثات تجيء بعد أن لم تكن، فيكون رفع على الاستئناء، قال سيبويه: معناه فهو يكون، قال غيره: يكون عطف على يقول، واختاره الطبرى، وقال ابن عطية: وهو فاسد من جهة المعنى، ويقتضى أن القول مع التكوين والوجود، وفى هذا نظر (وقال الذين لا يعلمون) هم هنا وفى الموضع الأول كفار العرب على الأصح، وقيل هم اليهود والنصارى (لولا يكلمنا الله) لولا هنا عرض، والمعنى أنهم قالوا: لن نؤمن حتى يكلمنا الله (أو تأتينا آية) أى دلالة من المعجزات كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ومابعده (كذلك قال الذين من قبلهم) يعنى اليهود والنصارى على القول بأن الذين لا يعلمون كفار العرب، وأما على القول بأن الذين لا يعلمون اليهود والنصارى، فالذين من قبلهم هم أمم الأنبياء المتقدمين (تشابهت قلوبهم) الضمير للذين لا يعلمون، وللذين من قبلهم، وتشابه قلوبهم فى الكفر أو فى طلب

ٱلْجَحِيمِ ۞ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۞ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۞ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ

مالا يصح أن يطلب ، وهو كقولهم لولا يكلمنا الله (قد بينا الآيات) أخبر تعالى أنه قد بين الآيات لعنادهم (إنا أرسلناك بالحق) خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد بالحق التوحيد ، وكل ماجاءت به الشريعة (بشيرا ونذيرا) تبشر المؤمنين بالجنة ، وتنذر الكافرين بالنار ، وهذا معنى حديث وقع (ولا تسأل) بالجزم نهى ، وسببها أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل عن حال آبائه فى الآخرة فنزلت ، وقيل إن ذلك على معنى التهويل كقولك : لاتسأل عن فلان لشدة حاله ، وقرأ غيرنافع بضم التاء واللام : أى لاتسأل فى القيامة عن ذنوبهم (ملتهم) ذكرها مفردة وإن كانت ملتين ؛ لأنهما متفقتان فى الكفر ، فكأنهما ملة واحدة (قل إن الهدى هدى الله) لاما عليه اليهود والنصارى ، والمعنى : أن الذى أنت عليه يامحمد هو الهدى الحقيق لأنه هدى من عندالله بخلاف مايدعيه اليهود والنصارى (ولئن اتبعت أهواءهم) جمع هوى ، ويعنى به ماهم عليه من الأديان الفاسدة والأقوال المضلة ؛ لأنهم اتبعوها بغير حجة بل بهوى النفوس والضمير لليهود والنصارى ، والخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ومن علم الله أنه لا يتبع أهواءهم ، ولكن قال ذلك على وجه التهديد لو وقع ذلك ، فهو على معنى الفرض والتقدير ، ويحتمل أن يكون خطابا له صلى الله عليه وسلم ، والمراد غيره (الذين آتيناهم الكتاب) يعنى المسلمين ، والكتاب على هذا : القرآن ، وقيل هم من أسلم من بنى إسرائيل ، والكتاب على هذا التوراة ، ويحتمل العموم ، ويكون الكتاب اسم جنس (يتلونه حق تلاوته) أى يقرؤنه كما يجب من التدبر له والعمل به ، وقيل معناه يتبعونه حق اتباعه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، والأولى أظهر ، فإن التلاوة وإن كانت تقال بمعنى القراءة ، وبمعنى الاتباع فإنه أظهر فى معنى القراءة لاسيما إذا كانت تلاوة الكتاب ، ويحتمل أن تكون هذه الجملة فى موضع الحال ، ويكون الخبر أولئك يؤمنون ، وهذا أرجح ، لأن مقصود الكلام الثناء عليهم بالإيمان ، أو إقامة الحجة بإيمانهم على غيرهم ممن لم يؤمن (يابنى إسرائيل) الآية : تقدم الكلام على نظيرتها (وإذ ابتلى) أى اختبر ، فالعامل فى إذ فعل مضمر تقديره اذكر ، وقوله (بكلمات) قيل : مناسك الحج ، وقيل : خصال الفطرة العشرة ، وهى : المضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ، وقص الشارب ، وإعفاء اللحية ، وقص الأظافر ، ونتف الإبطين ، وحلق العانة ، والختان ، والاستنجاء ، وقيل هى ثلاثون خصلة : عشرة ذكرت فى براءة من قوله : التائبون العابدون ، وعشرة فى الأحزاب من قوله : إن المسلمين والمسلمات ، وعشرة فى المعارج من قوله : إلا المصلين (فأتمهن) أى عمل بهن (ومن ذريتى)

مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ • وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ • وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ • رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ • رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ

استفهام أو رغبة (عهدى) الإمامة (البيت) الكعبة (مثابة) اسم مكان من قولك ثاب إذا رجع ، لأن الناس يرجعون إليه عاما بعد عام (واتخذوا) بالفتح إخبار عن المتبعين لإبراهيم عليه السلام ، وبالكسر إخبار لهذه الأمة ، وافق قول عمر رضى الله عنه : لواتخذت من مقام إبراهيم مصلى ، وقيل أمر لإبراهيم وشيعته ، وقيل لبنى إسرائيل فهو على هذا عطف على قوله : اذكروا نعمتى ، وهذا بعيد (من مقام إبراهيم) هو الحجر الذى صعد به حين بناء الكعبة ، وقيل المسجد الحرام (وعهدنا) عبارة عن الأمر والوصية (طهرا بيتى) عبارة عن بنيانه بنية خالصة كقوله : أسس على التقوى وقيل المعنى طهراه عن عبادة الأصنام (للطائفين) هم الذين يطوفون بالكعبة وقيل الغرباء القادمون على مكة والأول أظهر (والعاكفين) هم المعتكفون فى المسجد وقيل المصلون وقيل المجاورون من الغرباء ، وقيل أهل مكة ، والعكوف فى اللغة اللزوم (بلدا) يعنى مكة (آمنا) أى مما يصيب غيره من الخسف والعذاب ، وقيل آمنا من إغارة الناس على أهله لأن العرب كان يغير بعضهم على بعض ، وكانوا لا يتعرضون لأهل مكة ، وهذا أرجح لقوله : أولم نمكن لهم حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ، فإن قيل : لم قال فى البقرة «بلداً آمنا» فعرّف فى إبراهيم ، ونكر فى البقرة ؟ أجيب عن ذلك بثلاثة أجوبة «الجواب الأول» قاله أستاذنا الشيخ أبو جعفر بن الزبير ، وهو أنه تقدم فى البقرة ذكر البيت فى قوله : القواعد من البيت ، وذكر البيت يقتضى بالملازمة ذكر البلد الذى هو فيه ، فلم يحتج إلى تعريف ، بخلاف آية إبراهيم ، فإنها لم يتقدم قبلها مايقتضى ذكر البلد ولا المعرفة به ، فذكره بلام التعريف «الجواب الثانى» قاله السهيلى وهو أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان بمكة حين نزلت آية إبراهيم لأنها مكية فلذلك قال فيه البلد بلام التعريف التى للحضور : كقولك : هذا الرجل ، وهو حاضر ، بخلاف آية البقرة ، فإنها مدنية ، ولم تكن مكة حاضرة حين نزولها فلم يعرفها بلام الحضور ، وفى هذا نظر ؛ لأن ذلك الكلام حكاية عن إبراهيم عليه السلام ، فلا فرق بين نزوله بمكة أو المدينة «الجواب الثالث» قاله بعض المشارقة أنه قال هذا بلد آمنا قبل أن يكون بلدا فكأنه قال اجعل هذا الموضع بلداً آمنا وقال هذا البلد بعد ماصار بلدا وهذا يقتضى أن إبراهيم دعا بهذا الدعاء مرتين ، والظاهر أنه مرة واحدة حكى لفظه فيها على وجهين (من آمن) بدل بعض من كل (ومن كفر) أى قال الله وأرزق من كفر لأن الله يرزق فى الدنيا المؤمن والكافر (ربنا تقبل منا) على حذف القول أى يقولان ذلك (وأرنا مناسكنا) علمنا موضع الحج وقيل العبادات (فيهم) أى فى ذريتنا (رسولا منهم) هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم « أنا دعوة أبى إبراهيم » والضمير المجرور لذرية إبراهيم وإسماعيل وهم العرب الذين من نسل عدنان ، وأما الذين من قحطان فاختلف هل هم من ذرية إسماعيل أم لا (آياتك)

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّٰلِحِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ ۝ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَٰبِدُونَ ۝ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ۝ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ سَيَقُولُ السُّفَهَآءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ

هنا القرآن (والحكمة) هناهى السنة (ويزكيهم) أى يطهرهم من الكفر والذنوب (سفه نفسه) منصوب على التشبيه بالمفعول به، وقيل الأصل فى نفسه ثم حذف الجار فانتصب وقيل تمييز (وأوصى بها) أى بالكلمة والملة (ويعقوب) بالرفع عطف على إبراهيم، فهو موصى، وقرئ بالنصب عطفا على نبيه فهو موصى (أم كنتم) أم هنا منقطعة معناها الاستفهام والإنكار، وإسماعيل كان عمه، والعم يسمى أبا (وقالوا كونوا) أى قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى (بل ملة) منصوب بإضمار فعل (لانفرق) أى لا نؤمن بالبعض دون البعض، وهذا برهان، لأن كل من أتى بالمعجزة فهو نبىّ، فالكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم تناقض (فسيكفيكهم) وعد ظهر مصداقه فقتل بنى قريظه وأجلى بنى النضير وغير ذلك (صبغة الله) أى دينه وهو استعارة من صبغ الثوب وغيره، ونصبه على الإغراء وعلى المصدر من المعانى المتقدمة أو بدل من ملة إبراهيم (كتم شهادة) من الشهادة بأن الأنبياء على الحنيفية (من الله) يتعلق بكتم أو كأن المعنى شهادة تخلصت له من الله (سيقول) ظاهره الإعلام بقولهم قبل وقوعه، إلا أن ابن عباس قال نزلت بعد

إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۝ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۝ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ

قولهم (السفهاء) هنا اليهود أو المشركون أو المنافقون (ماولاهم) أى ماولى المسلمين (عن قبلتهم) الأولى وهى بيت المقدس إلى الكعبة (لله المشرق والمغرب) الآية: ردّا عليهم لأنّ الله يحكم مايريد، ويولى عباده حيث شاء، لأنّ الجهات كلها له (وكذلك) بعد ماهديناكم (جعلناكم أمّة وسطا) أى خيارا (شهداء على الناس) أى تشهدون يوم القيامة بإبلاغ الرسل إلى قومهم (عليكم شهيدا) أى بأعمالكم، قال عليه الصلاة والسلام أقول كما قال أخى عيسى: وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم الآية، فإن قيل: لم قدم المجرور فى قوله عليكم شهيداً وأخره فى قوله: شهداء على الناس؟ فالجواب: أنّ تقديم المعمولات يفيد الحصر، فقدّم المجرور فى قوله: عليكم شهيداً؛ لاختصاص شهادة النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأمّته ولم يقدمه فى قوله شهداء على الناس لأنه لم يقصد الحصر (القبلة التى كنت عليها) فيها قولان: أحدهما: أنها الكعبة، وهو قول ابن عباس. والآخر: هو بيت المقدس، وهو قول قتادة وعطاء والسدّى. وهذا مع ظاهر قوله: كنت عليها؛ لأنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلى إلى بيت المقدس، ثم انصرف عنه إلى الكعبة، وأما قول ابن عباس: فتأويله بوجهين: الأول: أنّ كنت بمعنى أنت، والثانى قيل إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم صلى إلى الكعبة قبل بيت المقدس، وإعراب التى كنت عليها مفعول بجعلنا، أو صفة للقبلة، ومعنى الآية على القولين: اختبار وفتنة للناس بأمر القبلة، وأما على قول قتادة فإن الصلاة إلى بيت المقدس فتنة للعرب لأنهم كانوا يعظمون الكعبة، أو فتنة لمن أنكر تحويلها، وتقديره على هذا: ماجعلنا صرف القبلة، أمّا على قول ابن عباس: فإنّ الصلاة إلى الكعبة فتنة لليهود؛ لأنهم يعظمون بيت المقدس، وهم مع ذلك ينكرون النسخ، فأنكروا صرف القبلة، أو فتنة لضعفاء المسلمين حتى رجع بعضهم عن الإسلام حين صرفت القبلة (لنعلم) أى العلم الذى تقوم به الحجة على العبد وهو إذا ظهر فى الوجود ما علمه الله (ينقلب على عقبيه) عبارة عن الارتداد عن الإسلام، وهو تشبيه بمن رجع يمشى إلى وراء (وإن كانت) إن مخففة من الثقيلة واسم كان ضمير الفعلة وهى التحول عن القبلة (إيمانكم) قيل صلاتكم إلى بيت المقدس واستدل به من قال إنّ الأعمال من الإيمان، وقيل معناه ثبوتكم على الإيمان حين انقلب غيركم بسبب تحويل القبلة (تقلب وجهك) كان النبى صلى الله عليه وسلم يرفع رأسه إلى السماء رجاء أن يؤمر بالصلاة إلى الكعبة (شطر المسجد) جهة (وما أنت بتابع قبلتهم) خبر يتضمن النهى ووحدت قبلتهم، وإن كانت جهتين لاتحادهم فى البطلان (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) لأنّ

أتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين ، الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما
يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ، الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ،
ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير ،
ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ،
ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون
للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون ،
كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم
تكونوا تعلمون ، فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ، يا أيها الذين آمنوا استعينوا

اليهود لعنهم الله يستقبلون المغرب والنصارى المشرق (يعرفونه) أى يعرفون القرآن أو النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو أمر القبلة (كما يعرفون أبناءهم) مبالغة فى وصف المعرفة ، وقال عبد الله بن سلام معرفتى بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم أشد من معرفتى بابنى لأن ابنى قد يمكن فيه الشك (ولكل) أى لكل أحد أو لكل طائفة (وجهة) أى جهة ، ولم تحذف الواو لأنه ظرف مكان ، وقيل إنه مصدر ، وثبت فيه الواو على غير قياس (هو موليها) أى موليها وجهه ، وقرئ مولاها أى ولاه الله إليها ، والمعنى أن الله جعل لكل أمة قبلة (فاستبقوا الخيرات) أى بادروا إلى الأعمال الصالحات (يأت بكم الله) أى يبعثكم من قبوركم (فول وجهك) الأمر كرر للتأكيد أو ليناط به ما بعده (لئلا يكون للناس) الآية : معناها أن الصلاة إلى الكعبة تدفع حجة المعترضين من الناس ، فإن أريد اليهود فحجتهم أنهم يجدون فى كتبهم أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يتحول إلى الكعبة فلما صلى إليها لم تبق لهم حجة على المسلمين ، وإن أريد قريش فحجتهم أنهم قالوا قبلة آبائه أولى به (إلا الذين ظلموا) أى من يتكلم بغير حجة ويعترض التحول إلى الكعبة ، والاستثناء متصل ؛ لأنه استثناء من عموم الناس . ويحتمل الانقطاع على أن يكون استثناء ممن له حجة ، فإن الذين ظلموا هم الذين ليس لهم حجة (ولأتم) متعلق بمحذوف أى فعلت ذلك لأتم ، أو معطوف على لئلا يكون (كما أرسلنا) متعلق بقوله لأتم ، أو بقوله فاذكرونى ، والأول أظهر (فاذكرونى أذكركم) قال سعيد بن المسيب : معناه اذكرونى بالطاعة : أذكركم بالثواب ، وقيل اذكرونى بالدعاء والتسبيح ونحو ذلك ، وقد أكثر المفسرون ، ولا سيما المتصوفة فى تفسير هذا الموضع بألفاظ لها معانى مخصوصة ، ولا دليل على التخصيص ، وبالجملة فهذه الآية بيان لشرف الذكر ويبينها قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يرويه عن ربه : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه : ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ : ذكرته فى ملأ خير منهم . والذكر ثلاثة أنواع : ذكر بالقلب ، وذكر باللسان ، وبهما معا ، واعلم أن الذكر أفضل الأعمال على الجملة ،

بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّٰبِرِينَ ۝ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَٰتٌ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن

وإن ورد فى بعض الأحاديث تفضيل غيره من الأعمال : كالصلاة وغيرها ؛ فإن ذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع الله تعالى

والدليل على فضيلة الذكر من ثلاثة أوجه (الأول) النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : ذكر الله . وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أى الأعمال أفضل ؟ قال : ذكر الله ، قيل الذكر أفضل أم الجهاد فى سبيل الله ؟ فقال : لو ضرب المجاهد بسيفه فى الكفار حتى ينقطع سيفه ويختضب دماً : لكان الذاكر أفضل منه (الوجه الثانى) أنّ الله تعالى حيث ما أمر بالذكر ، أو أثنى على الذكر : اشترط فيه الكثرة ، فقال : اذكروا الله ذكرا كثيرا ، والذاكرين الله كثيرا ، ولم يشترط ذلك فى سائر الأعمال (الوجه الثالث) أنّ للذكر مزية هى له خاصة وليست لغيره : وهى الحضور فى الحضرة العلية ، والوصول إلى القرب بالذى عبر عنه ماورد فى الحديث من المجالسة والمعية ، فإن الله تعالى يقول : أنا جليس من ذكرنى ، ويقول : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى

وللناس فى المقصد بالذكر مقامان : فمقصد العامة اكتساب الأجور ، ومقصد الخاصة القرب والحضور ومابين المقامين بون بعيد فكم بين من يأخذ أجره وهو من وراء حجاب . وبين من يقرب حتى يكون من خواص الأحباب .

واعلم أن الذكر على أنواع كثيرة : فمنها التهليل ، والتسبيح ، والتكبير ، والحمد ، والحوقلة ، والحسبلة ، وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، والاستغفار ، وغير ذلك . ولكل ذكر خاصيته وثمرته . وأما التهليل : فثمرته التوحيد : أعنى التوحيد الخاص فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن ، وأما التكبير : فثمرته التعظيم والإجلال لذى الجلال ، وأما الحمد والأسماء التى معناها الإحسان والرحمة كالرحمن الرحيم والكريم والغفار وشبه ذلك : فثمرتها ثلاث مقامات ، وهى الشكر ، وقوة الرجاء ، والمحبة . فإن المحسن محبوب لامحالة ، وأما الحوقلة والحسبلة : فثمرتهما التوكل على الله والتفويض إلى الله ، والثقة بالله : وأما الأسماء التى معناها الاطلاع والإدراك كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك : فثمرتها المراقبة . وأما الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم : فثمرتها شدة المحبة فيه ، والمحافظة على اتباع سنته ، وأما الاستغفار : فثمرته الاستقامة على التقوى ، والمحافظه على شروط التوبة مع إنكار القلب بسبب الذنوب المتقدمة

ثم إن ثمرة الذكر التى تجمع الأسماء والصفات مجموعة فى الذكر المفرد وهو قولنا : الله ، الله . فهذا هو الغاية وإليه المنتهى (استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) أى بمعونته (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات) قيل إنها نزلت فى الشهداء المقتولين فى غزوة بدر ، وكانوا أربعة عشر رجلا لما قتلوا حزن عليهم أقاربهم فنزلت الآية مبينه لمنزلة الشهداء عند الله وتسلية لأقاربهم ، ولا يخصها نزولها

لَا تَشْعُرُونَ • وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ • الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ • أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ • إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ • إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ

فيهم بل حكمها على العموم فى الشهداء (ولنبلونكم) أى نختبركم ، وحيث ماجاء الاختبار فى حق الله فمعناه أن يظهر فى الوجود مافى علمه لتقوم الحجة على العبد وليس كاختبار الناس بعضهم بعضا ، لأن الله يعلم ماكان ومايكون والخطاب بهذا الابتلاء للسلمين ، وقيل لكفار قريش ، والأول أظهر لقوله بعد هذا وبشر الصابرين (بشيء من الخوف) من الأعداء (والجوع) بالجدب (ونقص من الأموال) بالخسارة (والأنفس والثمرات) بالجوائح ، وقيل ذلك كله بسبب الجهاد (إنا لله) اللام للملك والمالك يفعل فى ملكه مايشاء (راجعون) تذكروا الآخرة لتهون عليهم مصائب الدنيا ، وفى الحديث الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من أصابته مصيبة فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلف لي خيرا منها أخلف الله له خيرا مما أصابه . قالت أم سلمة فلما مات زوجى أبو سلمة قلت ذلك فأبدلنى الله به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(فائدة) ورد ذكر الصبر من القرآن فى أكثر من سبعين موضعا ، وذلك لعظمة موقعه فى الدين ، قال بعض العلماء : كل الحسنات لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصبر فإنه لايحصر أجره ، لقوله تعالى : إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب . وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة : أولها المحبة ، قال « والله يحب الصابرين » والثانى : النصر قال « إن الله مع الصابرين » والثالث غرفات الجنة ، قال « يجزون الغرفة بما صبروا » والرابع الأجر الجزيل قال « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » والأربعة الأخرى المذكورة فى هذه الآية ، ففيها البشارة ، قال « وبشر الصابرين » والصلاة والرحمة والهداية (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) والصابرون على أربعة أوجه : صبر على البلاء ، وهو منع النفس من التسخيط والهلع والجزع . وصبر على النعم وهو تقييدها بالشكر ، وعدم الطغيان ، وعدم التكبر بها . وصبر على الطاعة بالمحافظة والدوام عليها . وصبر عن المعاصى بكف النفس عنها ، وفوق الصبر التسليم وهو ترك الاعتراض والتسخيط ظاهرا ، وترك الكراهة باطنا وفوق التسليم الرضا بالقضاء . وهو سرور النفس بفعل الله وهو صادر عن المحبة ، وكل مايفعل المحبوب محبوب (إن الصفا والمروة) جبلان صغيران بمكة (من شعائر الله) أى معالم دينه واحدها شعيرة أو شعارة (فلا جناح عليه) إباحة للسعى بين الصفا والمروة والسعى بينهما واجب عند مالك والشافعى ، وإنما جاء بلفظ يقتضى الإباحة لأن بعض الصحابة امتنعوا من السعى بينهم ، لأنه كان فى الجاهلية على الصفا صنم يقال له أساف ، وعلى المروة صنم يقال له نائلة ، فخافوا أن يكون السعى بينهما تعظيما للصنمين ، فرفع الله ماوقع فى نفوسهم من ذلك ، ثم إن السعى بينهما للسنة ، قالت عائشة رضى الله عنها « سن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السعى بين

وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۝ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ

الصفا والمروة ، وليس لأحد تركه ، وقيل إن الوجوب يؤخذ من قوله «شعائر الله» وهذا ضعيف لأنّ شعائر الله : منها واجبة ، ومنها مندوبة ، وقد قيل إن السعي مندوب (يطوّف) أصله يتطوف ثم أدغمت التاء في الطاء وهذا الطواف يراد به السعي سبعة أشواط (ومن تطوع) عاما في أفعال البر ، وخاصة في الوجوب من السنة أو معنى التطوع بحج بعد حج الفريضة (إن الذين يكتمون) أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم (في الكتاب) التوراة هنا (اللاعنون) الملائكة وا ؤمنون ، وقيل المخلوقات إلا الثقلين ، وقيل البهائم لما يصيبهم من الجدب لذنوب الكاتمين للحق (وبينوا) أي شرط في توبتهم أن يبينوا لأنهم كتموا (والناس أجمعين) هم المؤمنون فهو عموم يراد به الخصوص لأنّ المؤمنين هم الذين يعتد بلعنهم للكافرين ، وقيل يلعنهم جميع الناس (خالدين فيها) أي في اللعنة ، وقيل في النار (ولاهم ينظرون) من أنظر إذا أخر ، أي لا يؤخرون عن العذاب ولا يمهلون أو من نظر لقوله « لا ينظر إليهم » إلا أن يتعدى بإلى (وإلهكم إله واحد) الواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة في حق الله تعالى : أحدها : أنه لا ثاني له فهو نفي للعدد ، والآخر أنه لا شريك له ، والثالث أنه لا يتبعض ولا ينقسم ، وقد فسر المراد به هنا في قوله : لا إله إلا هو ، واعلم أن توحيد الخلق لله تعالى على ثلاث درجات الاولى توحيد عامة المسلمين وهو الذي يعصم النفس من الهلك في الدنيا ، وينجي من الخلود في النار في الآخرة وهو نفي الشركاء والأنداد ، والصاحبة والأولاد ، والأشباه والأضداد . الدرجة الثانية : توحيد الخاصة ، وهو أن يرى الأفعال كلها صادرة من الله وحده ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة لا بطريق الاستدلال الحاصل لكل مؤمن ، وإنما مقام الخاص في التوحيد يغني في القلب بعلم ضروري لا يحتاج إلى دليل ، وثمرة هذا العلم الانقطاع إلى الله والتوكل عليه وحده واطراح جميع الخلق ، فلا يرجو إلا الله ، ولا يخاف أحداً سواه إذ ليس يرى فاعلا إلا إياه ويرى جميع الخلق في قبضة القهر ليس بيدهم شيء من الأمر ، فيطرح الأسباب وينبذ الأرباب ، والدرجة الثالثة الا يرى في الوجود إلا الله وحده فيغيب عن النظر إلى المخلوقات ، حتى كأنها عنده معدومة ، وهذا الذي تسميه الصوفية مقام الفناء بمعنى الغيبة عن الخلق حتى أنه قد يفنى عن نفسه ، وعن توحيده : أي يغيب عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله (إن في خلق السموات والأرض) الآية ذكر فيها ثمانية أصناف من المخلوقات تنبيها على ما فيها من العبر والاستدلال على التوحيد المذكور قبلها في قوله : وإلهكم إله واحد (واختلاف الليل والنهار) أي اختلاف وصفهما من الضياء والظلام والطول والقصر ، وقيل إن أحدهما يخلف الآخر (بما ينفع الناس) من التجارة وغيرها (وتصريف الرياح) إرسالها من جهات

فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوٓا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ۝ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ۝ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا

مختلفة ، وهى الجهات الأربع ، وما بينهما وبصفات مختلفة فنها ملقحة بالشجر ، وعقيم ، وصر ، وللنصر ، وللهلاك (والذين آمنوا أشدّ حبا لله) اعلم أن محبة العبد لربه على درجتين : إحداهما المحبة العامة التى لايخلو منها كل مؤمن ، وهى واجبة ، والأخرى المحبة الخاصة التى ينفرد بها العلماء الربانيون ، والأولياء والأصفياء ، وهى أعلى المقامات ، وغاية المطلوبات ، فإن سائر مقامات الصالحين : كالخوف ، والرجاء ، والتوكل ، وغير ذلك فهى مبنية على حظوظ النفس ، ألا ترى أن الخائف إنما يخاف على نفسه وأن الراجى إنما يرجو منفعة نفسه ؛ بخلاف المحبة فإنها من أجل المحبوب فليست من المعاوضة . واعلم أنّ سبب محبة الله معرفته فتقوى المحبة على قدر قوة المعرفة ، وتضعف على قدر ضعف المعرفة ، فإنّ الموجب للمحبة إحدى أمرين ، وكلاهما إذا اجتمع فى شخص من خلق الله تعالى كان فى غاية الكمال . الموجب الأوّل الحسن والجمال ، والآخر الإحسان والإجمال ، فأما الجمال فهو محبوب بالطبع ، فإن الإنسان بالضرورة يحب كل مايستحسن ، والإجمال مثل جمال الله فى حكمته البالغة وصنائعه البديعة ، وصفاته الجميلة الساطعة الأنوار ، التى تروق العقول وتهيج القلوب ، وإنما يدرك جمال الله تعالى بالبصائر ، لا بالأبصار ، وأما الإحسان فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، وإحسان الله إلى عباده متواتر وإنعامه عليهم باطن وظاهر ، وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها ، ويكفيك أنه يحسن إلى المطيع والعاصى ، والمؤمن والكافر ، وكل إحسان ينسب إلى غيره فهو فى الحقيقة منه ، وهو المستحق للمحبة وحده . واعلم أنّ محبة الله إذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح من الجدّ فى طاعته والنشاط لخدمته ، والحرص على مرضاته والتلذذ بمناجاته ، والرضا بقضائه ، والشوق إلى لقائه والأنس بذكره ، والاستيحاش من غيره ، والفرار من الناس ، والانفراد فى الخلوات ، وخروج الدنيا من القلب ، ومحبة كل من يحبه الله وإيثاره على كل من سواه ، قال الحارث المحاسبى : المحبة تسليمك إلى المحبوب بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك ثم موافقته سرا وجهراً ثم علمك بتقصيرك فى حبه (ولوترى) من رؤية العين والذين ظلموا مفعول ، وجواب لو محذوف وهو العامل فى أن التقدير لوترى الذين ظلموا لعلمت أنّ القوة لله أو لعلموا أنّ القوة لله ، والقوىّ بالياء ، وهو على هذه القراءة من رؤيا القلب ، والذين ظلموا فاعل ، وأن القوة مفعول يرى ، وجواب لو محذوف والتقدير لو يرى الذين ظلموا أنّ القوة لله لندموا ، ولاستعظموا ماحل بهم (إذ تبرأ) بدل من إذ يرون ، أو استئناف والعامل فيه محذوف وتقديره اذكر (الذين اتبعوا) هم الآلهة أو الشياطين أو الرؤساء من الكفار والعموم أولى (الأسباب) هنا الوصلات من الأرحام والمودّات (أعمالهم حسرات) أى سيادتهم وقيل حسنتهم إذا لم تقبل

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ۝ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ

منهم أوماعملوا لآلهتهم (كلوا) أمر محمول على الإباحة (حلالا) حال مما فى الأرض أومفعول بكلوا أو صفة لمفعول محذوف أى سيئا حلالا (طيباً) يحتمل أن يريد الحلال (خطوات الشيطان) مايأمر به، وأصله من خطوت الشيء وقال المنذر بن سعيد يحتمل أن يكون من الخطيئة ثم سهلت همزته وقرئ بضم الطاء وإسكانها وهى لغتان (بالسوء والفحشاء) المعاصى (وأن تقولوا) الإشراك وتحريم الحلال كالبحيرة وغير ذلك (أولو كان آباؤهم) ردًا على قولهم: بل نتبع الآية فى كفار العرب وقيل فى اليهود أنهم يتبعونهم ولو كانوا (لا يعقلون) فدخلت همزة الإنكار على واو الحال (ومثل الذين كفروا) الآية: فى معناها قولان: الأول تشبيه الذين كفروا بالبهائم لقلة فهمهم وعدم استجابتهم لمن يدعوهم، ولابد فى هذا من محذوف، وفيه وجهان: أحدهما أن يكون المحذوف أول الآية والتقدير مثل داعى الذين كفروا الى الإيمان (كمثل الذى ينعق) أى يصيح (بما لا يسمع) وهى البهائم التى لاتسمع (إلا دعاء ونداء) ولا يعقل معنى، والآخر أن يكون المحذوف بعد ذلك والتقدير مثل الذين كفروا كمثل مدعو الذى ينعق ويكون دعاء ونداء على الوجهين مفعولا يسمع والنعيق: هو زجر الغنم، والصياح عليها، فعلى هذا القول شبه الكفار بالغنم وداعيهم بالذى يزجرها وهو يصيح عليها، الثانى: تشبيه الذين كفروا فى دعائهم وعبادتهم لأصنامهم بمن ينعق بما لا يسمع لأن الأصنام لاتسمع شيئا، ويكون دعاء ونداء على هذا منعطف: أى أن الداعى يتعب نفسه بالدعاء أو النداء لمن لم يسمعه من غير فائدة، فعلى هذا شبه الكفار بالنعق (صم) وما بعده راجع إلى الكفار وذلك غير التأويل الأول ورفعوا على إضمار مبتدأ (واشكروا) الآية: دليل على وجوب الشكر لقوله « إن كنتم إياه تعبدون (الميتة) مامات حتف أنفه، وهو عموم خص منه الحوت والجراد، وأجاز مالك أكل الطافى من الحوت، ومنعه أبو حنيفة، ومنع مالك الجراد حتى تسيب فى بيوتها بقطع عضو منها أو وضعها فى الماء وغير ذلك، وأجازه عبد الحكم دون ذلك (والدم) يريد المسفوح لتقييده بذلك فى سورة الأنعام، ولا خلاف فى إباحة ماخالط اللحم من الدم (ولحم الخنزير) هو حرام سواء ذكى أو لم يذك، وكذلك شحمه بإجماع، وإنما خص اللحم بالذكر، لأنه الغالب فى الأكل ولأن الشحم تابع له، وكذلك من حلف أن لا يأكل لحما فأكل شحما حنث بخلاف العكس (وما أهل به) أى صيح لأنهم كانوا يصيحون باسم من ذبح له ثم استعمل فى النية فى الذبح (لغير الله) الأصنام وشبهها (اضطر) بالجوع أو بالإكراه، وهو مشتق من الضرورة ووزنه افتعل وأبدل من التاء طاء (غير باغ ولا عاد) قيل باغ على المسلمين، وعاد عليهم، ولذلك لم يرخص مالك فى رواية عنه

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ

للعاصي بسفره أن يأكل لحم الميتة ، والمشهور عنه الترخيص له ، وقيل غير باغ باستعمالها من غير إضرار ، وقيل باغ أى متزايد على إمساك رمقه ولهذا لم يجز الشافعي للمضطر أن يشبع من الميتة قال مالك بل يشبع ويتزود (فلا إثم عليه) رفع للحرج ، ويجب على المضطر أكل الميتة لئلا يقتل نفسه بالجوع وإنما تدل الآية على الإباحة لا على الوجوب ، وقد اختلف هل يباح له ميتة بنى آدم أم لا ، فمنعه مالك وأجازه الشافعى لعموم الآية (إن الذين يكتمون) اليهود (ما يأكلون فى بطونهم إلا النار) أى أكلهم للدنيا يقودهم إلى النار فوضع السبب موضع المسبب ، وقيل يأكلون النار فى جهنم حقيقة (ولا يكلمهم الله) عبارة عن غضبه عليهم ، وقيل لا يكلمهم بما يحبون (ولا يزكيهم) لا يثنى عليهم (فما أصبرهم على النار) تعجب من جرأتهم على ما يقودهم إلى النار أو من صبرهم على عذاب النار فى الآخرة ، وقيل إنها استفهام ، وأصبرهم بمعنى صبرهم ، وهذا بعيد ، وإنما حمل قائله عليه اعتقاده أن التعجب مستحيل على الله لأنه استعظام خفى سببه ، وذلك لا يلزم فإنه فى حق الله غير خفى السبب (ذلك) إشارة إلى العذاب ورفعه بالابتداء أو بفعل مضمر (بأن الله) الباء سببية (نزل الكتاب) القرآن هنا (بالحق) أى بالواجب ، أو بالإخبار الحق أى الصادق ، والباء فيه سببية أو للمصاحبة (الذين اختلفوا فى الكتاب) اليهود والنصارى ، والكتاب على هذا التوراة والإنجيل ، وقيل الذين اختلفوا العرب ، والكتاب على هذا القرآن ويحتمل جنس الكتاب فى الموضعين (فى شقاق بعيد) أى بعيد من الحق والاستقامة (ليس البر) الآية : خطاب لأهل الكتاب لأن المغرب قبلة اليهود ، والمشرق قبلة النصارى : أى إنما البر التوجه إلى الكعبة ، وقيل خطاب للمؤمنين أى ليس البر الصلاة خاصة ، بل البر جميع الأشياء المذكورة بعد هذا (ولكن البر من آمن) لا يصح أن يكون خبراً عن البر فتأويله : لكن صاحب البر من آمن أو لكن البرّ برّ من آمن أو يكون البر مصدراً وصف به (وآت المال) صدقة التطوع ، وليست بالزكاة لقوله بعد ذلك : وآتى الزكاة (على حبه) الضمير عائد على المال لقوله «ويؤثرون على أنفسهم الآية» وهو الراجح من طريق المعنى ، وعود الضمير على الأقرب وهو على هذا تتميم وهو من أدوات البيان ، وقيل يعود على مصدر آتى ، وقيل على الله (ذوى القربى) وما بعده ترتيب بتقديم الأهم فالأهم ، والأفضل لأن الصدقة على القرابة صدقة وصلة بخلاف من بعدهم ، ثم اليتامى لصغرهم وحاجتهم ثم المساكين للحاجة خاصة ، وابن السبيل الغريب ، وقيل الضعيف ، والسائلين وإن كانوا غير محتاجين ، وفى الرقاب عتقها (والموفون بعهدهم) أى العهد مع الله ومع الناس (والصابرين) نصب بإضمار فعل (فى البأساء)

إِذَا عَٰهَدُوا وَالصَّٰبِرِينَ فِى الْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِى الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُولِى الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ۝ فَمَنۢ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَآ

الفقر (والضراء) المرض (وحين البأس) القتال (صدقوا) فى القول والفعل والعزيمة (كتب عليكم القصاص) أى شرع لكم، وليس بمعنى فرض، لأنّ ولى المقتول مخير بين القصاص والدية والعفو، وقيل بمعنى فرض أى فرض على القاتل الانقياد على القصاص، وعلى ولي المقتول أن لا يتعداه إلى غيره كفعل الجهلة وعلى الحاكم التمكين من القصاص (الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) ظاهره اعتبار التساوى بين القاتل والمقتول فى الحرية والذكورية، ولا يقتل حر بعبد، ولا ذكر بأنثى إلا أن العلماء أجمعوا على قتل الذكر بالأنثى، وزاد قوم أن يعطى أولياؤها حينئذ نصف الدية لأولياء الرجل المقتص منه خلاف لمالك وللشافعى وأبو حنيفة، وأما قتل الحرّ بالعبد فهو مذهب أبى حنيفة خلافاً لمالك والشافعى، فعلى هذا لم يأخذ أبو حنيفة بشىء من ظاهر الآية لا فى الذكورية ولا فى الحرية لأنها عنده منسوخة، وأخذ مالك بظاهرها فى الحرية كما فى الذكورية وتأويلها عنده أن قوله الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد عموم يدخل فيه: الذكر بالذكر، والأنثى بالأنثى والأنثى بالذكر، والذكر بالأنثى، ثم كرر قوله: الأنثى بالأنثى: تأكيداً للتجديد، لأنّ بعض العرب إذا قتل منهم أنثى قتلوا بها ذكرا تكبرا وعدوانا، وقد يتوجه قول مالك على نسخ جميعها، ثم يكون عدم قتل الحرّ بالعبد من السنة، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يقتل حرّ بعبد، والناسخ لها على القول بالنسخ: عموم قوله النفس بالنفس على أن هذا ضعيف، لأنه إخبار عن حكم بنى إسرائيل (فمن عفى له) الآية: فيها تأويلان: أحدهما أن المعنى من قتل منى عنه فعليه أداء الدية بإحسان، وعلى أولياء المقتول اتباعه بها على وفاء فعلى هذا من كناية عن القاتل وأخوه هو المقتول أو وليه، وعفى من العفو عن القصاص، وأصله أن يتعدى بعن، وإنما تعدّى هنا باللام لأنه كقولك تجاوزت لفلان عن ذنبه، وعلى الثانى أن من أعطيته الدية فعليه اتباع المعروف، وعلى القاتل أداء بإحسان، فعلى هذا من كناية عن أولياء المقتول، وأخوه هو القاتل أو عاقلته، وعفى بمعنى يسر: كقوله خذ العفو أى ما تيسر، ولا إشكال فى تعدى عفى باللام على هذا المعنى (ذلك تخفيف) إشارة إلى جواز أخذ الدية لأن بنى إسرائيل لم يكن عندهم دية، وإنما هو القصاص (فمن اعتدى) أى قتل قاتل وليه بعد أن أخذ منه الدية (عذاب أليم) القصاص منه وقيل عذاب الآخرة (ولكم فى القصاص حياة) بمعنى قولهم القتل أنفى للقتل أى أن القصاص يردع الناس عن القتل، وقيل المعنى أن القصاص أقل قتلا، لأنه قتل واحد بواحد، بخلاف ما كان فى الجاهلية من اقتتال قبيلتى القاتل والمقتول حتى يقتل بسبب ذلك جماعة (الوصية للوالدين والأقربين) كانت فرضا قبل الميراث ثم نسخها آية الميراث مع قوله صلى الله عليه وآله وسلم

إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم ۝ فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ۝ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ۝ أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ۝ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على

« لاوصية لوارث » وبقيت الوصية مندوبة لمن لا يرث من الأقربين ، وقيل معناها الوصية بتوريث الوالدين والأقربين على حسب الفرائض ، فلا تعارض بينها وبين المواريث ، ولا نسخ ، والأول أشهر (كتب عليكم الصيام) أى فرض ، والقصد بقوله (كما كتب على الذين من قبلكم) وبقوله (أياما معدودات) تسهيل الصيام على المسلمين ، وكأنه اعتذار عن كتبه عليهم وملاطفة جميلة ، والذى كتب على الذين من قبلنا الصيام مطلقا ، وقيل كتب على الذين من قبلنا رمضان فبدلوه (أياما) منصوب بالصيام أو بمحذوف ، ويبعد انتصابه بتتقون (فمن كان منكم مريضا) الآية : إباحة للفطر مع المرض والسفر ، وقد يجب الفطر إذا خاف الهلاك ، وفى الكلام عند الجمهور محذوف يسمى لحوى الخطاب ، والتقدير : فمن كان منكم مريضا أو على سفر فأفطر فعليه عدة من أيام أخر ، ولم يفعل الظاهرية بهذا المحذوف فرأوا أن صيام المسافر والمريض لا يصح ، وأوجبوا عليه عدة من أيام أخر ، وإن صام فى رمضان ، وهذا منهم جهل بكلام العرب ، وليس فى الآية مايقتضى تحديد السفر ، وبذلك قال الظاهرية ، وحده فى مشهور مذهب مالك أربعة برد (وعلى الذين يطيقونه فدية) قيل يطيقونه من غير مشقة فيفطرون ويكفرون . ثم نسخ جواز الإفطار بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، وقيل يطيقونه بمشقة كالشيخ الهرم ، فيجوز له الفطر فلا نسخ على هذا ، فمن تطوع أى صام ولم يأخذ بالفطر والكفارة ، وذلك على القول بالنسخ ، وقيل تطوع بالزيادة فى مقدار الإطعام ، وذلك على القول بعدم النسخ (شهر رمضان) مبتدأ أو خبر ابتداء مضمر أو بدل من الصيام (أنزل فيه القرآن) قال ابن عباس أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا فى ليلة القدر من رمضان ، ثم نزل به جبريل على النبى صلى الله عليه وآله وسلم بطول عشرين سنة ، وقيل المعنى أنزل فى شأنه القرآن : كقولك أنزل القرآن فى فلان وقيل المعنى ابتدأ فيه إنزال القرآن (هدى للناس وبينات من الهدى) أى أن القرآن هدى للناس ، ثم هو مع ذلك من مبينات الهدى ، وذلك أن الهدى على نوعين : مطلق وموصوف بالبينات ، فالهدى الأول هنا على الإطلاق ، وقوله من البينات والهدى : أى وهو من الهدى المبين ، فهو من عطف الصفات كقولك فلان عالم وجليل من العلماء (فمن شهد) أى كان حاضرا غير مسافر والشهر منصوب على الظرفية ، واليسر والعسر على الإطلاق ، وقيل اليسر : الفطر فى السفر ، والعسر الصوم فيه (ولتكملوا) متعلق بمحذوف تقديره شرع أو عطف على اليسر (العدة) الأيام التى أفطر فيها (ولتكبروا) التكبير يوم العيد أو مطلقا (أجيب دعوة الداع) مقيد بمشيئة الله ،

مَاهَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ

وموافقة القدر ، وهذا جواب من قال كيف لا يستجاب الدعاء مع وعدالله بالاستجابة (فليستجيبوا لى) أى امتثال مادعوتهم إليه من الإيمـان والطاعة (أحل لكم) الآية : كان الأكل والجماع محرما بعد النوم فى ليـل رمضان، فجرت لذلك قصة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ولصرمة بن مالك ، فأحلهما الله تخفيفا على عباده (الرفث) هنا الجماع ، وإنما تعدى بإلى لأنه فى معنى الإفضاء (هن لباس لكم) تشبيه بالثياب ، لاشتمال كل واحد من الزوجين على الآخر، وهذا تعليل للإباحة (تختانون أنفسكم) أى تأكلون وتجامعون بعدالنوم فى رمضان (فتاب عليكم وعفى عنكم) أى غفر ماوقعتم فيه من ذلك ، وقيل رفع عنكم ذلك الحكم (باشروهن) إباحة (ما كتب الله لكم) قيل الولد يبتغى بالجماع ، وقيل الرخصة فى الأكل والجماع لمن نام فى ليل رمضان بعد منعه (من الفجر) بيان للخيط الأبيض لا للأسود ؛ لأنّ الفجر ليس له سواد ، والخيط هنا استعارة : يراد بالخيط الأبيض بياض الفجر ، وبالخيط الأسود : سواد الليل ، وروى أن قوله من الفجر نزل بعد ذلك بيانا لهـذا المعنى ، لأنّ بعضهم جعل خيطا أبيض وخيطا أسود تحت وسادته ، وأكل حتى تبين له ، فقال لها النبى صلى الله عليه وآله وسلم إنمـا هو بياض النهار وسواد الليل (إلى الليل) أى إلى أوّل الليل ، وهو غروب الشمس فمن أفطر قبل ذلك فعليه القضاء والكفارة ومن شك هل غربت أم لا فأفطر ، فعليه القضاء والكفارة أيضا وقيل القضاء فقط ، وقالت عائشة رضى الله عنها « إلى الليل » يقتضى المنع من الوصال ، وقد جاء ذلك فى الحديث (ولا تباشروهن) تحريم للمباشرة حين الاعتكاف ، قال الجمهور : المباشرة هنا الجماع فما دونه . وقيل الجماع فقط ، (فى المساجد) دليـل على جواز الاعتكاف فى كل مسجد ؛ خلافا لمن قال لا اعتكاف إلا فى المسجد الحرام ، ومسجد المدينة ، وبيت المقدس : وفيه أيضا دليل على أن الاعتكاف لايكون إلا فى المساجد لافى غيرها خلافا لمن أجازه فى غيرها من مفهوم الآية (حدودالله) أحكامه التى أمر بالوقوف عندها (فلا تقربوها) أى لا تقربوا مخالفتها ، واستدل بعضهم به على سدّ الذرائع لأنّ المقصود النهى عن المخالفة للحدود لقوله : تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ثم نهى هنا عن مقاربة المخالفة سدّا للذريعة (ولا تأكلوا أموالكم) أى لا يأكل بعضكم مال بعض (بالباطل) كالقمار ، والغصب ، وجحد الحقوق وغيرذلك (وتدلوا) عطف على لا تأكلوا ، أو نصب بإضمار أن وهو من أدلى الرجل بحجته إذا قام بهـا ، والمعنى نهى عن أن يحتج بحجة باطلة ، ليصل بها إلى أكل مال الناس ، وقيل نهى عن رشوة الحكام بأموال للوصول إلى أكل أموال الناس فالبـاء على

النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ وَقَٰتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۞ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَٰفِرِينَ ۞ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى الظَّٰلِمِينَ ۞ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۞ وَأَنفِقُوا فِى

الأول سببية ، وعلى الثانى للإلصاق (بالإثم) الباء سببية أو للمصاحبة ، والإثم على القول الأول فى تدلوا : إقامة الحجة الباطلة كشهادة الزور ، والأيمان الكاذبة ، وعلى القول الثانى الرشوة (يسألونك عن الأهلة) سببها أنهم سألوا عن الهلال ، وما فائدته ومخالفته لحال الشمس ، والهلال ليلتان من أول الشهر ، وقيل ثلاث ، ثم يقال له قمر (مواقيت) جمع ميقات لمحل الديون والأكرية والقضاء والعدد وغير ذلك ثم ذكر الحج اهتماما بذكره وإن كان قد دخل فى المواقيت للناس (وليس البر) الآية : كان قوم إذا رجعوا من الحج لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ، وإنما يدخلون من ظهورها ، ويقولون لا يحول بيننا وبين السماء شىء فنزلت الآية إعلاما بأن ذلك ليس من البر، وإنما ذكر ذلك بعد ذكر الحج لأنه كان عندهم من تمام الحج ، وقيل المعنى ليس البر أن تسألوا عن الأهلة وغيرها مما لا فائدة لكم فيه فتأتون الأمور على غير ما يجب ، فعلى هذا البيوت وأبوابها وظهورها استعارة : يراد بالبيوت المسائل ، وبظهورها السؤال عما لا يفيد ، وأبوابها السؤال عما يحتاج إليه (البر من اتقى) تأويله مثل البر من آمن (الذين يقاتلونكم) كان القتال غير مباح فى أول الإسلام ، ثم أمر بقتال الكفار الذين يقاتلون المسلمين دون من لم يقاتل ، وذلك مقتضى هذه الآية ثم أمر بقتال جميع الكفار فى قوله « قاتلوا المشركين كافة » (اقتلوهم حيث وجدتموهم) فهذه الآية منسوخة ، وقيل إنها محكمة وأن المعنى قاتلوا الرجال الذين هم بحال من يقاتلونكم دون النساء والصبيان الذين لا يقاتلونكم ، والأول أرجح وأشهر (ولا تعتدوا) أى بقتال من لم يقاتلكم على القول الأول ، وبقتال النساء والصبيان على القول الثانى (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أى من مكة ، لأن قريشا أخرجوا منها المسلمين (والفتنة أشد من القتل) أى فتنة المؤمن عن دينه أشد عليه من قتله ، وقيل كفر الكفار . أشد من قتل المؤمنين لهم فى الجهاد (عند المسجد الحرام) منسوخ بقوله حيث وجدتموهم ، وهذا يقوى نسخ الذين يقاتلونكم (فإن انتهوا) عن الكفر فأسلموا بدليل قوله (غفور رحيم) وإنما يغفر للكافر إذا أسلم (لا تكون فتنة) أى لا يبقى دين كفر (الشهر الحرام) الآية : نزلت لما صد الكفار النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن دخول مكة للعمرة عام الحديبية فى شهر ذى الحجة ، فدخلها فى العام الذى بعده فى شهر ذى القعدة أى الشهر الحرام الذى دخلتم فيه مكة بالشهر الحرام الذى صددتم فيه عن دخولها (والحرمات قصاص) أى حرمة

سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ

الشهر والبلد حين دخلتموها قصاص بحرمة الشهر، والبلد حين صددتم عنها (فاعتدوا عليه) تسمية للعقوبة باسم الذنب أى قاتلوا من قاتلكم، ولا تبالوا بحرمة من صدكم عن دخول مكة (تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) قال أبو أيوب الأنصارى: المعنى لا تشتغلوا بأموالكم عن الجهاد، وقيل لا تتركوا النفقة فى الجهاد خوف العيلة وقيل لا تقنطوا من التوبة وقيل لا تقتحموا المهالك، والباء فى بأيديكم زائدة، وقيل التقدير: لا تلقوا أنفسكم بأيديكم (وأتموا الحج والعمرة لله) أى أكملوهما إذا ابتدأتم عملهما قال ابن عباس إتمامهما إكمال المناسك وقال على: إتمامهما: أن تحرم بهما من دارك، ولا حجة فيه لمن أوجب العمرة؛ لأن الأمر إنما هو بالإتمام لا بالابتداء (فإن أحصرتم) المشهور فى اللغة أحصره المرض بالألف، وحصره العدو وقيل بالعكس، وقيل هما بمعنى واحد، فقال مالك أحصرتم هنا بالمرض على مشهور اللغة، فأوجب عليه الهدى ولم يوجبه على من حصره العدو، وقال الشافعى وأشهب يجب الهدى على من حصره العدو، وعمل الآية على ذلك، واستدلا بنحر النبى صلى الله عليه وآله وسلم الهدى بالحديبية، وقال أبو حنيفة يجب الهدى على المحصر بعدو وبمرض (فما استيسر) أى فعليكم ما استيسر من الهدى وذلك شاة (ولا تحلقوا رؤسكم) خطابا للمحصر وغيره (فمن كان منكم مريضا) الآية: نزلت فى كعب بن عجرة حين رآه النبى صلى الله عليه وسلم فقال له لعلك يؤذيك هوام رأسك: احلق رأسك، وصم ثلاثة أيام وأطعم ستة مساكين أو انسك بشاة، فمعنى الآية أن من كان فى الحج واضطره مرض أو قمل إلى حلق رأسه قبل يوم النحر: جاز له حلقه وعليه صيام أو صدقة أو نسك حسبما تفسر فى الحديث، وقاس الفقهاء على حلق الرأس سائر الأشياء التى يمنع الحاج منها إلا الصيد، والوطء، وقصر الظاهرية ذلك على حلق الرأس، ولا بد فى الآية من مضمر لا ينتقل الكلام عنه، وهو المسمى لحوى الخطاب، وتقديرها: فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه لحلق رأسه فعليه فدية (فإذا أمنتم) أى من المرض على قول مالك، ومن العدو على قول غيره، والمعنى: إذا كنتم بحال أمن سواء تقدم مرض أو خوف عدو أو لم يتقدم (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج) التمتع عند مالك وغيره: هو أن يعتمر الإنسان فى أشهر الحج، ثم يحج من عامه، فهو قد تمتع بإسقاط أحد السفرين للحج أو العمرة، وقال عبدالله بن الزبير: التمتع هو أن يحصر عن الحج بعدو حتى يفوته الحج، فيعتمر عمرة يتحلل بها من إحرامه، ثم يحج من قابل قضاء لحجته، فهو قد تمتع بفعل الممنوعات من الحج فى وقت تحلله بالعمرة إلى الحج القابل، وقيل التمتع هو قران الحج والعمرة (فما استيسر من الهدى) شاة (ثلاثة أيام فى الحج) وقتها من إحرامه إلى يوم عرفة فإن فاته صام أيام التشريق (إذا رجعتم) إلى بلادكم أو فى الطريق (تلك عشرة) فائدته أن السبع تصام بعد الثلاثة فتكون عشرة، ورفع لئلا يتوهم أن السبعة بدل من الثلاثة، وقيل هو مثل الفذلكة وهو قول الناس بعد الأعداد فذلك كذا، وقيل كاملة فى الثواب (لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) يعنى غير أهل مكة

حَاضِرِى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَٰٓأُولِى الْأَلْبَٰبِ ۝ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ الضَّآلِّينَ ۝ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى الدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى الْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۝ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا

وذى طوى بإجماع ، وقيل أهل الحرام كله ، وقيل من كان دون الميقات ، وقوله ذلك . إشارة إلى الهدى أو الصيام : أى إنما يجب الهدى أو الصيام بدلا منه على الغرباء لا على أهل مكة ، وقيل ذلك إشارة إلى التمتع (الحج أشهر) التقدير أشهر الحج أشهر ، أو الحج فى أشهر وهى شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، وقيل العشر الأول منه ، وينبنى على ذلك أن من أخر طواف الإفاضة إلى آخر ذى الحجة : فعليه دم على القول بالعشر الأول ، ولا دم عليه على القول بجميع الشهر ، واختلف فيمن أحرم بالحج قبل هذه الأشهر ، فأجازه مالك على كراهة ، ولم يجزه الشافعى وداود لتعيين هذا الاسم كذلك ؛ فكأنها كوقت الصلاة (فمن فرض فيهن الحج) أى ألزم بالحج نفسه (فلا رفث ولا فسوق) الرفث : الجماع ، وقيل الفحش من الكلام ، والفسوق : المعاصى ، والجدال : المراء مطلقا ، وقيل المجادلة فى مواقيت الحج ، وقيل النسىء الذى كانت العرب تفعله (وتزودوا) قيل احملوا زادا فى السفر ، وقيل تزودوا للآخرة بالتقوى ، وهو الأرجح لما بعده (فضلا من ربكم) التجارة فى أيام الحج أباحها الله تعالى ، وقرأ ابن عباس : فضلا من ربكم فى مواسم الحج (أفضتم) اندفعتم جملة واحدة (من عرفات) اسم علم للموقف والتنوين فيه فى مقابلة النون فى جمع المذكر لا تنوين صرف ، فإن فيه التعريف والتأنيث (المشعر الحرام) المزدلفة والوقوف بها سنة (كما هداكم) الكاف للتعليل (وإن كنتم) إن مخففة من الثقيلة ، ولذلك جاء اللام فى خبرها (من قبله) أى من قبل الهدى (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) فيه قولان أحدهما أنه أمر للجنس وهم قريش ومن تبعهم كانوا يقفون بالمزدلفة لأنها حرم ، ويقفون بعرفة مع سائر الناس ؛ لأنها حل ، ويقولون نحن أهل الحرم لا نقف إلا بالحرم ، فأمرهم الله تعالى أن يقفوا بعرفة مع الناس ويفيضوا منها ، وقد كان النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قبل ذلك يقف مع الناس بعرفة توفيقا من الله تعالى له ، والقول الثانى أنها خطاب لجميع الناس ، ومعناها : أفيضوا من المزدلفة إلى منى فثم على هذا القول على بابها من الترتيب ، وأما على القول الأول فليست للترتيب ، بل للعطف خاصة ، قال الزمخشرى هى كقولك أحسن إلى الناس ، ثم لا تحسن إلى غير كريم ، فإن معناها التفاوت بين ماقبلها وما بعدها وأن ما بعدها أوكد (قضيتم مناسككم) فرغتم من أعمال الحج (كذكركم آباءكم) لأن الإنسان كثيرا مايذكر آباءه ، وقيل كانت العرب يذكرون آباءهم مفاخرة عند الجمرة ، فأمروا بذكر الله عوضا من ذلك (آتنا فى الدنيا) كان الكفار إنما يدعون بخير الدنيا خاصة ، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة (حسنة) قيل العمل

فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۞ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوٓا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۞ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ۞ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ۞ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِى السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ

الصالح وقيل المرأة الصالحة (وفى الآخرة حسنة) الجنة (نصيب مما كسبوا) يحتمل أن تكون من سببية أى لهم نصيب من الحسنات التى اكتسبوها ، والنصيب على هذا الثواب (سريع الحساب) فيه وجهان : أحدهما أن يراد به سرعة مجىء يوم القيامة ، لأن الله لا يحتاج إلى عدة ولا فكرة ، وقيل لعلىّ رضى الله عنه : كيف يحاسب الله الناس على كثرتهم ؟ قال كما يرزقهم على كثرتهم (فى أيام معدودات) ثلاثة بعد يوم النحر ، وهى أيام التشريق ، والذكر فيها : التكبير فى أدبار الصلوات ، وعند الجمار وغير ذلك (فمن تعجل فى يومين) أى انصرف فى اليوم الثانى من أيام التشريق (ومن تأخر) إلى اليوم الثالث فرمى فيه بقية الجمار ، وأما المتعجل فقيل يترك رمى جمار اليوم ، وقيل يقدمها فى اليوم الثانى (فلا إثم عليه) فى الموضعين، قيل إنه إباحة للتعجل والتأخر ، وقيل إنه إخبار عن غفران الإثم وهو الذنب للحاج ، سواء تعجل أو تأخر (لمن اتقى) أما على القول بأن معنى فلا إثم عليه : الإباحة ، فالمعنى أن الإباحة فى التعجل والتأخر لمن اتقى أن يأثم فيهما ، فقد أبيح له ذلك من غير إثم ، وأما على القول بأن معنى فلا إثم عليه : إخبار بغفران الذنوب ، فالمعنى أن الغفران إنما هو لمن اتقى الله فى حجه ، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من حج هذا البيت ، فلم يرفث ، ولم يفسق : خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » فاللام متعلقة إما بالغفران أو بالإباحة المفهومين من الآية (من يعجبك) الآية : قيل نزلت فى الأخنس بن شريق ، فإنه أظهر الإسلام ، ثم خرج فقتل دواب المسلمين وأحرق لهم زرعا ، وقيل فى المنافقين . وقيل عامة فى كل من كان على هذه الصفة (فى الحياة) متعلق بقوله يعجبك : أى يعجبك ما يقول فى أمر الدنيا . ويحتمل أن يتعلق بيعجبك (ويشهد الله) أى يقول الله أعلم إنه لصادق (ألد الخصام) شديد الخصومة (تولى) أدبر بجسده أو أعرض بقلبه ، وقيل صار واليا (ويهلك الحرث والنسل) على القول بأنها فى الأخنس ، فإهلاك الحرث حرقه الزرع ، وإهلاك النسل قتله الدواب ، وعلى القول بالعموم فالمعنى مبالغته فى الفساد ، وعبر عن ذلك بإهلاك الحرث والنسل ، لأنهما قوام معيشة ابن آدم ، فإن الحرث هو الزرع والفواكه وغير ذلك من النبات ، والنسل هو الإبل والبقر والغنم وغير ذلك مما يتناسل (أخذته العزة بالإثم) المعنى أنه لا يطيع من أمره بالتقوى تكبرا وطغيانا والباء يحتمل أن تكون سببية أو بمعنى مع . وقال الزمخشرى : هى كقولك : أخذ الأمير الناس بكذا : أى ألزمهم إياه ، فالمعنى حملته العزة على الإثم (من يشرى نفسه) أى يبيعها ، قيل نزلت فى صهيب وقيل على العموم وبيع النفس فى الهجرة أو الجهاد ،

الشَّيْطَٰنِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ الْبَيِّنَٰتُ فَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ

وقيل فى تغيير المنكر ، وأنّ الذى قبلها فيمن غير عليه فلم ينزجر (السلم) بفتح السين المسالمة ، والمراد بها هنا عقد الذمة بالجزية ، والأمر على هذا لأهل الكتاب وخوطبوا بالذين آمنوا لإيمانهم بأنبيائهم وكتبهم المتقدمة ، وقيل هو الإسلام ، وكذلك هو بكسر السين ، فيكون الخطاب لأهل الكتاب على معنى الأمر لهم بالدخول فى الإسلام ، وقيل إنها نزلت فى قوم من اليهود أسلموا وأرادوا أن يعظموا البيت كما كانوا فالمعنى على هذا : ادخلوا فى الإسلام ، واتركوا سواه ، ويحتمل أن يكون الخطاب للمسلمين على معنى الأمر بالثبوت عليه والدخول فى جميع شرائعه من الأوامر والنواهى (كافة) عموم فى المخاطبين أو فى شرائع الإسلام (فاعلموا أنّ الله عزيز حكيم) تهديد لمن زل بعد البيان (هل ينظرون) أى ينتظرون (يأتيهم الله) تأويله عند المتأولين : يأتيهم عذاب الله فى الآخرة ، أو أمره فى الدنيا ، وهى عند السلف الصالح من المتشابه يجب الإيمان بها من غير تكييف ويحتمل أن لا تكون من المتشابه ؛ لأنّ قوله ينظرون بمعنى يطلبون بجهلهم كقولهم: لولا يكلمنا الله (فى ظلل) جمع ظلة وهى ما علاك من فوق ، فإن كان ذلك لأمر الله فلا إشكال وإن كان لله فهو من المتشابه (الغمام) السحاب (وقضى الأمر) فرغ منه ، وذلك كناية عن وقوع العذاب (سل بنى إسرائيل) على وجه التوبيخ لهم ، وإقامة الحجة عليهم (من آية) معجزات موسى ، أو الدلالات على نبوّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ومن يبدل) وعيد (ويسخرون) كفار قريش سخروا من فقراء المسلمين كبلال وصهيب (والذين اتقوا) هم المؤمنون الذين سخر الكفار منهم (فوقهم) أى أحسن حالا منهم ، ويحتمل فوقية المكان ، لأنّ الجنة فى السماء (يرزق من يشاء) إن أراد فى الآخرة ، فمن كناية عن المؤمنين ، والمعنى ردّ على الكفار أى إن رزق الله الكفار فى الدنيا ، فإن المؤمنين يرزقون فى الآخرة وإن أراد فى الدنيا فيحتمل أن يكون من كناية عن المؤمنين أى سيرزقهم ، ففيه وعد لهم ، وأن تكون كناية عن الكافرين أى أنّ رزقهم فى الدنيا بمشيئة الله لا على وجه الكرامة لهم (بغير حساب) إن كان للمؤمنين فيحتمل أن يريد بغير تضييق ومن حيث لا يحتسبون أو لا يحاسبون عليه وإن كان للكفار فمن غير تضييق (أمّة واحدة) أى متفقين فى الدين ، وقيل كفاراً فى زمن نوح عليه السلام ، وقيل مؤمنين ما بين آدم ونوح ، أو من كان مع نوح فى السفينة وعلى ذلك يقدر : فاختلفوا بعد اتفاقهم ، ويدل عليه « أمّة واحدة » فاختلفوا (الكتاب) هنا جنس أو فى كل نبىّ وكتابه (وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه) الضمير المجرور يعود على الكتاب ، أو على الضمير المجرور المتقدم ، وقال الزمخشرى : يعود على

فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۞ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ

الحق ، وأما الضمير فى أوتوه ، فيعود على الكتاب ، والمعنى تقبيح الاختلاف بين الذين أوتوا الكتاب بعد أن جاءتهم البينات (بغيا) أى حسداً أو عدوانا ، وهو مفعول من أجله ، أومصدر فى موضع الحال (فهدى الله الذين آمنوا) يعنى أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (لما اختلفوا فيه) أى للحق لما اختلفوا فيه فما بمعنى الذى وقبلها مضاف محذوف ، والضمير فى اختلفوا لجميع الناس ، يريد اختلافهم فى الأديان ، فهدى الله المؤمنين لدين الحق ، وتقدير الكلام : فهدى الله الذين آمنوا لإصابة ما اختلف فيه الناس من الحق ، ومن فى قوله من الحق لبيان الجنس أى جنس ماوقع فيه الخلاف (بإذنه) قيل بعلمه ، وقيل بأمره (أم حسبتم) خطاب للمؤمنين على وجه التشجيع لهم ، والأمر بالصبر على الشدائد (ولما يأتكم) أى لاتدخلوا الجنة حتى يصيبكم مثل ماأصاب من كان قبلكم (مثل الذين) أى حالهم وعبرعنه بالمثل لأنه فى شدته يضرب به المثل (وزلزلوا) بالتخويف والشدائد (ألا إن نصر الله قريب) يحتمل أن يكون جوابا للذين قالوا متى نصر الله ، وأن يكون إخبارا مستأنفا ، وقيل إن الرسول قال ذلك لما قال الذين معه متى نصر الله ' فللوالدين والأقربين) إن أريد بالنفقه الزكاة ، فذلك منسوخ والصواب أن المراد التطوع فلا نسخ ، وقدم فى الترتيب الأهم فالأهم ، وورد السؤال على المنفق ، والجواب عن مصرفه لأنه كان المقصود بالسؤال ، وقد حصل الجواب عن المنفق فى قوله من خير (كتب عليكم القتال) إن كان على الأعيان فنسخه وماكان المؤمنون لينفروا كافة ، فصار القتال فرض كفاية ، وإن كان على الكفاية فلا نسخ (كره) مصدر ذكر للمبالغة أو اسم مفعول كالخبز بمعنى المخبوز (وعسى أن تكرهوا) حض على القتال (الشهر الحرام) جنس وهو أربعة أشهر : رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم (قتال فيه) بدل من الشهر وهو مقصود السؤال (قل قتال فيه كبير) أى ممنوع ثم نسخه : فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وذلك بعيد فإن حيث وجدتموهم : عموم فى الأمكنة لا فى الأزمنة ، ويظهر أن ناسخه وقاتلوا المشركين كافة بعد ذكر الأشهر الحرم ، فكان التقدير : قاتلوا فيها ، ويدل عليه : فلا تظلموا فيهن أنفسكم ، ويحتمل أن يكون المراد وقوع القتال فى الشهر الحرام : أى إباحته حسبما استقر فى الشرع ، فلا تكون الآية منسوخة ، بل ناسخة لما كان فى أول الإسلام من تحريم القتال فى الأشهر الحرم (وصد عن سبيل الله) ابتداء ، وما بعده معطوف عليه ، وأكبر عند الله : خبر الجميع ، أى أن هذه الأفعال القبيحة التى فعلها الكفار : أعظم عند الله من القتال فى الشهر الحرام الذى عير به الكفار المسلمين سرية عبد الله بن جحش ، حين قاتل فى أول يوم

وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۞ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ

من رجب ، وقد قيل إنه ظن أنه آخر يوم من جمادى (والمسجد) عطف على سبيل الله (حتى يردوكم) قال الزمخشري حتى هنا للتعليل (فأولئك حبطت أعمالهم) ذهب مالك على أن المرتد يحبط عمله بنفس الارتداد ، سواء رجع إلى الإسلام ، أو مات على الارتداد ، ومن ذلك انتقاض وضوئه ، وبطلان صومه ، وذهب الشافعي إلى أنه لايحبط إلا إن مات كافرا ؛ لقوله : فيمت وهو كافر ، وأجاب المالكية بقوله حبطت أعمالهم جزاء على الردة ، وقوله : أصحاب النار هم فيها خالدون جزاء على الموت على الكفر ، وفي ذلك نظر (إن الذين آمنوا) الآية : نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه (الخمر) كل مسكر من العنب وغيره (والميسر) القمار ، وكان ميسر العرب بالقداح في لحم الجزور ، ثم يدخل في ذلك النرد والشطرنج وغيرهما ، وروى أن السائل عنهما كان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه (إثم كبير) نص في التحريم وأنهما من الكبائر ، لأن الإثم حرام لقوله : قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم ، خلافا لمن قال إنما حرمتها آية المائدة لاهذه الآية (ومنافع) في الخمر التلذذ والطرب ، وفي القمار الاكتساب به ولا يدل ذكر المنافع على الإباحة قال ابن عباس : المنافع قبل التحريم ، والإثم بعده (وإثمهما أكبر) تغليبا للإثم على المنفعة ، وذلك أيضا بيان للتحريم (قل العفو) أي السهل من غير مشقة ، وقراءة الجماعة بالنصب بإضمار فعل مشاكله للسؤال ، على أن يكون ما مبتدأ ، وذا خبره (تتفكرون في الدنيا والآخرة) أي في أمرهما (ويسألونك عن اليتامى) كانوا قد تجنبوا اليتامى تورعا ، فنزلت إباحة مخالطتهم بالإصلاح لهم ، فإن قيل : لم جاء ويسألونك بالواو ثلاث مرات ، وبغير واو ثلاث مرات قبلها ؟ فالجواب أن سؤالهم عن المسائل الثلاث الأول وقع في أوقات مفترقة فلم يأت بحرف عطف وجاءت الثلاثة الأخيرة بالواو لأنها كانت متناسقة (والله يعلم) تحذير من الفساد ، وهو أكل أموال اليتامى (لأعنتكم) لضيق عليكم بالمنع من مخالطتهم قال ابن عباس لأهلككم بما سبق من أكلكم لأموال اليتامى (ولا تنكحوا) أي لا تتزوجوا ، والنكاح مشترك بين الوطء والعقد (المشركات) عباد الأوثان من العرب ، فلا تتناول اليهود ولا النصارى المباح نكاحهن في المائدة ، فلا تعارض بين الموضعين ، ولا نسخ ، خلافا

حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَـٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ۝ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَـٰقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَـٰنِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝

لمن قال آية المائدة نسخت هذه ، ولمن قال هذه نسخت آية المائدة فنع نكاح الكتابيات ، ونزول الآية بسبب مرثد الغنوى أراد أن يتزوج امرأة مشركة (ولأمة مؤمنة) أى أمة لله حرّة كانت أو مملوكة وقيل أمة مملوكة خير من حرّة مشركة (ولو أعجبتكم) فى الجمال والمال وغير ذلك (ولا تنكحوا المشركين) أى لا تزوجوهم نساءكم ، وانعقد الإجماع على أن الكافر لا يتزوج مسلمة ، سواء كان كتابيا أو غيره ، واستدل المالكية على وجوب الولاية فى النكاح بقوله « ولا تنكحوا المشركين» لأنه أسند نكاح النساء إلى الرجال (ولعبد) أى عبد لله ، وقيل مملوك (أولئك) المشركات والمشركون (يدعون إلى النار) إلى الكفر الموجب إلى النار (بإذنه) أى بإرادته أو علمه (ويسألونك) سأل عن ذلك عباد بن بشر وأسيد بن حضير قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا نجامع النساء فى المحيض ، خلافا لليهود (هو أذى) مستقذر ، وهذا تعليل لتحريم الجماع فى المحيض (فاعتزلوا النساء) اجتنبوا جماعهن ، وقد فسر ذلك الحديث بقوله : لتشد عليها إزارها ، وشأنك بأعلاها (حتى يطهرن) أى ينقطع عنهن الدم (فإذا تطهرن) أى اغتسلن بالماء ، وتعلق الحكم بالآية الأخيرة عند مالك والشافعى ، فلا يجوز عندهما وطء حتى تغتسل وبالغاية الأولى عند أبى حنيفة فأجاز الوطء عند انقطاع الدم وقبل الغسل ، وقرئ حتى يطهرن بالتشديد ، ومعنى هذه الآية بالماء ، فتكون الغايتان بمعنى واحد ، وذلك حجة لمالك (من حيث أمركم الله) قبل المرأة (التوابين) من الذنوب (المتطهرين) بالماء أو من الذنوب (حرث لكم) أى موضع حرث ، وذلك تشبيه للجماع فى إلقاء النطفة وانتظار الولد : بالحرث فى إلقاء البذر وانتظار الزرع (أنى شئتم) أى كيف شئتم من الهيئات أو من شئتم ، لا أين شئتم لأنه يوهم الإتيان فى الدبر ، وقد افترى من نسب جوازه إلى مالك وقد تبرأ هو من ذلك وقال : إنما الحرث فى موضع الزرع (وقدموا لأنفسكم) أى الأعمال الصالحة (عرضة لأيمانكم) أى لا تكثروا الحلف بالله فتبدلوا اسمه ، وأن تبروا على هذا علة للنهى ، فهو مفعول من أجله : أى نهيتم عن كثرة الحلف كى تبروا . وقيل المعنى لا تحلفوا على أن تبروا وتتقوا ، وافعلوا البرّ والتقوى دون يمين ، فأن تبروا على هذا هو المحلوف عليه ، والعرضة على هذين القولين لقولك : فلان عرضة لفلان إذا أكثر التعرض له ، وقيل عرضة مامنع ، من قولك عرض له أمر حال بينه وبين كذا ، أى لا تمتنعوا بالحلف بالله من فعل البر والتقوى ، ومن ذلك يمين أبى بكر الصديق أن لا ينفق على مسطح ، فأن تبروا على هذا : علة لامتناعهم فهو مفعول من أجله أو مفعول بعرضة ، لأنها بمعنى مانع (باللغو) الساقط وهو عند مالك قولك نعم والله ، ولا والله ، الجارى على اللسان من غير قصد وفاقا

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ • لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ • وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ • وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ • الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ

للشافعى ، وقيل أن يحلف على الشىء بظنه على ماحلف عليه ، ثم يظهر خلافه وفاقا لأبى حنيفة ، وقال ابن عباس : اللغو الحلف حين الغضب ، وقيل اللغو اليمين على المعصية ، والمؤاخذة العقاب أو وجوب الكفارة (بما كسبت قلوبكم) أى قصدت فهو على خلاف اللغو ، وقال ابن عباس : هو اليمين الغموس ، وذلك أن يحلف على الكذب متعمدا ، وهو حرام إجماعا ، وليس فيه كفارة عند مالك خلافا للشافعى (يولون من نسائهم) يحلفون على ترك وطئهن وإنما تعدى بمن ، لأنه تضمن معنى البعد منهن ، ويدخل فى عموم قوله الذين : كل حالف حرا كان أو عبدا ، إلا أنّ مالك جعل مدة إيلاء العبد شهرين ، خلافا للشافعى ، ويدخل فى إطلاق الإيلاء اليمين بكل مايلزم عنه حكم ، خلافا للشافعى فى قصر الإيلاء على الحلف بالله ، ووجهه أنها اليمين الشرعية ، ولا يكون موليا عند مالك والشافعى ، إلا إذا حلف على مدة أكثر من أربعة أشهر ، وعند أبى حنيفة أربعة أشهر فصاعدا ، فإذا انقضت الأربعة الأشهر : وقف المولى عند مالك والشافعى ، فإما فاء وإلا طلق ، فإن أبى الطلاق : طلق عليه الحاكم ، وقال أبو حنيفة : إذا انقضت الأربعة الأشهر : وقع الطلاق دون توقيف ، ولفظ الآية يحتمل القولين (فإن فاؤا) رجعوا إلى الوطئ وكفروا عن اليمين (غفور رحيم) أى يغفر مافى الأيمان من إضرار المرأة (عزموا الطلاق) العزيمة على قول مالك التطليق أو الإبابة فيطلق عليه الحاكم ، وعند أبى حنيفة ترك الفىء حتى تنقضى الأربعة الأشهر ، والطلاق فى الإيلاء رجعىّ عند مالك بائن عند الشافعى وأبى حنيفة (والمطلقات يتربصن) بيان للعدة ، وهو عموم مخصوص خرجت منه الحامل بقوله تعالى وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن . واليائسة والصغيرة بقوله : واللائى يئسن من المحيض الآية . والتى لم يدخل بها بقوله : فمالكم عليهنّ من عدة تعتدونها ، فيبقى حكمها فى المدخول بها ، وهى سن من تحيض وقد خص مالك منها الأمة ، فجعل عدتها قرءين ويتربصن خبر بمعنى الأمر (ثلاثة قروء) انتصب ثلاثة على أنه مفعول به هكذا قال الزمخشرى ، وقروء جمع قرء وهو مشترك فى اللغة بين الطهر والحيض ، فحمله مالك والشافعى على الطهر لإثبات التاء فى ثلاثة ، فإنّ الطهر مذكر والحيض مؤنث ، ولقول عائشة: الأقراء هى الإطهار ، وحمله أبو حنيفة على الحيض لأنه الدليل على براءة الرحم ، وذلك مقصود العدة ، فعلى قول مالك تنقضى العدة بالدخول فى الحيضة الثالثة إذا طلقها فى طهر لم يمسها فيه ، وعند أبى حنيفة بالطهر منها (ما خلق الله فى أرحامهن) يعنى الحمل والحيض ، وبعولتهن جمع بعل ، وهو هنا الزوج (فى ذلك) أى فى زمان العدة (ولهنّ مثل الذى عليهنّ) من الاستمتاع وحسن المعاشرة (درجة) فى الكرامة وقيل الإنفاق وقيل كون الطلاق

لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ فَإِن
طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن
يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ

بيده (الطلاق مرتان) بيان لعدد الطلاق الذى يرتجع منه دون زوج آخر وقيل بيان لعدد الطلاق الذى يجوز إيقاعه، وهو طلاق السنة (فإمساك) ارتجاع وهو مرفوع بالابتداء أو بالخبر (بمعروف) حسن المعاشرة وتوفية الحقوق (أو تسريح) هو تركها حتى تنقضى العدّة فتبين منه (بإحسان) المتعة، وقيل التسريح هنا الطلقة الثالثة بعد الاثنتين، وروى فى ذلك حديث ضعيف وهو بعيد لأنّ قوله تعالى بعد ذلك (فإن طلقها) هو الطلقة الثالثة، وعلى ذلك يكون تكرارا، والطلقة الرابعة لا معنى لها (ولا يحل لكم أن تأخذوا) الآية: نزلت بسبب ثابت بن قيس: اشتكت منه امرأته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها أتردّين عليه حديقته قالت نعم فدعاه فطلقها على ذلك وحكمها على العموم وهو خطاب للأزواج فى حكم الفدية، وهى الخلع، وظاهرها أنه لا يجوز الخلع إلا إذا خاف الزوجان (ألا يقيما حدود الله) وذلك إذا ساء ما بينهما وقبحت معاشرتهما، ثم إنّ المخالعة على أربعة أحوال: الأوّل: أن تكون من غير ضرر من الزوج ولا من الزوجة: فأجازه مالك وغيره لقوله تعالى: فإن طبن لكم عن شىء الآية. ومنعها قوم لقوله تعالى: إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله، والثانى أن يكون الضرر منهما جميعا، فمنعه مالك فى المشهور لقوله تعالى: ولا تعضلوهنّ لتذهبوا ببعض ما آتيتموهنّ، وأجازه الشافعى لقوله تعالى «إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله»، والثالث أن يكون الضرر من الزوجة خاصة، فأجازه الجمهور لظاهر هذه الآية، والرابع أن يكون الضرر من الزوج خاصة: فمنعه الجمهور لقوله تعالى وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج الآية، وأجازه أبو حنيفة مطلقا، وقوله فى ذلك مخالف للكتاب والسنة (فإن خفتم) خطاب للحكام والمتوسطين فى هذا الأمر (فإن طلقها) هذه هى الطلقة الثالثة بعد الطلقتين المذكورتين فى قوله الطلاق مرتان (حتى تنكح زوجا غيره) أجمعت الأئمة على أن النكاح هنا هو العقد مع الدخول والوطء، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم للمطلقة ثلاثا حين أرادت الرجوع إلى مطلقها قبل أن يمسها الزوج الآخر: لا، حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك؛ وروى عن سعيد بن المسيب أن العقد يحلها دون وطء، وهو قول مرفوض لمخالفته للحديث، وخرقه للإجماع، وإنما تحل عند مالك إذا كان النكاح صحيحا لا شبهة فيه، والوطء مباحا فى غير حيض ولا إحرام ولا اعتكاف ولا صيام، خلافا لابن الماجشون فى الوطء غير المباح، وأما نكاح المحلل فحرام، ولا يحل الزوجة لزوجها عند مالك، خلافا لأبى حنيفة والمعتبر فى ذلك نية المحلل لا نية المرأة، ولا المحلل له، وقال قوم من نوى التحليل منهم أفسد (فإن طلقها) يعنى هذا الزوج الثانى (فلا جناح عليهما) أى على الزوجة والزوج الأوّل (أن يقيما حدود الله) أى أوامره فيما يجب من حقوق الزوجة (وإذا طلقتم النساء) الآية: خطاب للأزواج، وهى نهى عن أن يطول الرجل العدّة على المرأة مضارة منه لها بل يرتجع قرب انقضاء العدّة، ثم يطلق بعد ذلك، ومعنى بلغن أجلهن فى هذا الموضع: قاربن انقضاء العدّة، وليس المراد انقضاؤها، لأنه ليس

بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ

بيده إمساك حينئذ ، ومعنى أمسكوهن : راجعوهن (بمعروف) هنا قيل هو الإشهاد وقيل النفقة (وإذا طلقتم النساء) الآية : هذه الأخرى خطاب للأولياء ، وبلوغ الأجل هنا : انقضاء العدة (فلا تعضلوهن) أي لا تمنعوهن (أن ينكحن أزواجهن) أي يراجعن الأزواج الذين طلقوهن ، قال السهيلي نزلت في معقل بن يسار كان له أخت فطلقها زوجها ثم أراد مراجعتها وأرادت هي مراجعته ، فمنعها أخوها ، وقيل نزلت في جابر بن عبد الله وذلك أن رجلا طلق أخته وتركها حتى تمت عدتها ، ثم أراد مراجعتها فمنعها جابر ، وقال تركتها وأنت أملك بها لا زوجتكها أبدا ، فنزلت الآية ، والمعروف هنا : العدل ، وقيل الإشهاد ، وهذه الآية تقتضي ثبوت حق الولي في نكاح وليته خلافا لأبي حنيفة (ذلك يوعظ به) خطابا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكل واحد على حدته ، ولذلك وحد ضمير الخطاب (ذلكم أزكى لكم) خطابا للمؤمنين والإشارة إلى ترك العضل ، ومعنى أزكى أطيب للنفس ، ومعنى أطهر : أي للدين والعرض (والوالدات يرضعن أولادهن) خبر بمعنى الأمر وتقتضي الآية حكمين : الحكم الأول لمن يرضع الولد ، فذهب مالك أن المرأة يجب عليها إرضاع ولدها مادامت في عصمة والده ، إلا أن تكون شريفة لا يرضع مثلها ، فلا يلزمها ذلك ، وإن كان والده قد مات وليس للولد مال : لزمها رضاعه في المشهور ، وقيل أجرة رضاعه على بيت المال ، وإن كانت مطلقة بائن : لم يلزمها رضاعه ، لقوله تعالى : فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن . إلا أن تشاء هي فهي أحق به بأجرة المثل ، فإن لم يقبل غيرها وجب عليها إرضاعه ، ومذهب الشافعي وأبي حنيفة أنها لا يلزمها إرضاعه أصلا ، والأمر في هذه الآية عندهما على الندب ، وقال أبو ثور : يلزمها على الإطلاق لظاهر الآية وحملها على الوجوب ، وأما مالك فحملها في موضع على الوجوب ، وفي موضع على الندب ، وفي موضع على التخيير حسبما ذكر من التقسيم في المذهب الحكم الثاني مدة الرضاع ، وقد ذكرها في قوله (حولين كاملين) وإنما وصفهما بكاملين لأنه يجوز أن يقال في حول وبعض آخر : حولين ، فرفع ذلك الاحتمال ، وأباح الفطام قبل تمام الحولين بقوله تعالى (لمن أراد أن يتم الرضاعة) واشترط أن يكون الفطام عن تراضي الأبوين بقوله : فإن أرادا فصالا الآية . فإن لم يكن على الولد ضرر في الفطام فلا جناح عليهما ، ومن دعا منهما إلى تمام الحولين : فذلك له ، وأما بعد الحولين فمن دعا منهما إلى الفطام فذلك له ، وقال ابن عباس : إنما يرضع حولين من مكث في البطن ستة أشهر ، فمن مكث سبعة فرضاعه ثلاثة وعشرون شهرا ، وإن مكث تسعة فرضاعه إحدى وعشرون ، لقوله تعالى : وحمله وفصاله ثلاثون شهرا (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن) في هذه النفقة والكسوة : قولان : أحدهما : أنها

وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ، وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا

أجرة رضاع الولد ، أوجبها الله للأم على الوالد ، وهو قول الزمخشرى وابن العربى ، الثانى : أنها نفقة الزوجات على الإطلاق ، وقال منذر ابن سعيد البلوطى : هذه الآية نص فى وجوب نفقة الرجل على زوجته ، وعلى هذا حملها ابن الفرس (بالمعروف) أى على قدر حال الزوج فى ماله ، والزوجة فى منصبها ، وقد بين ذلك بقوله لا تكلف نفسا إلا وسعها (لا تضار والدة بولدها) قرئ بفتح الراء لالتقاء الساكنين على النهى ، وبرفعهما على الخبر ، ومعناها النهى ، ويحتمل على كل واحد من الوجهين أن يكون الفعل مسندا إلى الفاعل ، فيكون ماقبل الآخر مكسوراً قبل الإدغام ، أو يكون مسندا إلى المفعول ، فيكون مفتوحا ، والمعنى على الوجهين : النهى عن إضرار أحد الوالدين بالآخر بسبب الولد ، ويدخل فى عموم النهى : وجوه الضرر كلها والباء فى قوله بولدها وبولده : سببية ، والمراد بقوله ولا مولود له : الوالد ، وإنما ذكره بهذا اللفظ إعلاما بأن الولد ينسب له لا للأم (وعلى الوارث مثل ذلك) اختلف فى الوارث فقيل وارث المولود له ، وقيل وارث الصبى لو مات ، وقيل هو الصبى نفسه ، وقيل من بقى من أبويه ، واختلف فى المراد بقوله مثل ذلك ، فقال مالك وأصحابه . عدم المضارة ، وذلك يجرى مع كل قول فى الوارث ؛ لأن ترك الضرر واجب على كل أحد ، وقيل المراد أجرة الرضاع فى النفقة والكسوة ، ويختلف هذا القول بحسب الاختلاف فى الوارث ، فأما على القول بأن الوارث هو الصبى فلا إشكال : لأن أجرة رضاعه فى ماله ، وأما على سائر الأقوال ، فقيل إن الآية منسوخة فلا تجب أجرة الرضاع على أحد غير الوالد ، وقيل إنها محكمة فتجب أجرة الرضاع على وارث الصبى لو مات ، أو على وارث الوالد ، وهو قول قتادة والحسن البصرى (وإن أردتم أن تسترضعوا) إباحة لاتخاذ الظئر (إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف) أى دفعتم أجرة الرضاع (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) الآية عموم فى كل متوفى عنها ، سواء توفى زوجها قبل الدخول أو بعده ، إلا الحامل فعدتها وضع حملها ، سواء وضعته قبل الأربعة الأشهر والعشر أو بعدها عند مالك والشافعى وجمهور العلماء ، وقال على بن أبى طالب : عدتها أبعد الأجلين ، وخص مالك من ذلك الأمة فعدتها فى الوفاة شهران وخمس ليال ، ويتربص : معناه عن التزويج وقيل عن الزينة فيكون أمرا بالإحداد ، وإعراب الذين مبتدأ ، وخبره يتربصن على تقدير أزواجهم يتربصن ، وقيل التقدير وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن ، وقال الكوفيون : الخبر عن الذين متروك ، والقصد الإخبار عن أزواجهم (فيما فعلن فى أنفسهن) من التزويج والزينة (بالمعروف) هنا إذا كان غير منكر وقيل معناه الإشهاد (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به) الآية : إباحة

عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِى أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَٰبُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ • لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَٰعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ • وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِى بِيَدِهِ

التعريض بخطبة المرأة المعتدة ، ويقتضى ذلك النهى عن التصريح ، ثم أباح مايضمر فى النفس بقوله : أو أكننتم فى أنفسكم (علم الله أنكم ستذكرونهن) أى تذكروهن فى أنفسكم وبالسنتكم لم يخف عليكم وقيل أى ستخطبونهن إن لم تنتهوا عن ذلك (لا تواعدوهن سرا) أى لا تواعدوهن فى العدة خفية بأن تتزوجوهن بعد العدة ، وقال مالك فيمن يخطب فى العدة ثم يتزوج بعدها : فراقها أحب إلىّ ، ثم يكون خاطبا من الخطاب ، وقال ابن القاسم : يجب فراقها (إلا أن تقولوا قولا معروفا) استثناء منقطع ، والقول المعروف : هو ماأبيح من التعريض : كقوله إنكم لأكفاء كرام ، وقوله إن الله سيفعل معك خيرا ، وشبه ذلك (ولا تعزموا عقدة النكاح) الآية : نهى عن عقد النكاح قبل تمام العدة والكتاب هنا : القدر الذى شرع فيه من المدة ومن تزوج امرأة فى عدتها يفرق بينهما اتفاقا ، فإن دخل بها حرمت عليه على التأبيد عند مالك خلافا للشافعى وأبى حنيفة واختلف عن مالك فى تأبيد التحريم إذا لم يدخل بها ، وإذا دخل بها ولم يطاها (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن) الآية : قيل إنها إباحة للطلاق قبل الدخول ولما نهى عن التزويج بمعنى الذوق وأمر بالتزويج طلب العصمة ودوام الصحبة ظن قوم أن من طلق قبل البناء وقع فى المنهى عنه ، فنزلت الآية رافعة للجناح فى ذلك ، وقيل إنها فى بيان ما يلزم من الصداق والمتعة فى الطلاق قبل الدخول ، وذلك أن من طلق قبل الدخول فإن كان لم يفرض لها صداقا وذلك فى نكاح التفويض : فلا شىء عليه من الصداق ؛ لقوله لا جناح عليكم إن طلقتم النساء الآية ، والمعنى لا طلب عليكم بشىء من الصداق ، ويؤمر بالمتعة لقوله تعالى : ومتعوهن ، وإن كان قد فرض لها : فعليه نصف الصداق لقوله تعالى : فنصف ما فرضتم ، ولا متعة عليه ، لأن المتعة إنما ذكرت فيما لم يفرض لها بقوله : أو تفرضوا ، أو فيه بمعنى الواو (ومتعوهن) أى أحسنوا إليهن ، وأعطوهن شيئا عند الطلاق ، والأمر بالمتعة مندوب عند مالك ، وواجب عند الشافعى (على الموسع قدره) أى يمتع كل واحد على قدر ما يجد ، والموسع الغنى ، و(المقتر) الضيق الحال ، وقرئ بإسكان دال قدره وفتحها ، وهما بمعنى وبالمعروف هنا : أى لا حمل فيه ولا تكلف على أحد الجانبين (حقا على المحسنين) تعلق الشافعى فى وجوب المتعة بقوله : حقا ، وتعلق مالك بالندب فى قوله على المحسنين ، لأن الإحسان تطوع بما لا يلزم (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) الآية : بيان أن المطلقه قبل البناء لها نصف الصداق إذا كان فرض لها صداق مسمى ، بخلاف نكاح التفويض (إلا أن يعفون) النون فيه نون جماعة النسوة : يريد المطلقات ، والعفو هنا بمعنى الإسقاط ، أى للمطلقات قبل الدخول نصف الصداق ، إلا أن يسقطنه وإنما يجوز إسقاط المرأة إذا كانت مالكة أمر نفسها (أو يعفو الذى بيده عقدة

عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ حَٰفِظُوا عَلَى الصَّلَوَٰتِ وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ

النكاح) قال ابن عباس ومالك وغيرهما : هو الوالى الذى تكون المرأة فى حجره كالأب فى ابنته المحجوزة، والسيد فى أمته ، فيجوزله أن يسقط نصف الصداق الواجب لها بالطلاق قبل الدخول ، وأجاز شريح إسقاط غير الأب من الأولياء ، وقال على بن أبى طالب والشافعى: الذى بيده عقدة النكاح هو الزوج ، وعفوه أن يعطى النصف الذى سقط عنه من الصداق ، ولا يجوز عندهما أن يسقط الأب النصف الواجب لابنته ، وحجة مالك أن قوله الذى بيده عقدة النكاح فى الحال ، والزوج ليس بيده بعد الطلاق عقدة النكاح ، وحجة الشافعى قوله تعالى «وأن تعفوا أقرب للتقوى» فإن الزوج إذا تطوع بإعطاء النصف الذى لا يلزمه فذلك فضل وأما إسقاط الأب لحق ابنته فليس فيه تقوى لأنه إسقاط حق الغير (ولا تنسوا الفضل بينكم) قيل إنه يعنى إسقاط المرأة نصف صداقها أودفع الرجل النصف الساقط عنه واللفظ أعم من ذلك (والصلوة الوسطى) جدد ذكرها بعد دخولها فى الصلوة اعتناء بها وهى الصبح عند مالك وأهل المدينة ، والعصر عند علىّ بن أبى طالب لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ، وقيل هى الظهر ، وقيل المغرب ، وقيل هى العشاء الآخرة ، وقيل الجمعة ، وسميت وسطى لتوسطها فى عدد الركعات ، وعلى القول بأنها المغرب لأنها بين الركعتين والأربع أولتوسط وقتها ، وعلى القول بأنها الصبح لأنها متوسطة بين الليل والنهار ، وعلى القول بأنها الظهر أوالجمعة ، لأنها فى وسط النهار ، أولفضلها من الوسط وهو الخيار ، وعلى هذا يجرى اختلاف الأقوال فيها (وقوموا لله) معناه فى صلاتكم (قانتين) هنا ساكتين وكانوا يتكلمون فى الصلاة حتى نزلت ، قاله ابن مسعود ، وزيد بن أرقم ، وقيل خاشعين ، وقيل طول القيام (فإن خفتم) أى من عدو أوسبع أوغير ذلك مما يخاف منه على النفس (فرجالا) جمع راجل أى على رجليه (أوركبانا) جمع راكب : أى صلوا كيف ما كنتم من ركوب أوغيره ، وذلك فى صلاة المسايفة ، ولا تنقص منها عن ركعتين فى السفر ، وأربع فى الحضر عند مالك (فإذا أمنتم فاذكروا الله) الآية : قيل المعنى : إذا زال الخوف فصلوا الصلاة التى علمتموها وهى التامة ، وقيل إذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم هذه الصلاة التى تجزئكم فى حال الخوف ، فالذكر على القول الأول فى حال الصلاة ، وعلى الثانى بمعنى الشكر (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم) هذه الآية منسوخة ومعناها أن الرجل إذا مات كان لزوجته أن تقيم فى منزله سنة وينفق عليها من ماله ، وذلك وصية لها ثم نسخ إقامتها سنة بالأربعة الأشهر والعشر، ونسخت النفقة بالربع أوالثمن الذى لها فى الميراث حسبما ذكر فى سورة النساء ، وإعراب وصية مبتدأ ، وأزواجهم خبر ،أومضمر تقديره : فعليهم وصية ، وقرئت بالنصب على المصدر ، تقديره : ليوصوا وصية ، ومتاعا نصب على المصدر (غير إخراج) أى ليس لأولياء الميت إخراج المرأة (فإن خرجت) معناه إذا كان الخروج من قبل المرأة فلا جناح على أحد فيما فعلت فى نفسها من تزوج وزينه (وللمطلقات

مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ۞ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۞ وَقَٰتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ

متاع) عام في إمتاع كل مطلقة وبعمومه أخذ أبو ثور واستثنى الجمهور المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها بالآية المتقدمة منه واستثنى مالك المختلعة والملاعنة (حقا على المتقين) يدل على وجوب المتعة وهي الإحسان للمطلقات ، لأن التقوى واجبة ، ولذلك قال بعضهم : نزلت مؤكدة للمتعة لأنه نزل قبلها حقا على المحسنين ، فقال رجل : فإن لم أرد أن أحسن لم أمتع ، فنزلت حقا على المتقين (ألم تر) رؤية قلب (إلى الذين خرجوا من ديارهم) قوم من بنى إسرائيل أمروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتال ، فخرجوا من ديارهم فراراً من ذلك ، فأماتهم الله ليعرفهم أنه لا ينجيهم من الموت شيء ، وقيل بل فروا من الطاعون (وهم ألوف) جمع ألف ، قيل ثمانون ألفا ، وقيل ثلاثون ألفا ، وقيل ثمانية آلاف ، وقيل هو من الألفة ، وهو ضعيف (فقال لهم الله موتوا) عبارة عن إماتتهم ، وقيل إن ملكين صاحا بهم موتوا فماتوا (ثم أحياهم) ليستوفوا آجالهم (وقاتلوا) خطاب لهذه الأمة وقيل للذين أماتهم الله ثم أحياهم (من ذا الذي يقرض الله) استفهام يراد به الطلب والحض على الإنفاق وذكر لفظ القرض تقريباً للأفهام ؛ لأن المنفق ينتظر الثواب كما ينتظر المسلف ردّ ما أسلف ، وروى أن الآية نزلت في أبي الدحداح حين تصدّق بحائط لم يكن له غيره (قرضا حسنا) أي خالصا طيبا من حلال من غير منّ ولا أذى (فيضاعف) قرئ بالتشديد والتخفيف ، وبالرفع على الاستئناف أو عطفا على يقرض ، وبالنصب في جواب الاستفهام (أضعافا كثيرة) عشرة فما فوقها إلى سبعمائة (يقبض ويبسط) إخبار يراد به الترغيب في الإنفاق (ألم تر إلى الملإ) رؤية قلب ، وكانوا قوما نالهم الذلة من أعدائهم ، فطلبوا الإذن في القتال فلما أمروا به كرهوه (لنبي لهم) قيل اسمه شمويل ، وقيل شمعون (هل عسيتم) أي قاربتم ، وأراد النبي المذكور أن يتوثق منهم ، ويجوز في السين من عسيتم الكسر والفتح ، وهو أفصح ولذلك انفرد نافع بالكسر وأما إذا لم يتصل بعسى ضمير فلا يجوز فيها إلا الفتح (طالوت ملكا) قال وهب بن منبه أوحى الله إلى نبيهم إذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملكهم ، وقال السدّي أرسل الله إلى نبيهم عصا ، وقال له إذا دخل عليك رجل على طول هذه العصا فهو ملكهم فكان ذلك طالوت (ونحن أحق بالملك منه) روى أنه كان

بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ، وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ، فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّٰبِرِينَ ، وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ ، فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ، تِلْكَ ءَايَٰتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ، تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم

دباغا ولم يكن من بيت الملك والواو فى قوله ونحن واو الحال والواو فى قوله ولم يؤت لعطف الجملة على الأخرى (بسطة فى العلم والجسم) كان عالما بالعلوم وقيل بالحروب وكان أطول رجل يصل إلى منكبه (والله يؤتى ملكه من يشاء) رد عليهم فى اعتقادهم أن الملك يستحق بالبيت أو المال (أن يأتيكم التابوت) كان هذا التابوت قد تركه موسى عند يوشع لجعله يوشع فى البرية ، فبعث الله ملائكة حملته لجعلته فى دار طالوت، وفيه قصص كثيرة غير ثابتة (فيه سكينة) قيل ريح فيه رأس ووجه كوجه الإنسان، وقيل طست من ذهب تغسل فيه قلوب الأنبياء وقيل رحمة ، وقيل وقار (وبقية) قال ابن عباس: هى عصى موسى ورضاض الألواح وقيل العصا والنعلان وقيل ألواح من التوراة (آل موسى وآل هارون) يعنى أقاربهما ، قال الزمخشرى يعنى الأنبياء من بنى إسرائيل ، ويحتمل أن يريد موسى وهارون ، وأقحم الأهل (فصل طالوت) أى خرج من موضعه إلى الجهاد (بنهر) قيل هو نهر فلسطين (فمن شرب منه) الآية : اختبر طاعتهم بمنعهم من الشرب باليد (إلا من اغترف غرفة) رخص لهم فى الغرفة باليد ، وقرئ بفتح الغين وهو المصدر وبضمها هو الاسم (فشربوا منه إلا قليلا) قيل كانوا ثمانين ألفا فشربوا منه كلهم إلا ثلثمائة وبضعة عشر: عدد أصحاب بدر ، فأما من شرب فاشتد عليه العطش ، وأما من لم يشرب فلم يعطش (جالوت وجنوده) كان كافرا عدوا لهم وهو ملك العمالقة ، ويقال إن البربر من ذريته (يظنون) أى يوقنون وهم أهل البصائر من أصحابه (قتل داود جالوت) كان داود فى جند طالوت فقتل جالوت ، فأعطاه الله ملك بنى إسرائيل ، وفى ذلك قصص كثيرة غير صحيحة (والحكمة) هنا النبوة والزبور ، (وعلمه مما يشاء) صنعة الدروع ، ومنطق الطيور ، وغير ذلك (ولولا دفع الله) الآية : منة على العباد بدفع بعضهم ببعض ، وقرئ دفاع بالألف ، ودفع بغير ألف ، والمعنى متفق (تلك الرسل) الإشارة إلى جماعتهم (فضلنا) نص فى التفضيل فى الجملة من غير تعيين مفضول : كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لاتخيروا بين الأنبياء ، ولا تفضلونى

مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۞ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا

على يونس بن متى : فإن معناه النهى عن تعيين المفضول ، لأنه تنقيص له ، وذلك غيبة ممنوعة ، وقد صرح صلى الله عليه وآله وسلم بفضله على جميع الأنبياء بقوله « أنا سيد ولد آدم » لا بفضله على واحد بعينه ، فلا تعارض بين الحديثين (من كلم الله) موسى عليه السلام (ورفع بعضهم درجات) قيل هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتفضيله على الأنبياء بأشياء كثيرة ، وقيل هو إدريس لقوله « ورفعناه مكانا عليا » فالرفعة على هذا فى المسافة وقيل هو مطلق فى كل من فضله الله منهم (من بعدهم) أى من بعد الأنبياء ، والمعنى بعد كل نبى لا بعد الجميع (ولو شاء الله ما اقتتلوا) كرره تأكيدا وليبنى عليه ما بعده (أنفقوا) يعم الزكاة والتطوع (لا بيع فيه) أى لا يتصرف أحد فى ماله ، والمراد لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق فى الدنيا ويدخل فيه نفى الفدية لأنه بشراء الإنسان نفسه (ولا خلة) أى مودة نافعة لأن كل أحد يومئذ مشغول بنفسه (ولا شفاعة) أى ليس فى يوم القيامة شفاعة إلا بإذن الله فهو فى الحقيقة رحمة من الله للمشفوع فيه ، وكرامة للشافع ليس فيها تحكم على الله ، وعلى هذا يحمل ما ورد من نفى الشفاعة فى القرآن أعنى أن لا تقع إلا بإذن الله فلا تعارض بينه وبين إثباتها ، وحيث ما كان سياق الكلام فى أهوال يوم القيامة والتخويف بها نفيت الشفاعة على الإطلاق ومبالغة فى التهويل وحيث ما كان سياق الكلام تعظيم الله نفيت الشفاعة إلا بإذنه (والكافرون هم الظالمون) قال عطاء بن دينار الحمد لله الذى قال هكذا ولم يقل والظالمون هم الكافرون (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) هذه آية الكرسى وهى أعظم آية فى القرآن حسبما ورد فى الحديث ، وجاء فيها فضل كبير فى الحديث الصحيح وفى غيره (لا تأخذه سنة ولا نوم) تنزيه لله تعالى عن الآفات البشرية ، والفرق بين السنة والنوم : أن السنة هى ابتداء النوم لا نفسه : كقول القائل « فى عينه سنة وليس بنائم » (من ذا الذى يشفع عنده) استفهام مراد به نفى الشفاعة إلا بإذن الله فهى فى الحقيقة راجعة إليه (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) الضمير عائد على من يعقل ممن تضمنه قوله « له ما فى السموات وما فى الأرض » والمعنى يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم ، وقال مجاهد ما بين أيديهم الدنيا ؛ وما خلفهم الآخرة (من علمه) من معلوماته أى لا يعلم عباده من معلوماته إلا ما شاء هو أن يعلموه (وسع كرسيه) الكرسى مخلوق عظيم بين يدى العرش ، وهو أعظم من السموات والأرض ، وهو بالنسبة إلى العرش كأصغر شىء ، وقيل كرسيه علمه وقيل كرسيه ملكه (ولا يؤده) أى لا يشغله ولا يشق عليه (لا إكراه فى الدين) المعنى أن دين الإسلام فى غاية الوضوح وظهور البراهين على صحته بحيث لا يحتاج أن يكره أحد على الدخول فيه

وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ لَآ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ اللَّهُ وَلِىُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوٓا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَٰتِ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِيمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ۝ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ اللَّهُ

بل يدخل فيه كل ذى عقل سليم من تلقاء نفسه، دون إكراه، ويدل على ذلك قوله (قد تبين الرشد من الغى) أى قد تبين أن الإسلام رشد وأن الكفر غى، فلا يفتقر بعد بيانه إلى إكراه، وقيل معناها الموادعة، وأن لا يكره أحد بالقتال على الدخول فى الإسلام ثم نسخت بالقتال، وهذا ضعيف لأنها مدنية وإنما آية المسالمة وترك القتال بمكة (بالعروة الوثقى) العروة فى الأجرام هى موضع الإمساك وشد الأيدى، وهى هنا تشبيه واستعارة فى الإيمان (لا انفصام لها) لا انكسار لها ولا انفصال (يخرجهم من الظلمات إلى النور) أى من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان (أولياؤهم الطاغوت) جمع الطاغوت هنا وأفرد فى غير هذا الموضع فكأنه اسم جنس لما عبد من دون الله، ولمن يضل الناس من الشياطين وبنى آدم (الذى حاج إبراهيم) هو نمروذ الملك وكان يدعى الربوبية فقال لإبراهيم: من ربك؟ (قال ربى الذى يحيى ويميت) فقال نمروذ: (أنا أحيى وأميت) وأحضر رجلين فقتل أحدهما وترك الآخر، فقال قد أحييت هذا وأمت هذا، فقال له إبراهيم: (فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، فبهت) أى انقطع وقامت عليه الحجة، فإن قيل: لم انتقل إبراهيم عن دليله الأول إلى هذا الدليل الثانى، والانتقال علامة الانقطاع؟ فالجواب أنه لم ينقطع ولكنه لما ذكر الدليل الأول وهو الإحياء والإماتة كان له حقيقة، وهو فعل الله ومجازا وهو فعل غيره فتعلق نمروذ بالمجاز غلطا منه أو مغالطة، فحينئذ انتقل إبراهيم إلى الدليل الثانى لأنه لا مجاز له، ولا يمكن الكافر عدول عنه أصلا (أو كالذى مر على قرية) تقديره أو رأيت مثل الذى فحذف لدلالة ألم تر عليه؛ لأن كلتيهما كلمتا تعجب، ويجوز أن يحمل على المعنى كأنه يقول أرأيت كالذى حاج إبراهيم، أو كالذى مر على قرية وهذا المار قيل إنه عزير، وقيل الخضر، فقوله (أنى يحيى هذه الله) ليس إنكارا للبعث ولا استبعاداً ولكنه استعظام لقدرة الذى يحيى الموتى، أو سؤال عن كيفية الإحياء وصورته، لا شك فى وقوعه، وذلك مقتضى كلمة أنى فأراه الله ذلك عيانا ليزداد بصيرة، وقيل بل كان كافراً وقالها إنكاراً للبعث واستبعادا، فأراه الله الحياة بعد الموت فى نفسه، وذلك أعظم برهان (وهى خاوية على عروشها) أى خالية من الناس، وقال السدى سقطت سقوفها وهى العروش، ثم سقطت الحيطان على السقف (أنى يحيى هذه الله) ظاهر هذا اللفظ إحياء هذه القرية بالعمارة بعد الخراب ولكن المعنى إحياء أهلها بعد موتهم لأن هذا الذى يمكن فيه الشك والإنكار ولذلك أراه الله الحياة بعد موته، والقرية كانت بيت المقدس لما أخربها بختنصر وقيل قرية الذين خرجوا

بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ

من ديارهم وهم ألوف (كم لبثت) سؤال على وجه التقرير (قال لبثت يوما أو بعض يوم) استقل مدة موته، قيل أماته الله غدوة يوم ثم بعثه قبل الغروب من يوم آخر بعد مائة عام فظن أنه يوم واحد ثم رأى بقية من الشمس فخاف أن يكذب فى قوله يوما فقال أو بعض يوم (فانظر إلى طعامك وشرابك) قيل كان طعامه تينا وعنبا وأن شرابه كان عصيرا ولبنا (لم يتسنه) معناه لم يتغير بل بقى على حاله طول مائة عام، وذلك أعجوبة إلهية واللفظ يحتمل أن يكون مشتقا من السنة، لأن لامها هاء، فتكون الهاء فى يتسنه أصلية. أى لم يتغير السنون ويحتمل أن يكون مشتقا من قولك تسنن الشىء إذا فسد، ومنه الحمأ المسنون، ثم قلبت النون حرف علة كقولهم قصيت أظفارى ثم حذف حرف العلة للجازم، والهاء على هذا هاء السكت (وانظر إلى حمارك) قيل بقى حماره حياً طول المائة عام، دون علف ولا ماء، وقيل مات ثم أحياه الله، وهو ينظر إليه (ولنجعلك آية للناس) التقدير فعلنا بك هذا لتكون آية للناس، وروى أنه قام شابا على حالته يوم مات فوجد أولاده وأولادهم شيوخا (وانظر إلى العظام) هى عظام نفسه، وقيل عظام الحمار على القول بأنه مات (ننشرها) بالراء نحييها، وقرئ بالزاى، ومعناه نرفعها للاحياء (قال أعلم) بهمزة قطع وضم الميم أى قال الرجل ذلك اعترافا، وقرئ بألف وصل، والجزم على الأمر أى قال له الملك ذلك (وإذ قال إبراهيم) الآية: قال الجمهور: لم يشك إبراهيم فى إحياء الموتى، وإنما طلب المعاينة، لأنه رأى دابة قد أكلتها السباع والحيات فسأل ذلك السؤال، ويدل على ذلك قوله: كيف، فإنها سؤال عن حال الإحياء وصورته لا عن وقوعه (ولكن ليطمئن قلبى) أى بالمعاينة (أربعة من الطير) قيل هى الديك، والطاوس، والحمام، والغراب، فقطعها وخلط أجزاءها ثم جعل من المجموع جزءاً على كل جبل، وأمسك رأسها بيدها، ثم قال: تعالين بإذن الله فتطايرت تلك الأجزاء حتى التأمت، وبقيت بلا رؤس، ثم كرر النداء فجاءته تسعى حتى وضعت أجسادها فى رؤسها وطارت بإذن الله (فصرهن) أى ضمهن، وقيل قطعهن على كل جبل، قيل أربعة جبال، وقيل سبعة، وقيل الجبال التى وصل إليها حينئذ من غير حصر بعدد (فى سبيل الله) ظاهره الجهاد، وقد يحمل على جميع وجوه البر (كمثل حبة) كل مايزرع ويقتات وأشهره القمح، وفى الكلام حذف تقديره مثل نفقة الذين ينفقون كمثل حبة أو يقدر فى آخر الكلام كمثل صاحب حبة (أنبتت سبع سنابل) بيان أن الحسنة بسبعمائة كما جاء فى الحديث أن رجلا جاء بناقة فقال هذه فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عَلِيمٌ ۝ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ

لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة (والله يضاعف لمن يشاء) أى يزيده على سبعمائة وقيل هو تأكيد وبيان للسبعمائة ، والأول أرجح ، لأنه ورد فى الحديث مايدل عليه (الذين ينفقون) الآية : قيل نزلت فى عثمان ، وقيل فى علىّ وقيل فى عبدالرحمن بن عوف (منا ولا أذى) المن . ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها ، والأذى السب (قول معروف) هو ردّ السائل بجميل من القول : كالدعاء له والتأنيس (ومغفرة) عفو عن السائل إذا وجد منه جفاء ، وقيل مغفرة من الله لسبب الردّ الجميل ، والمعنى تفضيل عدم العطاء إذا كان بقول معروف ومغفرة ، على العطاء الذى يتبعه أذى (لاتبطلوا صدقاتكم) عقيدة أهل السنة أن السيئات لاتبطل الحسنات فقالوا فى هذه الآية إن الصدقة التى يعلم من صاحبها أنه يمن أو يؤذى لاتقبل منه . وقيل إن المن والأذى : دليل على أن نيته لم تكن خالصة ، فلذلك بطلت صدقته (كالذى ينفق) تمثيل لمن يمن و يؤذى بالذى ينفق رياء وهو غير مؤمن (فمثله) أى مثل المرائى فى نفقته كحجر عليه تراب يظنه من يراه أرضا منبتة طيبة ، فإذا أنزل عليها المطر انكشف التراب ، فيبقى الحجر لامنفعة فيه ، فكذلك المرائى يظن أن له أجرا ، فإذا كان يوم القيامة انكشف سره ولم تنفعه نفقته (صفوان) حجر كبير (وابل) مطر كثير (صلدا) أملس (لايقدرون) أى لايقدرون على الانتفاع بثواب شىء من إنفاقهم وهو كسبهم (وتثبيتا) أى تيقنا وتحقيقا للثواب لأن أنفسهم لها بصائر تحملهم على الإنفاق ، ويحتمل أن يكون معنى التثبيت أنهم يثبتون أنفسهم على الإيمان باحتمال المشقة فى بذل المال ، وانتصاب ابتغاء على المصدر فى موضع الحال وعطف عليه وتثبيتا ، ولايصح فى تثبيتا أن يكون مفعولا من أجله ، لأن الإنفاق ليس من أجل التثبيت فامتنع ذلك فى المعطوف عليه وهو ابتغاء (كمثل حبة) تقديره كمثل صاحب حبة أويقدر ولامثل نفقة الذى ينفقون (بربوة) لأن ارتفاع موضع الجنة أطيب لتربتها وهوائها (فطل) الطل الرقيق الخفيف ، فالمعنى يكفى هذه الجنة لكرم أرضها (أيود أحدكم) الآية : مثل ضرب للانسان يعمل صالحا حتى إذا كان عند آخر عمره ختم له بعمل السوء ، أو مثل للكافر أو المنافق أو المرائى المتقدم ذكره آنفا أو ذى المن والأذى ، فإن كل واحد منهم يظن أنه ينتفع بعمله ، فإذا كان وقت حاجة إليه لم يجد شيئا ، فشبههم الله بمن كانت له جنة ، ثم أصابتها الجائحة المهلكة ، أحوج ماكان إليها لشيخوخته ،

ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ * يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * الشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَآءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ * يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ * وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * إِن تُبْدُوا الصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَآءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ * لِلْفُقَرَآءِ

وضعف ذريته ، قالوا فى قوله : وأصابه الكبر للحال (إعصار) أى ريح فيها سموم محرقة (من طيبات مارزقناكم) والطيبات هنا عند الجمهور : الجيد غير الردىء ، فقيل إن ذلك فى الزكاة فيكون واجبا ؛ وقيل فى التطوع فيكون مندوبا لا واجبا ؛ لأنه كما يجوز التطوع بالقليل يجوز بالردىء (ومما أخرجنا) من النبات والمعادن وغير ذلك (ولا تيمموا الخبيث) أى لا تقصدوا الردىء (منه تنفقون) فى موضع الحال (ولستم بآخذيه) الواو للحال والمعنى أنكم لا تأخذونه فى حقوقكم وديونكم ، إلا أن تتسامحوا بأخذه وتعملوا من قولك : أغمض فلان عن بعض حقه : إذا لم يستوفه وإذا غض بصره (الشيطان يعدكم الفقر) الآية : دفع لما يوسوس به الشيطان من خوف الفقر ، فى ضمن ذلك حض على الإنفاق ، ثم بين عداوة الشيطان بأمره بالفحشاء ، وهى المعاصى ، وقيل الفحشاء البخل ، والفاحش عند العرب البخيل ، قال ابن عباس : فى الآية اثنتان من الشيطان واثنتان من الله ، والفضل هو الرزق والتوسعة (يؤتى الحكمة) قيل هى المعرفة بالقرآن ، وقيل النبوة ، وقيل الإصابة فى القول والعمل (وما أنفقتم من نفقة) الآية . ذكر نوعين ، وهما ما يفعله الإنسان تبرعا ، وما يفعله بعد إلزامه نفسه بالنذر ، وفى قوله (فإن الله يعلمه) وعد بالثواب ، وقوله (وما للظالمين من أنصار) وعيد لمن يمنع الزكاة أو ينفق لغير الله (إن تبدوا الصدقات) هى التطوع عند الجمهور لأنها يحسن إخفاؤها وإبداء الواجبة كالصلوات (فنعما هى) ثناء على الإظهار ، ثم حكم أن الإخفاء خير من ذلك الإبداء وما من نعما فى موضع نصب تفسير للمضمر والتقدير فنعم شىء إبداؤها (ليس عليك هداهم) قيل إن المسلمين كانوا لا يتصدقون على أهل الذمة فنزلت الآية مبيحة للصدقة على من ليس على دين الإسلام ، وذلك فى التطوع ، وأما الزكاة فلا تدفع لكافر أصلا ، فالضمير فى هداهم على هذا القول للكافر ، وقيل ليس عليك أن تهديهم لما أمروا به من الانفاق ، وترك المن والأذى والرياء ، والانفاق من الخبيث ، إنما عليك أن تبلغهم والهدى بيد الله ، فالضمير على هذا للمسلمين (وما تنفقوا من خير فلأنفسكم) أى إن منفعته لكم لقوله «من عمل صالحا فلنفسه» (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) قيل إنه خبر عن الصحابة أنهم لا ينفقون إلا ابتغاء وجه الله ففيه تزكية لهم

الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۝ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوٰا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَوٰا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوٰا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

وشهادة بفضلهم ، وقيل ما تنفقون نفقة تقبل منكم إلا ابتغاء وجه الله ، ففى ذلك حض على الاخلاص (للفقراء) متعلق بمحذوف تقديره الانفاق للفقراء وهم هنا المهاجرون (أحصروا) حبسوا بالعدو ، وبالمرض (فى سبيل الله) يحتمل الجهاد والدخول فى الاسلام (ضربا فى الأرض) هو التصرف فى التجارة وغيرها (يحسبهم الجاهل أغنياء) أى يظن الجاهل بحالهم أنهم أغنياء لقلة سؤالهم والتعفف هنا هو عن الطلب ومن سببية ، وقال ابن عطية لبيان الجنس (تعرفهم بسيماهم) علامة وجوههم وهى ظهور الجهــد والفاقة وقلة النعمة وقيل الخشوع وقيل السجود (لايسألون الناس إلحافا) الإلحاف هو الإلحاح فى السؤال ، والمعنى : أنهم إذا سألوا يتلطفون ولا يلحون ، وقيل هو نفى السؤال والإلحاح معا وباقى الآية وعد (بالليل والنهار سرا وعلانية) تعميم لوجوه الإنفاق وأوقاته ، قال ابن عباس : نزلت فى علىّ فإنه تصدق بدرهم بالليل وبدرهم بالنهار وبدرهم سراً وبدرهم علانية وقال أبو هريرة نزلت فى علف الخيل (الذين يأكلون الربا) أى ينتفعون به ، وعبر عن ذلك بالأكل لأنه أغلب المنافع وسواء من أعطاه أو من أخذه ، والربا فى اللغة الزيادة ، ثم استعمل فى الشريعة فى بيوعات ممنوعة أكثرها راجع إلى الزيادة ، فإن غالب الربا فى الجاهلية قولهم للغريم أتقضى أم تربى ، فكان الغريم يزيد فى عدد المـال ، ويصبر الطالب عليه ، ثم إن الربا على نوعين : ربا النسيئة ، وربا التفاضل وكلاهما يكون فى الذهب والفضة ، وفى الطعام . فأما النسيئة فتحرم فى بيع الذهب بالذهب وبيع الفضة بالفضة وفى بيع الذهب بالفضة ، وهو الصرف ، وفى الطعام بالطعام مطلقا ، وأما التفاضل فإنمـا يحرم فى بيع الجنس الواحد بجنسه من النقدين ومن الطعام ، ومذهب مالك أنه يحرم التفاضل فى المقتات المدخر من الطعام ، ومذهب الشافعى أنه يحرم فى كل طعام ، ومذهب أبى حنيفة أنه يحرم فى المكيل والموزون من الطعام وغيره (لايقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) أجمع المفسرون أن المعنى لايقومون من قبورهم فى البعث إلا كالمجنون ، ويتخبطه يتفعله من قولك خبط يخبط ، والمس الجنون ، ومن تتعلق بيقوم (ذلك بأنهم) تعليل للعقاب الذى يصيبهم ، وإنمـا هذا للكفار ، لأن قولهم إنمـا البيع مثل الربا : رد على الشريعة وتكذيب للإثم وقد يأخذ العصاة بحظ من هذا الوعيد ، فإن قيل : هلا قيل إنمـا الربا مثل البيع ، لأنهم قاسوا الربا على البيع فى الجواز ، فالجواب : أن هذا مبالغة ، فإنهم جعلوا الربا أصلا حتى شبهوا به البيع (وأحل الله البيع) عموم يخرج منه البيوع الممنوعة شرعا ، وقد عددناها فى الفقه ثمـانين نوعا (وحرم الربا) رد على الكفار وإنكار للتسوية بين البيع والربا ، وفى ذلك دليل على أن القياس يهدمه النص ، لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم تحليل

النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ
ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ۞ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ
مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ وَٱتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ
مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب

الله بتحريمه (فله ماسف) أى له ماأخذ من الربا ، أى لا يؤاخذ بما فعل منه قبل نزول التحريم (وأمره إلى الله) الضمير عائد على صاحب الربا ، والمعنى أن الله يحكم فيه يوم القيامة ، فلا تؤاخذوه فى الدنيا ، وقيل الضمير عائد إلى الربا ، والمعنى أن أمر الربا إلى الله فى تحريم أو غير ذلك (ومن عاد) الآية : يعنى من عاد إلى فعل الربا وإلى القول . إنما البيع مثل الربا ، ولذلك حكم عليه بالخلود فى النار ، لأن ذلك القول لا يصدر إلا من كافر ، فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة لكونها فى الكفار (يمحق الله الربا) ينقصه و يذهبه (ويربى الصدقات) ينميها فى الدنيا بالبركة ، وفى الآخرة بمضاعفة الثواب (كفار أثيم) أى من يجمع بين الكفر والإثم بفعل الربا ، وهذا يدل على أن الآية فى الكفار (وذروا ما بقى من الربا) سبب الآية أنه كان بين قريش وثقيف ربا فى الجاهلية فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة قال فى خطبته كل ربا كان فى الجاهلية موضوع ثم إن ثقيف أرسلت تطلب الربا الذى كان لهم على قريش ، فأبوا من دفعه وقالوا قد وضع الربا فتحاكموا إلى عتاب بن أسيد أمير مكة فكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت الآية (إن كنتم مؤمنين) شرط لمن خوطب به من قريش وغيرهم (فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب) أى إن لم تنتهوا عن الربا حوربتم ومعنى فأذنوا : اعلموا ، وقرئ بالمد أى أعلموا غيركم ، ولما نزلت قالت ثقيف لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله (لا تظلمون ولا تظلمون) أى لا تظلمون بأخذ زيادة على رءوس أموالكم ، ولا تظلمون بالنقص منها (وإن كان ذو عسرة) كان تامة بمعنى حضر ووقع ، وقرئ ذا عسرة ، أى إن كان الغريم ذا عسرة (فنظرة إلى ميسرة) حكم الله للمعسر بالإنظار إلى أن يوسر ، وقد كان قبل ذلك يباع فيما عليه ، ونظرة مصدر ، معناه التأخير ، وهو مرفوع على أنه خبر ابتداء تقديره فالجواب نظرة أو مبتدأ ، وميسرة أيضا مصدر وقرئ بضم السين وفتحها (وأن تصدقوا خير لكم) ندب الله إلى الصدقة على المعسر بإسقاط الدين عنه فذلك أفضل من إنظاره ، وباقى الآية وعظ ، وقيل إن آخر آية نزلت آية الربا ، وقيل بل قوله : واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ، الآية . وقيل آية الدين المذكورة بعد (إذا تداينتم بدين) أى إذا عامل بعضكم بعضا بدين ، وإنما ذكر الدين وإن كان مذكورا فى تداينتم ليعود عليه الضمير فى اكتبوه وليزول الاشتراك الذى فى تداينتم ، إذ يقال لمعنى الجزاء (إلى أجل مسمى) دليل على أنه لا يجوز إلى أجل مجهول ، وأجاز مالك البيع إلى الجذاذ والحصاد ، لأنه معروف عند الناس ، ومنعه الشافعى وأبو حنيفة ، قال ابن عباس : نزلت الآية فى السلم خاصة يعنى أن سلم أهل المدينة كان سبب نزولها ، قال مالك وهذا يجمع الدين كله يعنى

بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ

أنه يجوز التأخير فى السلم والسلف وغيرهما (فاكتبوه) ذهب قوم إلى أن كتابة الدين واجبة بهذه الآية، وقال قوم إنها منسوخة لقوله «فإن أمن بعضكم بعضا»، وقال قوم إنها على الندب (وليكتب بينكم كاتب) قال قوم يجب على الكاتب أن يكتب، وقال قوم نسخ ذلك بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد، وقال آخرون يجب عليه إذا لم يوجد كاتب سواه، وقال قوم إن الأمر بذلك على الندب ولذلك جاز أخذ الأجرة على كتب الوثائق (بالعدل) يتعلق عند ابن عطية بقوله وليكتب، وعند الزمخشرى بقوله كاتب فعلى الأول تكون الكتابة بالعدل، وإن كان الكاتب غير مرضىّ، وعلى الثانى يجب أن يكون الكاتب مرضياً فى نفسه، قال مالك: لا يكتب الوثائق إلا عارف بها، عدل فى نفسه مأمون (ولا يأب كاتب أن يكتب) نهى عن الإباية، وهو يقوى الوجوب (كما علمه الله) يتعلق بقوله أن يكتب، والكاف للتشبيه أى يكتب مثل ما علمه الله أو للتعليل: أى ينفع الناس بالكتابة كما علمه الله لقوله أحسن كما أحسن الله إليك وقيل يتعلق بقوله بعدها (فليكتب وليملل) يقال أمللت الكتاب، وأمليته، فورد هنا على اللغة الواحدة، وفى قوله تملى عليه على الأخرى (الذى عليه الحق) لأنّ الشهادة إنما هى باعترافه، فإن كتب الوثيقة دون إملاله، ثم أقر بها جاز (ولا يبخس) أمر الله بالتقوى فيما يملى، ونهاه عن البخس وهو نقص الحق (سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو) السفيه الذى لا يحسن النظر فى ماله، والضعيف الصغير وشبهه، والذى لا يستطيع أن يمل الأخرس وشبهه (وليه) أبوه، أو وصيه، والضمير عائد على الذى عليه الحق (واستشهدوا شهيدين) شهادة الرجلان جائزة فى كل شىء إلا فى الزنا فلا بد من أربعة (من رجالكم) نص فى رفض شهادة الكفار والصبيان والنساء، وأما العبيد فاللفظ يتناولهم، ولذلك أجاز ابن حنبل شهادتهم، ومنعها مالك والشافعى لنقص الرق (فرجل وامرأتان) قال قوم لا تجوز شهادة المرأتين إلا مع الرجال، وقال معنى الآية: إن لم يكونا أى إن لم يوجدا وأجاز الجمهور أن المعنى إن لم يشهد رجلان، فرجل وامرأتان، وإنما يجوز عند مالك شهادة الرجل والمرأتين فى الأموال لا فى غيرها، وتجوز شهادة المرأتين دون رجل، فيما لا يطلع عليه الرجال كالولادة والاستهلال، وعيوب النساء، وارتفع رجل بفعل مضمر تقديره: فليكن رجل، فهو فاعل، أو تقديره: فليستشهد رجل فهو مفعول لم يسم فاعله، أو بالابتداء تقديره: فرجل وامرأتان يشهدون (ممن ترضون) صفة للرجل والمرأتين، وهو مشترط أيضا فى الرجلين الشاهدين، لأن الرضا مشترط فى الجميع وهو العدالة، ومعناها اجتناب الذنوب الكبائر، وتوقى الصغائر مع المحافظة على المروءة (أن تضل) مفعول من أجله، والعامل فيه هو المقدر العامل فى رجل وامرأتان والضلال فى الشهادة وهو نسيانها أو نسيان بعضها وإنما جعل ضلال إحدى المرأتين مفعولا من أجله، وليس هو المراد، لأنه سبب لتذكير الأخرى لها

تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُوا۟

وهو المراد، فأقيم السبب مقام المسبب، وقرئ: إن تضل: بكسر الهمزة على الشرط، وجوابه الفاء فى فتذكر، ولذلك رفعه من كسر الهمزة، ونصبه من فتحها على العطف، وقرئ تذكر بالتشديد والتخفيف، والمعنى واحد (ولا يأب الشهداء) أى لا يمتنعون (إذا ما دعوا) إلى أداء الشهادة، وقد ورد تفسيره بذلك عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم، واتفق العلماء أن أداء الشهادة واجب إذا دعى إليها، وقيل إذا دعوا إلى تحصيل الشهادة وكتبها. وقيل إلى الأمرين (ولا تسأموا أن تكتبوه) أى لا تملوا من الكتابة إذا ترددت وكثرت، سواء كان الحق صغيرا أو كبيرا، ونصب صغيرا على الحال (ذلكم) إشارة إلى الكتابة (أقسط) من القسط وهو العدل (وأقوم) بمعنى أشد إقامة، وبنى أفعل فيهما من الرباعى وهو قليل (وأدنى أن لا ترتابوا) أى أقرب إلى عدم الشك فى الشهادة (إلا أن تكون تجارة حاضرة) أن فى موضع نصب على الاستثناء المنقطع، لأن الكلام المتقدم فى الدين المؤجل، والمعنى إباحة ترك الكتابة فى التجارة الحاضرة، وهو ما يباع بالنقد وغيره، (تديرونها بينكم) يقتضى القبض والبينونة (وأشهدوا إذا تبايعتم) ذهب قوم إلى وجوب الإشهاد على كل بيع صغيرا أو كبيرا، وهم الظاهرية خلافا للجمهور وذهب قوم إلى أنه منسوخ بقوله: فإن أمن بعضكم بعضا، وذهب قوم إلى أنه على الندب (ولا يضار كاتب ولا شهيد) يحتمل أن يكون كاتب فاعلا على تقدير كسر الراء المدغمة من يضار، والمعنى على هذا نهى للكاتب والشاهد أن يضار صاحب الحق أو الذى عليه الحق بالزيادة فيها أو النقصان منه، أو الامتناع من الكتابة أو الشهادة، ويحتمل أن يكون كاتب مفعولا لم يسم فاعله على تقدير فتح الراء المدغمة، ويقوى ذلك قراءة عمر بن الخطاب رضى الله عنه «لا يضارر» بالتفكيك وفتح الراء، والمعنى النهى عن الإضرار بالكاتب والشاهد بإذايتهما بالقول أو بالفعل (وإن تفعلوا) أى إن وقعتم فى الإضرار (فإنه فسوق) حال بكم (ويعلمكم الله) إخبار على وجه الامتنان، وقيل معناه الوعد بأن من اتقى علمه الله وألهمه وهذا المعنى صحيح، ولكن لفظ الآية لا يعطيه، لأنه لو كان كذلك لجزم يعلمكم فى جواب اتقوا (وإن كنتم على سفر) لآية: لما أمر الله تعالى بكتب الدين: جعل الرهن توثيقا للحق، عوضا عن الكتابة، حيث تتعذر الكتابة فى السفر. وقال الظاهرية: لا يجوز الرهن إلا فى السفر لظاهر الآية. وأجازه مالك وغيره فى الحضر لأن النبى صلى الله عليه وسلم رهن درعه بالمدينة (فرهان مقبوضة) يقتضى بينونة المرتهن بالرهن، وأجمع العلماء على صحة قبض المرتهن وقبض وكيله وأجاز مالك والجمهور وضعه على يد عدل، والقبض للرهن شرط فى الصحة عند الشافعى وغيره، لقوله تعالى «مقبوضة» وهو عند مالك شرط كمال لا صحة (فإن أمن بعضكم بعضا) الآية: أى إن أمن صاحب الحق المديان لحسن ظنه به، فليستغن عن الكتابة وعن الرهن، فأمر أولا بالكتابة، ثم بالرهن ثم بالائتمان، فللدين ثلاثة أحوال ثم أمر المديان بأداء الأمانة، ليكون عند ظن صاحبه به (ولا تكتموا الشهادة) محمول على الوجوب (فإنه

الشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۞ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۞ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ

آثم قلبه) معناه : قد تعلق به الإثم اللاحق من المعصية فى كتمان الشهادة ، وارتفع آثم بأنه خبر إن ، وقلبه فاعل به ، ويجوز أن يكون قلبه مبتدأ ، وآثم خبره ، وإنما أسند الإثم إلى القلب وإن كان جملة الكاتم هى الآثمة ، لأن الكتمان من فعل القلب ، إذ هو يضمرها ، ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان (وإن تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) الآية : مقتضاها المحاسبة على مافى نفوس العباد من الذنوب ، سواء أبدوه أم أخفوه ، ثم المعاقبة على ذلك لمن يشاء الله أو الغفران لمن شاء الله ، وفى ذلك إشكال لمعارضته لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تجاوز لأمتى ماحدثت به أنفسها ، ففى الحديث الصحيح عن أبى هريرة : أنه لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اهلكنا إن حوسبنا على خواطر أنفسنا ، فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : قولوا سمعنا وأطعنا ، فقالوها ، فأنزل الله بعد ذلك : لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، فكشف الله عنهم الكربة ، ونسخ بذلك هذه الآية ، وقيل هى فى معنى كتم الشهادة وإبدائها ، وذلك محاسب به ، وقيل يحاسب الله خلقه على مافى نفوسهم ، ثم يغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين والمنافقين ، والصحيح التأويل الأول لوروده فى الصحيح ، وقد ورد أيضا عن ابن عباس وغيره ، فإن قيل : إن الآية خبر والأخبار لا يدخلها النسخ ، فالجواب : أن النسخ إنما وقع فى المؤاخذة والمحاسبة وذلك حكم يصح دخول النسخ فيه ، فلفظ الآية خبر ، ومعناها حكم (فيغفر لمن يشاء ويعذب) قرئ بجزمهما عطفا على يحاسبكم وبرفعهما على تقدير فهو يغفر (آمن الرسول) الآية سببها ما تقدم فى حديث أبى هريرة : لما قالوا سمعنا وأطعنا مدحهم الله بهذه الآية ، وقدم ذلك قبل كشف ماشق عليهم (والمؤمنون) عطف على الرسول أو مبتدأ ، فعلى الأول يوقف على المؤمنون وعلى الثانى يوقف على من ربه والأول أحسن (كل آمن بالله) إن كان المؤمنون معطوفا فكل عموم فى الرسول والمؤمنون ، وإن كان مبتدأ فكل عموم فى المؤمنين ووحد الضمير فى آمن على معنى أن كل واحد منهم آمن (وكتبه) قرئ بالجمع أى كل كتاب أنزله الله ، وقرئ بالتوحيد يريد القرآن أو الجنس (لانفرق بين أحد من رسله) التقدير يقولون لا نفرق ، والمعنى لا نفرق بين أحد من الرسل وبين غيره فى الإيمان بل نؤمن بجميعهم ، ولسنا كاليهود والنصارى الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض (وقالوا سمعنا وأطعنا) حكاية عن قول المؤمنين على وجه المدح لهم (غفرانك) مصدر ، والعامل فيه مضمر ونصبه على المصدرية تقديره اغفر غفرانك ، وقيل على المفعولية تقديره : نطلب غفرانك (وإليك المصير) إقرار بالبعث مع تذلل وانقياد ، وهنا تمت حكاية كلام المؤمنين (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) إخبار من الله تعالى برفع تكليف مالا يطاق ، وهو جائز عقلا عند الأشعرية ومحال عقلا عند المعتزلة ، واتفقوا على أنه لم يقع فى الشريعة (لها ما كسبت) أى من الحسنات (وعليها ما اكتسبت) أى من السيئات ، وجاءت العبارة بلها

وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ ۝

سورة آل عمران

مدنية وآياتها ٢٠٠ نزلت بعد الأنفال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الٓمٓ ۝ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا

فى الحسنات لأنها مما ينتفع العبد به ، وجاءت بعليها فى السيئات لأنها مما يضر بالعبد ، وإنما قال فى الحسنات كسبت وفى الشر اكتسبت ، لأن فى الاكتساب ضرب من الاعتمال والمعالجة ، حسبما تقتضيه صيغة افتعل فالسيئات فاعلها يتكلف مخالفة أمر الله ، ويتعداه بخلاف الحسنات ، فإنه فيها على الجادة من غير تكلف أو لأن السيئات يجد فى فعلها لميل النفس إليها ، فجعلت لذلك مكتسبة ، ولما لم يكن الإنسان فى الحسنات كذلك : وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) أى قولوا ذلك فى دعائكم ويحتمل أن يكون ذلك من بقية حكاية قولهم كما حكى عنهم قولهم : سمعنا وأطعنا ، والنسيان هنا هو ذهول القلب على الإنسان ، والخطأ غير العمد فذلك معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان » ، وقد كان يجوز أن يأخذ به لولا أن الله رفعه (ولا تحمل علينا إصرا) التكاليف الصعبة ، وقد كانت لمن تقدم من الأمم كقتل أنفسهم ، وقرض أبدانهم ، ورفعت عن هذه الأمة. قال تعالى : ويضع عنهم إصرهم . وقيل الإصر المسخ قردة وخنازير (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) هذا الدعاء دليل على جواز تكليف ما لا يطاق لأنه لا يدعى برفع ما لا يجوز أن يقع . ثم إن الشرع دفع وقوعه . وتحقيق ذلك أن ما لا يطاق أربعة أنواع : الأول عقلى محض : كتكليف الإيمان لمن علم الله أنه لا يؤمن . فهذا جائز وواقع بالاتفاق . والثانى عادى كالطيران فى الهواء . والثالث عقلى وعادى : كالجمع بين الضدين ، فهذان وقع الخلاف فى جواز التكليف بهما ، والاتفاق على عدم وقوعه ، والرابع تكليف ما يشق ويصعب ، فهذا جائز اتفاقا ، فقد كلفه الله من تقدم من الأمم ، ورفعه عن هذه الأمة (واعف عنا واغفر لنا وارحمنا) ألفاظ متقاربة المعنى وبينها من الفرق أن العفو ترك المؤاخذة بالذنب ، والمغفرة تقتضى مع ذلك الستر ، والرحمة تجمع ذلك مع التفضل بالإنعام (مولانا) ولينا وسيدنا

ســـــورة آل عمران

نزل صدرها إلى نيف وثمانين آية لما قدم نصارى نجران المدينة المنورة يناظرون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى عيسى عليه السلام (الم) تقدم الكلام على حروف الهجاء وقرأ الجمهور بفتح الميم هنا فى الوصل لالتقاء الساكنين نحو من الناس ، وقال الزمخشرى هى حركة الهمزة نقلت إلى الميم وهذا ضعيف لأنها ألف وصل تسقط فى الدرج (الحى القيوم) رد على النصارى فى قولهم إن عيسى هو الله لأنهم زعموا أنه صلب ، فليس بحى وليس بقيوم (الكتاب) هنا هو القرآن (بالحق) أى تضمن الحق من الأخبار والأحكام وغيرها أو بالاستحقاق (مصدقا) قد تقدم فى مصدقا لما معكم (بين يديه) الكتب المتقدمة (التوراة والإنجيل) أعجميان

بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۝ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝

فلا يصح ما ذكره النحاة من اشتقاقهما ووزنهما (وأنزل الفرقان) يعني القرآن وإنما كرر ذكره ليصفه بأنه الفارق بين الحق والباطل ويحتمل أن يكون ذكره أولا على وجه الإثبات لإنزاله لقوله : مصدقا لما بين يديه ، ثم ذكره ثانيا على وجه الامتنان بالهدى به ، كما قال في التوراة والانجيل هدى للناس ، فكأنه قال وأنزل الفرقان هدى للناس ثم حذف ذلك لدلالة الهدى الأول عليه ، فلما اختلف قصد الكلام في الموضعين لم يكن ذلك تكرارا ، وقيل الفرقان هنا : كل مافرق بين الحق والباطل من كتاب وغيره ، وقيل هو الزبور ، وهذا بعيد (لايخفى عليه شيء) خبر عن إحاطة علم الله بجميع الأشياء على التفصيل ، وهذه صفة لم تكن لعيسى ، ولا لغيره ، ففي ذلك رد على النصارى (هو الذي يصوركم) برهان على إثبات علم الله المذكور قبل : وفيه رد على النصارى ، لأن عيسى لا يقدر على التصوير ، بل كان مصورا كسائر بني آدم (كيف يشاء) من طول ، وقصر ، وحسن ، وقبح ، ولون ؛ وغير ذلك (منه آيات محكمات) المحكم من القرآن : هو البين المعنى ، الثابت الحكم ، والمتشابه هو الذي يحتاج إلى التأويل ، أو يكون مستغلق المعنى : كحروف الهجاء ، قال ابن عباس : المحكمات الناسخات والحلال والحرام ، والمتشابهات المنسوخات والمقدم والمؤخر ، وهو تمثيل لما قلنا (هن أم الكتاب) أي عمدة ما فيه ومعظمه (فأما الذين في قلوبهم زيغ) نزلت في نصارى نجران فإنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : أليس في كتابك أن عيسى كلمة الله وروح منه قال نعم ، قالوا فحسبنا إذاً ، فهذا من المتشابه الذي اتبعوه ، وقيل نزلت في أبي ياسر بن أخطب اليهودي وأخيه حكيم ثم يدخل في ذلك كل كافر أو مبتدع ، أو جاهل يتبع المتشابه من القرآن (ابتغاء الفتنة) أي ليفتنوا به الناس (وابتغاء تأويله) أي يبتغون أن يتأولوه على ما تقتضي مذاهبهم أو يبتغون أن يصلوا من معرفة تأويله إلى ما لا يصل اليه مخلوق (وما يعلم تأويله إلا الله) إخبار بانفراد الله بعلم تأويل المتشابه من القرآن وذم لمن طلب علم ذلك من الناس (والراسخون في العلم) مبتدأ مقطوع عما قبله ، والمعنى أن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه وإنما يقولون آمنا به على وجه التسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته ، وقيل إنه معطوف على ما قبله وأن المعنى أنهم يعلمون تأويله ، وكلا القولين مروي عن ابن عباس ، والقول الأول قول أبي بكر الصديق وعائشة ، وعروة بن الزبير ، وهو أرجح ، وقال ابن عطية المتشابه نوعان : نوع انفرد الله بعلمه ، ونوع يمكن وصول الخلق إليه فيكون الراسخون ابتداء بالنظر إلى الأول ، وعطفا بالنظر إلى الثاني (كل من عند ربنا) أي المحكم والمتشابه من عند الله (ربنا لاتزغ قلوبنا) حكاية عن الراسخين ، ويحتمل أن يكون منقطعا على وجه التعليم

رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّارَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَايُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَـٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ۝ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِى الْأَبْصَـٰرِ ۝ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَٰتِ مِنَ النِّسَآءِ وَالْبَنِينَ

والأول أرجح لاتصال الكلام، وأما قوله ومايذكر إلا أولو الألباب؛ فهو من كلام الله تعالى لاحكاية قول الراسخين إن الله لايخلف الميعاد) استدلال على البعث ويحتمل أن يكون من تمام كلام الراسخين أو منقطعاً فهو من كلام الله (كدأب) فى موضع. فع أى دأب هؤلاء كدأب (آل فرعون) وفى ذلك تهديد (الذين من قبلهم) عطف على آل فرعون، ويعنى بهم قوم نوح، عاد، ثمود وغيرهم، والضمير عائد على آل فرعون (بآياتنا) البراهين أو الكتاب (ستغلبون وتحشرون) قرئ بتاء الخطاب ليهود المدينة، وقيل لكفار قريش، وقرئ بالياء إخباراً عن يهود المدينة، وقيل عن قريش وهو صادق على كل قول أما اليهود فغلبوا يوم قريظة والنضير وقينقاع، وأما قريش فى بدر وغيرها والأشهر أنها فى بنى قينقاع؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاهم إلى الإسلام بعد غزوة بدر، فقالوا له لايغرنك أنك قتلت نفرا من قريش لايعرفون القتال. فلو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، فنزلت الآية. ثم أخرجهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة (قد كان لكم آية) قيل خطاب للمؤمنين وقيل لليهود، وقيل لقريش؛ والأول أرجح أنه لبنى قينقاع الذين قيل لهم ستغلبون. ففيه تهديد لهم وعبرة كما جرى لغيرهم (فى فئتين التقتا فئة) المسلمون والمشركون يوم بدر (يرونهم مثليهم) قرئ ترونهم بالتاء خطابا لمن خوطب بقوله قد كان لكم آية. والمعنى ترون الكفار مثلى المؤمنين. ولكن الله أيد المسلمين بنصره على قدر عددهم، وقرىء بالياء. والفاعل فى يرونهم المؤمنون، والمفعول به هم المشركون. والضمير فى مثليهم للمؤمنين والمعنى على حسب ما تقدم. فإن قيل: إن الكفار كانوا يوم بدر أكثر من المسلمين؛ فالجواب من وجهين أحدهما أن الكفار كانوا ثلاثة أمثال المؤمنين، لأن الكفار كانوا قريبا من ألف، والمؤمنون ثلاثمائة وثلاثة عشر ثم إن الله تعالى قلل عدد الكفار فى أعين المؤمنين حتى حسبوا أنهم مثلهم مرتين ليتجاسروا على قتالهم إذا ظهر لهم أنهم على ما أخبروا به من قتال الواحد للاثنين من قوله «إن تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين»، وهذا المعنى موافق لقوله تعالى: وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا، والآخر أنه رجع قوم من الكفار حتى بقى منهم ستمائة وستة وعشرون رجلا، وذلك قدر عدد المسلمين مرتين وقيل إن الفاعل فى يرونهم ضمير المشركين، والمفعول ضمير المؤمنين وأن الضمير فى مثليهم يحتمل أن يكون للمؤمنين والمفعول للمشركين. والمعنى على هذا أن الله كثر عدد المسلمين فى أعين المشركين حتى حسب الكفار المؤمنين مثلى الكافرين أو مثلى المؤمنين. وهم أقل من ذلك وإنما كثرهم الله فى أعينهم ليرهبوهم، ويرد هذا قوله تعالى، ويقللكم فى أعينهم (رأى العين) نصب على المصدرية ومعناه معاينة ظاهرة لاشك فيها (والله يؤيد

وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَالِكَ مَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَـَٔابِ ۝ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَالِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ الصَّـٰبِرِينَ وَالصَّـٰدِقِينَ وَالْقَـٰنِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ۝ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَـٰمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَـٰبَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ

بنصره من يشاء) أى أن النصر بمشيئة الله لا بالقلة ولا بالكثرة ، فإن فئة المسلمين غلبت فئة الكافرين ؛ مع أنهم كانو أكثر منهم (زين للناس) قيل المزين هو الله وقيل الشيطان . ولا تعارض بينهما فتزيين الله بالإيجاد والتهيئة للانتفاع ، وإنشاء الجبلة على الميل إلى الدنيا . وتزيين الشيطان بالوسوسة والخديعة (والقناطير) جمع قنطار ، وهو ألف ومائتا أوقية ، وقيل ألف ومائتا مثقال ، وكلاهما مروى عن النبي صلى الله عليه وسلم (المقنطرة) مبنية من لفظ القناطير وللتأكيد كقولهم الوف مؤلفة ، وقيل المضروبة دنانير أو دراهم (المسومة) الراعية من قولهم سام الفرس وغيره إذا جال فى المسارح ، وقيل المعلمة فى وجوهها شيئان فهى من السمات بمعنى العلامات ، قيل المعدة للجهاد (ذلك متاع الحياة الدنيا) تحقير لها ليزهد فيها الناس (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم) تفضيل للآخرة على الدنيا ليرغب فيها وتمام الكلام فى قوله من ذلكم ثم ابتدأ قوله (للذين اتقوا) تفسيراً لذلك لجنات على هذا مبتدأ وخبره للذين اتقوا ، وقيل إن قوله للذين اتقوا متعلق بما قبله وتمام الكلام فى قوله عند ربهم ، لجنات على هذا خبر مبتدأ مضمر (ورضوان من الله) زيادة إلى نعيم الجنة ، وهو أعظم من النعيم حسبما ورد فى الحديث (الذين يقولون) نعت للذين اتقوا ، ورفع بالابتداء ، أو نصب بإضمار فعل (الصادقين) فى الأقوال والأفعال (والقانتين) العابدين والمطيعين (والمستغفرين) الاستغفار هو طلب المغفرة قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نستغفر ، فقال قولوا اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم (بالأسحار) جمع سحر وهو آخر الليل يقال إنه الثلث الأخير ، وهو الذى ورد أن الله يقول حينئذ : من يستغفرنى فأغفر له ، (شهد الله) الآية : شهادة من الله سبحانه لنفسه بالوحدانية وقيل معناها إعلامه لعباده بذلك (والملائكة وأولوا العلم) عطف على اسم الله أى هم شهداء بالوحدانية ، ويعنى بأولى العلم : العارفين بالله الذين يقيمون البراهين على وحدانيته (قائما) منصوب على الحال من اسم الله أو من هو أو منصوب على المدح (بالقسط) بالعدل (لا إله إلا هو) إنما كرر التهليل لوجهين : أحدهما : أنه ذكر أولا الشهادة بالوحدانية ، ثم ذكرها ثانيا بعد ثبوتها بالشهادة المتقدمة ، والآخر أن ذلك تعليم لعباده ليكثروا من قولها (إن الدين) بكسر الهمزة ابتداء ، وبفتحها بدل من أنه ، وهو بدل شىء من شىء ، لأن التوحيد هو الإسلام (وما اختلف الذين) الآية : إخبار أنهم اختلفوا بعد معرفتهم بالحقائق من أجل البغى ، وهو الحسد ، والآية

ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ

فى اليهود ، وقيل فى النصارى ، وقيل فيهما (سريع الحساب) قد تقدممعناه فى البقرة وهو هنا تهديد ، ولذلك وقع فى جواب من يكفر (فإن حاجوك) أى جادلوك فى الدين ، والضمير لليهود ونصارى نجران (أسلمت وجهى) أى أخلصت نفسى وجملتى (لله) وعبر بالوجه على الجملة ومعنى الآية إقامة الحجة عليهم لان من أسلم وجهه لله فهو على الحق بلا شك ، فسقطت حجة منخالفه (ومن اتبعن) عطف على التاء فى أسلمت ويجوز أن يكون مفعولا معه (أأسلمتم) تقرير بعد إقامة الحجة عليهم أى قد جاءكم من البراهين مايقتضى أن تسلموا (فإنما عليك البلاغ) أى إنما عليك أن تبلغ رسالة ربك ، فإذا أبلغتها فقد فعلت ماعليك ، وقيل إن فيها موادعة نسخها آية السيف (إن الذين يكفرون) الآية : نزلت فى اليهود والنصارى توبيخا لهم ووعيدا على قبح أفعالهم ، وأفعال أسلافهم (الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) هم اليهود ، والكتابهنا التوراة ، أوجنس (يدعون إلى كتاب الله) قال ابن عباس : دخلرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جماعة من اليهود فيهم النعمان بن عمرو والحارث بن زيد ، فقالوا له على أى دين أنت . فقال لهم على دين إبراهيم ، فقالوا إن إبراهيم كان يهوديا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فهلموا إلى التوراة فهى بيننا وبينكم ، فأبوا عليه فنزلت الآية ، فكتاب الله على هذا التوراة ، وقيل هو القرآن : كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يدعوهم اليه فيعرضون عنه (ذلك بأنهم) الإشارة إلى إعراضهم عن كتاب الله والباء سببية : والمعنى أن كفرهم بسبب اعتراضهم وأكاذيبهم ، والأيام المعدودات قد ذكرت فى البقرة (فكيف إذا جمعناهم) أى كيفيكون حالهم يوم القيامة ، والمعنى تهويل واستعظام لما أعد لهم (اللهم) منادى ، والميم فيه عوض من حرف النداء عند البصريين ، ولذلك لايجتمعان ، وقال الكوفيون أصله ياالله أمنا بخير فالميم عندهم من أمنا (مالك الملك) منادى عند سيبويه ، وأجاز الزجاج أن يكون صفة لاسم الله ؛ وقيل إن الآية نزلت ردا على النصارى فى قولهم إن عيسى هو الله ، لأن هذه الأوصاف ليست لعيسى ، وقيللما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنأمته يفتحون ملك كسرى وقيصر : استبعد ذلك المنافقون ، فنزلت الآية (بيدك الخير) قيل المراد بيدك الخير

وَتُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَـٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى السَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌۢ بِالْعِبَادِ ۝ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَـٰفِرِينَ ۝ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى الْعَـٰلَمِينَ ۝

والشر ، لحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه ، وقيل إنما خص الخير بالذكر ، لأن الآية فى معنى دعاء ورغبة فكأنه يقول : بيدك الخير فأجزل حظى منه (تخرج الحىّ من الميت وتخرج الميت من الحىّ) قال عبد الله بن مسعود : هى النطفة تخرج من الرجل ميتة وهو حى ، ويخرج الرجل منها حيا وهى ميتة ، وقال عكرمة : هى إخراج الدجاجة من البيضة ، والبيضة من الدجاجة ، وقيل يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ، فالحياة والموت على هذا استعارة ، وفى ذكر الحى من الميت المطابقة ، وهى من أدوات البيان ، وفيه أيضا القلب لأنه قدم الحىّ على الميت ، ثم عكس (بغير حساب) بغير تضييق وقيل بغير محاسبة (لا يتخذ المؤمنون) الآية. عامة فى جميع الأعصار ، وسببها ميل بعض الأنصار إلى بعض اليهود ، وقيل كتاب حاطب إلى مشركى قريش (فليس من الله فى شىء) تبرؤ من فعل ذلك ووعيد على موالاة الكفار ، وفى الكلام حذف تقديره : ليس من التقرب إلى الله فى شىء ، وموضع فى شىء نصب على الحال من الضمير فى ليس من الله، قاله ابن عطية (إلا أن تتقوا منهم) إباحة لموالاتهم إن خافوا منهم والمراد موالاة فى الظاهر مع البغضاء فى الباطن (تقاة) وزنه فعلة بضم الفاء وفتح العين . وفاؤه واو، وأبدل منها تاء، ولامه ياء أبدل منها ألف، وهو منصوب على المصدرية، ويجوز أن ينصب على الحال من الضمير فى تتقوا (ويحذركم الله نفسه) تخويف (يوم تجد) منصوب على الظرفية والعامل فيه فعل مضمر تقديره اذكروا أو خافوا وقيل العامل فيه قدير ، وقيل المصير ، وقيل يحذركم (وما عملت من سوء) مبتدأ خبره تود ، أو معطوف (أمدا) أى مسافة (والله رؤوف) ذكر بعد التحذير تأنيسا لئلا يفرط الخوف أو لأن التحذير والتنبيه رأفة (فاتبعونى) جعل اتباع النبى صلى الله عليه وسلم علامة على محبة العبد لله تعالى وشرط فى محبة الله للعبد ومغفرته له ، وقيل إن الآية خطاب لنصارى نجران ومعناها على العموم فى جميع الناس (إن الله اصطفى) الآية : لما مضى صدر من محاجة نصارى نجران أخذ يبين لهم ما اختلفوا فيه وأشكل عليهم من أمر عيسى عليه السلام وكيفية ولادته وبدأ بذكر آدم ونوح عليهما السلام تكميلا للأمر لأنهما أبوان لجميع الأنبياء ، ثم ذكر إبراهيم تدريجا إلى ذكر عمران والد مريم أم عيسى عليه السلام ، وقيل إن عمران هنا هو والد موسى ، وبينهما ألف وثمانمائة سنة ، والأظهر أن المراد هنا والد مريم ، لذكر قصتها بعد ذلك (آل إبراهيم وآل عمران) يحتمل أن يريد بآل القرابة ، أو الأتباع ، وعلى الوجهين

ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّى إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّى أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۞ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ

يدخل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى آل إبراهيم (ذرية) بدل مما تقدم أوحال ووزنه فعلية منسوب إلى الذر لأن الله تعالى أخرج الخلق من صلب آدم كالذر وغيرأوله فى النسب ، وقيل أصل ذرية ذرورة وزنها فعولة ثم أبدل من الراء الأخيرة ياء ، فصار ذروية ، ثم أدغمت الواو فى الياء وكسرت الراء ، فصارت ذرية (إذ قالت) العامل فيه محذوف تقديره اذكروا ، وقيل عليم ، وقال الزجاج العامل فيه معنى الاصطفاء (امرأة عمران) اسمها حنة بالنون ، وهى أم مريم ، وعمران هذا هو والد مريم (نذرت) أى جعلت نذرا علىّ أن يكون هذا الولد فى بطنى حبسا على خدمة بيتك ، وهو بيت المقدس (محررا) أى عتيقا من كل شغل إلا خدمة المسجد (فلما وضعتها) الآية . كانوا لا يحررون الإناث بخدمة المساجد ، فقالت (إنى وضعتها أنثى) تحسرا وتلهفا على ما فاتها من النذر الذى نذرت (والله أعلم بما وضعت) قرئ وضعت بإسكان التاء وهو من كلام الله تعظيما لوضعها وقرئ بضم التاء وإسكان العين وهو على هذا من كلامها (وليس الذكر كالأنثى) يحتمل أن يكون من كلام الله ، فالمعنى ليس الذكر الذى طلبت كالأنثى التى وهبت لك ، وأن يكون من كلامها فالمعنى ليس الذكر كالأنثى فى خدمة المساجد ، لأن الذكور كانوا يخدمونها دون الإناث (سميتها مريم) إنما قالت لربها سميتها مريم لأن مريم فى لغتهم بمعنى العابدة ، فأرادت بذلك التقرب إلى الله ، ويؤخذ من هذا تسمية المولود يوم ولادته وامتنع مريم من الصرف للتعريف والتأنيث ، وفيه أيضا العجمة (وإنى أعيذها بك) ورد فى الحديث ما من مولود إلا نخسه الشيطان يوم ولد فيستهل صارخا إلا مريم وابنها ، لقوله : وإنى أعيذها بك : الآية (فتقبلها ربها) أى رضيها للمسجد مكان الذكر (بقبول حسن) فيه وجهان أحدهما أن يكون مصدرا على غير المصدر ، والآخر أن يكون اسما لما يقبل به كالسعوط اسم لما يسعط به (وأنبتها نباتا حسنا) عبارة عن حسن النشأة (وكفلها زكريا) أى ضمها إلى إنفاقه وحضانته ، والكافل هو الحاضن ، وكان زكريا زوج خالتها ، وقرئ كفلها بتشديد الفاء ، ونصب زكريا : أى جعله الله كافلها (المحراب) فى اللغة أشرف المجالس ، وبذلك سمى موضع الإمام ، ويقال إن زكريا بنى لها غرفة فى المسجد ، وهى المحراب هنا ، وقيل المحراب موضع العبادة (وجد عندها رزقا) كان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف ، وفاكهة الصيف فى الشتاء ، ويقال إنها لم ترضع ثديا قط ، وكان الله يرزقها (أنى لك هذا) إشارة إلى مكان أى كيف ومن أين (إن الله يرزق) يحتمل أن يكون من كلام مريم أو من كلام الله تعالى (هنالك) إشارة إلى مكان ، وقد يستعمل فى الزمان ، وهو الأظهر هنا أى لما رأى زكريا كرامة الله تعالى لمريم : سأل من الله الولد (فنادته

هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ ۞ فَنَادَتْهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ۞ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۞ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِىِّ وَالْإِبْكَٰرِ ۞ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ الْعَٰلَمِينَ ۞ يَٰمَرْيَمُ اقْنُتِى لِرَبِّكِ وَاسْجُدِى وَارْكَعِى

الملائكة) أنث رعاية للجماعة ، وقرئ بالألف على التذكير وقيل الذى ناداه جبريل وحده وإنما قيل الملائكة لقولهم فلان يركب الخيل أى جنس الخيل وإن كان فرسا واحدا (يحيى) اسم سماه الله تعالى به قبل أن يولد ، وهو اسم بالعبرانية صادف اشتقاقا وبناء فى العربية ، وهو لا ينصرف ، فإن كان فى الإعراب أعجميا ففيه التعريف والعجمة ، وإن كان عربيا فالتعريف ووزن الفعل (مصدقا بكلمة من الله) أى مصدقا بعيسى عليه السلام مؤمنا به ، وسمى عيسى كلمة الله ، لأنه لم يوجد إلا بكلمة الله وحدها وهى قوله كن لا بسبب آخر وهو الوالد كسائر بنى آدم (وسيدا) السيد الذى يسود قومه أى يفوقهم فى الشرف والفضل (وحصورا) أى لا يأتى النساء فقيل خلقه الله كذلك ، وقيل كان يمسك نفسه ، وقيل الحصور الذى لا يأتى الذنوب (أنى يكون لى غلام) تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته ، وعقم امرأته ، ويقال كان له تسع وتسعون سنة ، ولامرأته ثمان وتسعون سنة ، فاستبعد ذلك فى العادة ، مع علمه بقدرة الله تعالى على ذلك ، فسأله مع علمه بقدرة الله ، واستبعده لأنه نادر فى العادة ، وقيل سأله وهو شاب ، وأجيب وهو شيخ ، ولذلك استبعده (كذلك الله يفعل ما يشاء) أى مثل هـذه الفعلة العجيبة يفعل الله ما يشاء فالكاف لتشبيه أفعال الله العجيبة بهذه الفعلة ، والإشارة بذلك إلى هبة الولد لزكريا ، واسم الله مرفوع بالابتداء ، أو كذلك خبره فيجب وصله معه ، وقيل الخبر يفعل الله ما يشاء ويحتمل كذلك على هذا وجهين : أحدهما أن يكون فى موضع الحال من فاعل يفعل ، والآخر أن يكون فى موضع خبر مبتدإ محذوف تقديره الأمر كذلك ، أو أنتما كذلك ، وعلى هذا يوقف على كذلك والأول أرجح لاتصال الكلام ، وارتباط قوله يفعل ما يشاء مع ما قبله ولأن له نظائر كثيرة فى القرآن منها قوله كذلك أخذ ربك (اجعل لى آية) أى علامة على حمل المرأة (آيتك ألا تكلم الناس) أى علامتك أن لا تقدر على كلام الناس (ثلاثة أيام) بمنع لسانه عن ذلك مع إبقاء الكلام بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وإنما حبس لسانه عن الكلام تلك المدة ليخلص فيها لذكر الله شكرا على استجابة دعائه ولا يشغل لسانه بغير الشكر والذكر (إلا رمزا) إشارة باليد أو بالرأس أو غيرهما ، فهو استثناء منقطع (بالعشى) من زوال الشمس إلى غروبها ، والإبكار من طلوع الفجر إلى الضحى (وإذ قالت الملائكة) اختلف هل المراد جبريل أو جمع من الملائكة والعامل فى إذ مضمر (اصطفاك) أولا حين تقبلك من أمك (وطهرك) من كل عيب فى خلق وخلق ودين (واصطفاك على نساء العالمين) يحتمل أن يكون هذا الاصطفاء مخصوصا بأن وهب لها عيسى من غير أب ، فيكون على نساء العالمين عاما ، أو يكون الاصطفاء عاما فيخص من نساء العالمين خديجة وفاطمة ، أو يكون المعنى على نساء

مَعَ الرَّاكِعِينَ ۝ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۝ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ

زمانها ؛ وقد قيل بتفضيلها على الإطلاق ، وقيل إنها كانت نبية لتكلم الملائكة لها (اقنتى) القنوت هنا بمعى الطاعة والعبادة ، وقيل طول القيام فى الصلاة وهو قول الأكثرين (واسجدى واركعى) أمرت بالصلاة فذكر القنوت والسجود لكونها من هيئة الصلاة وأركانها ، ثم قيل لها اركعى مع الراكعين بمعى ولتكن صلاتك مع المصلين ، أو فى الجماعة فلا يقتضى الكلام على هذا تقديم السجود على الركوع ، لأنه لم يرد الركوع والسجود المتضمنين فى ركعة واحدة ، وقيل أراد ذلك ، وقدم السجود لأن الواو لاترتب ، ويحتمل أن تكون الصلاة فى ملتهم بتقديم السجود على الركوع (ذلك) إشارة إلى ماتقدم من القصص وهو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (ما كنت لديهم) احتجاجا على نبوته صلى الله عليه وسلم لكونه أخبر بهذه الأخبار وهو لم يحضر معهم (يلقون أقلامهم) أى أزلامهم ، وهى قداحهم ، وقيل الأقلام التى كانوا يكتبون بها التوراة اقترعوا بها على كفالة مريم ، حرصا عليها وتنافسا فى كفالتها ، وتدل الآية على جواز القرعة ، وقد ثبتت أيضا من السنة (أيهم يكفل مريم) مبتدأ وخبر فى موضع نصب بفعل تقديره ينظرون أيهم (يختصمونُ) يختلفون فيمن يكفلها منهم (إذ قالت الملائكة) إذ بدل من إذ قالت ، أو من إذ يختصمون ، والعامل فيه مضمر (اسمه) أعاد الضمير المذكر على الكلمة ، لأن المسمى بها ذكر (المسيح) قيل هو مشتق من ساح فى الأرض ، فوزنه مفعل ، وقال الأكثرون من مسح لأنه مسح بالبركة فوزنه فعيل وإنما قال عيسى ابن مريم والخطاب لمريم لينسبه إليها ، إعلاما بأنه يولد من غير والد (وجيها) نصب على الحال ، ووجاهته فى الدنيا النبوة والتقديم على الناس ، وفى الآخرة الشفاعة وعلوّ الدرجة فى الجنة (فى المهد) فى موضع الحال ، (وكهلا) عطف عليه ، والمعنى أنه يكلم الناس صغيرا آية تدل على براءة أمه مما قذفها به اليهود ، وتدل على نبوته ، ويكلمهم أيضا كبيرا ففيه إعلام بعيشه إلى أن يبلغ سن الكهولة ، وأوله ثلاث وثلاثون سنة وقيل أربعون (ويعلمه) عطف على يبشرك أو ويكلم (الكتاب) هنا جنس ، وقيل الخط باليد ، والحكمة هنا العلوم الدينية ، أو الإصابة فى القول والفعل (ورسولا) حال معطوف على ويعلمه إذ التقدير ومعلما الكتاب أو يضمر له فعل تقديره أرسل رسولا أوجاء رسولا (إلى بنى إسرائيل) أى أرسل إليهم عيسى عليه السلام مبينا لحكم التوراة (أنى) تقديره بأنى (أخلق) بفتح الهمزة بدل من أنى الأولى ، أو من آية وبكسرها ابتداء كلام (فأنفخ فيه) ذكر هنا الضمير لأنه يعود على الطين ، أو على الكاف من كهيئة ، وأنث فى

وَأُحْيِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا

المائدة لأنه يعود على الهيئة (فيكون طيرا) قيل إنه لم يخلق غير الخفاش ، وقرئ طيرا بياء ساكنة على الجمع ، وبالألف وهمزة على الإفراد ، ذكر بإذن الله : رفعا لوهم من توهم في عيسى الربوبية (وأبرئ) روى أنه كان يجتمع إليه جماعة من العميان والبرصاء فيدعو لهم فيبرؤن (وأحيي الموتى) روى أنه كان يضرب بعصاه الميت أو القبر فيقوم الميت ويكلمه ، وروى أنه أحيي سام بن نوح (وأنبئكم) كان يقول يافلان أكلت كذا وادخرت في بيتك كذا (ومصدقا) عطف على رسولا أو على موضع بآية من ربكم ، لأنه في موضع الحال ، وهو أحسن لأنه من جملة كلام عيسى فالتقدير : جئتكم بآية من ربكم ، وجئتكم مصدقا (ولأحل لكم) عطف على بآية من ربكم ، وكانوا قد حرم عليهم الشحم ولحم الإبل وأشياء من الحيتان والطير فأحل لهم عيسى بعض ذلك (إن الله ربي وربكم) رد على من نسب الربوبية لعيسى وانتهى كلام عيسى عليه السلام إلى قوله (صراط مستقيم) وابتداؤه من قوله أنى قد جئتكم ، وكل ذلك يحتمل أن يكون مما ذكرت الملائكة لمريم ، حكاية عن عيسى عليه السلام أنه سيقوله ، ويحتمل أن يكون خطاب مريم قد انقطع ثم استؤنف الكلام من قوله ورسولا ، على تقدير جاء عيسى رسولا : بأنى قد جئتكم بآية من ربكم ، ثم استمر كلامه إلى آخره (فلما أحس عيسى) أى علم علما ظاهرا كعلم مايدرك بالحواس (من أنصارى) طلب للنصرة ، والأنصار جمع ناصر (إلى الله) تقديره من يضيف أنفسهم في نصرتى إلى الله فلذلك قيل إلى هنا بمعنى مع أو يتعلق بمحذوف تقديره ذاهبا أو ملتجئا إلى الله (الحواريون) حوارى الرجل صفوته وخاصته ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي حوارى وإن حوارى الزبير ، وقيل إن الحواريين كانوا قصارين يحورون الثياب ، أى يبيضونها ولذلك سماهم الحواريين (بما أنزلت) يريدون الإنجيل ، والرسول هنا عيسى عليه السلام (مع الشاهدين) أى مع الذين يشهدون بالحق من الأمم ، وقيل مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم يشهدون على الناس (ومكروا) الضمير لكفار بني إسرائيل ومكرهم أنهم وكلوا بعيسى من يقتله غيلة (ومكر الله) أى رفع عيسى إلى السماء ، وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل عوضا منه ، وعبر عن فعل الله بالمكر مشاكلة لقوله مكروا (والله خير الماكرين) أى أقواهم وهو فاعل ذلك بحق ، والماكر من البشر فاعل بالباطل (إذ قال الله) العامل فيه فعل مضمر ، أو يمكر (إنى متوفيك) قيل وفاة موت ، ثم أحياه الله في السماء ، وقيل رفع حيا ، ووفاة الموت بعد أن ينزل إلى الأرض فيقتل الدجال ، وقيل يعني وفاة نوم ؛ وقيل المعنى قابضك من الأرض إلى السماء

إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ * وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ * إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

(ورافعك إلىّ) أى إلى السماء (ومطهرك) أى من سوء جوارهم (الذين اتبعوك) هم المسلمون، وعلوهم على الكفرة بالحجة وبالسيف فى غالب الأمر وقيل الذين اتبعوك النصارى، والذين كفروا اليهود، فالآية مخبرة عن عزة النصارى على اليهود وإذلا لهم لهم (ذلك نتلوه) إشارة إلى ماتقدم من الأخبار (من الآيات) المتلوات أو المعجزات (الذكر) القرآن (الحكيم) الناطق بالحكمة (إن مثل عيسى) الآية حجة على النصارى فى قولهم: كيف يكون ابن دون أب، فمثله الله بآدم الذى خلقه الله دون أم ولا أب، وذلك أغرب مما استبعدوه، فهو أقطع لقولهم (خلقه من تراب) تفسير لحال آدم فيكون حكاية عن حال ماضية، والأصل لو قال خلقه من تراب، ثم قال له كن فكان، لكنه وضع المضارع موضع الماضى ليصور فى نفوس المخاطبين أن الأمر كأنه حاضر دائم (الحق) خبر مبتدأ مضمر (فمن حاجك فيه) أى فى عيسى، وكان الذى حاجه فيه وفد نجران من النصارى، وكان لهم سيدان يقال لأحدهما السيد، والآخر العاقب (نبتهل) نلتعن والبهلة اللعنة أى نقول لعنة الله على الكاذب منا ومنكم، هذا أصل الابتهال؛ ثم استعمل فى كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن لعنة، ولما نزلت الآية أرسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلى على وفاطمة والحسن والحسين، ودعا نصارى نجران إلى الملاعنة فخافوا أن يهلكهم الله أو يمسخهم الله قردة وخنازير، فأبوا من الملاعنة وأعطوا الجزية (قل يا أهل الكتاب) خطاب لنصارى نجران، وقيل اليهود (سواء) أى عدل ونصف (أن لا نعبد) بدل من كلمة أو رفع على تقدير هى، ودعاهم صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلى توحيد الله وترك ماعبدوه من دونه كالمسيح والأحبار والرهبان (لم تحاجون فى إبراهيم) قالت اليهود كان إبراهيم يهوديا، وقالت النصارى: كان نصرانيا، فنزلت الآية ردا عليهم لأن ملة اليهود والنصارى

وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ * وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ

إنما وقعت بعد موت إبراهيم بمدة طويلة (هاأنتم) ها تنبيه ، وقيل بدل من همزة الاستفهام ، وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم استئناف ؛ أو هؤلاء منصوب على التخصيص وحاججتم الخبر (فيما لكم به علم) فيما نطقت به التوراة والإنجيل (فيما ليس لكم به علم) ماتقدم على ذلك من حال إبراهيم (ماكان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا) ردّ على اليهود والنصارى (وماكان من المشركين) نفي للاشتراك الذى هو عبادة الأوثان ، ودخل فى ذلك الإشراك الذى يتضمن دين اليهود والنصارى (وهذا النبي) عطف على الذين اتبعوه : أى محمد صلى الله عليه وسلم (أولى الناس بإبراهيم) لأنه على دينه (والذين آمنوا) أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ودت طائفة) هم اليهود ، دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا إلى اليهودية (ومايضلون إلا أنفسهم) أى لا يعود وبال الإضلال إلا عليهم (وأنتم تشهدون) أى تعلمون أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي (لم تلبسون الحق) أى تخلطون والحق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والباطل الكفر به (آمنوا بالذى أنزل) كان قوم من اليهود لعنهم الله أظهروا الإسلام أول النهار ، ثم كفروا آخره ليخدعوا المسلمين . فيقولوا مارجع هؤلاء إلا عن علم ، وقال السهيلى : إن هذه الطائفة هم عبد الله بن الصيف ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف (أن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم) يحتمل أن يكون من تمام الكلام الذى أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقوله متصلا بقوله : إن الهدى هدى الله وأن يكون من كلام أهل الكتاب فيكون متصلا بقولهم : ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ، ويكون إن الهدى اعتراضا بين الكلامين ، فعلى الأول يكون المعنى : كراهة أن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم وقلتم ماقلتم ، ودبرتم مادبرتم من الخداع ، فموضع أن يؤتى مفعول من أجله ، أو منصوب بفعل مضمر تقديره فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الكتاب والنبوة ، وعلى الثانى فيكون المعنى . لا تؤمنوا أى لا تقروا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم (إلا لمن تبع دينكم) وا كتموا ذلك على من لم يتبع دينكم لئلا يدعوهم إلى الإسلام ، فموضع أن يؤتى مفعول بتؤمنوا المضمن معنى تقروا ، ويمكن أن يكون فى موضع المفعول من أجله : أى لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كراهية أن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم (أويحاجوكم) عطف على أن يؤتى ، وضمير الفاعل للمسلمين ، وضمير المفعول لليهود (إن الفضل بيد الله) ردّ على اليهود فى قولهم : لم يؤت أحداً مثل ماأوتى بنو إسرائيل من النبوة والشرف (ومن

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ

أهل الكتاب) الآية : إخبار أن أهل الكتاب على قسمين : أمين ، وخائن . وذكر القنطار مثالا للكثير فمن أداه : أدى مادونه ، وذكر الدنيا مثالا للقليل ، فمن منعه منع مافوقه بطريق الأولى (قائما) يحتمل أن أن يكون من القيام الحقيق بالجسد ، أو من القيام بالأمر ، وهو العزيمة عليه (ذلك بأنهم) الإشارة إلى خيانتهم والباء للتعليل (ليس علينا) زعموا بأن أموال الأميين ، وهم العرب : حلال لهم (الكذب) هنا قولهم ، إن الله أحلها عليهم في التوراة أو كذبهم على الإطلاق (بلى) عليهم سبيل وتباعة في أموال الأميين (بعهده) الضمير يعود على من أو على الله (إن الذين يشترون) لآية : قيل نزلت فى اليهود لأنهم تركوا عهد الله فى التوراة لأجل الدنيا ، وقيل نزلت بسبب خصومة بين الأشعث من قيس وآخر ، فأراد خصمه أن يحلف كاذبا (وإن منهم) الضمير عائد على أهل الكتاب (يلوون ألسنتهم) أى يحرفون اللفظ أو المعنى (لتحسبوه) الضمير يعود على مادل عليه قوله يلوون ألسنتهم ، وهو الكلام المحرف (ما كان لبشر) الآية : هذا النفي متسلط على (ثم يقول للناس) والمعنى لا يدعى الربوبية من آتاه الله النبوة ، والإشارة إلى عيسى عليه السلام رد على النصارى الذين قالوا إنه الله ، وقيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن اليهود قالوا له يامحمد : تريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى فقال معاذ الله ما بذلك أمرت ولا إليه دعوت (ربانيين) جمع ربانى ، وهو العالم ، وقيل الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره (بما كنتم) الباء سببية وما مصدرية (تعلمون) بالتخفيف تعرفون . وقرئ بالتشديد من التعليم (ولا يأمركم) بالرفع استئناف ، والفاعل الله أو البشر المذكور ، وقرئ بالنصب عطف على أن يؤتيه أو على ثم يقول ، والفاعل على هذا البشر (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) معنى الآية أن الله أخذ العهد والميثاق على كل نبى أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وينصره إن أدركه ، وتضمن ذلك أخذ هذا الميثاق على أمم الأنبياء ، واللام فى قوله (لما آتيتكم) لام التوطئة ، لأن أخذ الميثاق فى معنى الاستخلاف ، واللام فى لتؤمن

جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّٰهِدِينَ * فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ * أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ * وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الْآخِرَةِ مِنَ الْخَٰسِرِينَ * كَيْفَ يَهْدِى اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ الْبَيِّنَٰتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ * أُولَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

جواب القسم ، وما يحتمل أن تكون شرطية ، ولتؤمنن سدّ مسدّ جواب القسم والشرط وأن تكون موصولة بمعنى الذى آتينا كموه (لتؤمنن به) والضمير فى به ولتنصرنه عائد على الرسول (ءأقررتم) أى اعترفتم (إصرى) عهدى (فاشهدوا) أى على أنفسكم وعلى أممكم بالتزام هذا العهد (وأنا معكم) تأكيد للعهد بشهادة رب العزة جلّ جلاله (بعد ذلك) أى من تولى عن الإيمان بهذا النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذا الميثاق فهو فاسق مرتدّ متمرد فى كفره (أفغير) الهمزة للإنكار ، والفاء عطفت جملة على جملة ، وغير مفعول قدم للاهتمام به أو للحصر (وله أسلم) أى انقادوا استسلم (طوعا وكرها) مصدر صدر فى موضع الحال ، والطوع للمؤمنين والكره للكافر إذا عاين الموت ، وقيل عند أخذ الميثاق المتقدم ، وقيل إقرار كل كافر بالصانع هو إسلامه كرها (قل آمنا) أمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبر عن نفسه وعن أمّته بالإيمان (وما أنزل علينا) تعدى هنا بعلى مناسبة لقوله قل ، وفى البقرة بإلى لقوله قولوا . لأنّ على حرف استعلاء يقتضى النزول من علو . ونزوله على هذا المعنى مختص بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم . وإلى حرف غاية وهو موصل إلى جميع الأمّة (ومن يبتغ) الآية : إبطال لجميع الأديان غير الإسلام ، وقيل نسخت : إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى الآية (كيف) سؤال والمراد به هنا استبعاد الهدى (قوما كفروا) نزلت فى الحرث بن سويد وغيره أسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بالكفار ثم كتبوا إلى أهلهم هل لنا من توبة ؟ فنزلت الآية إلى قوله : إلا الذين تابوا ، فرجعوا إلى الإسلام ؛ وقيل نزلت فى اليهود والنصارى شهدوا بصفة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وآمنوا به ثم كفروا به لما بعث ، وشهدوا عطف على إيمانهم ، لأنّ معناه بعد أن آمنوا ، وقيل الواو للحال ، وقال ابن عطية . عطف على كفروا والواو لا ترتب (والناس أجمعين) عموم بمعنى الخصوص فى المؤمنين أو على عمومه وتكون اللعنة فى الآخرة (خالدين فيها) الضمير عائد على اللعنة ، وقيل على النار وإن لم تكن ذكرت ؛ لأنّ المعنى

وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ * لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ * كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى

يقتضيها (ثم ازدادوا كفرا) قيل هم اليهود كفروا بعيسى بعد إيمانهم بموسى، ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن كانوا مؤمنين قبل مبعثه، ثم ازدادوا كفرا بعداوتهم له وطعنهم عليه؛ وقيل هم الذين ارتدوا (لن تقبل توبتهم) قيل ذلك عبارة عن موتهم على الكفر: أى ليس لهم توبة فتقبل، وذلك فى قوم بأعيانهم ختم الله لهم بالكفر، وقيل لن تقبل توبتهم مع إقامتهم على الكفر، فذلك عام (فلن يقبل من أحدهم ملء) جزم بالعذاب لكل من مات على الكفر. والواو فى قوله: ولو افتدى به، قيل زائدة وقيل للعطف على محذوف، كأنه قال: لن يقبل من أحدهم لو تصدق به (ولو افتدى به) وقيل نفى أولا القبول جملة على الوجوه كلها، ثم خص الفدية بالنفى كقولك: أنا لا أفعل كذا أصلا ولو رغبت إلىّ (لن تنالوا البر) أى لن تكونوا من الأبرار ولن تنالوا البر الكامل (حتى تنفقوا مما تحبون) من أموالكم ولما نزلت قال أبو طلحة إنّ أحب أموالى إلىّ بيرحاء، وإنها صدقة، وكان ابن عمر يتصدق بالسكر ويقول إنى لأحبه (كل الطعام) الآية إخبار أن الأطعمة كانت حلالا لبنى إسرائيل (إلا ما حرم إسرائيل) أبوهم (على نفسه) وهو لحم الإبل ولبنها ثم حرمت عليهم أنواع من الأطعمة كالشحوم وغيرها عقوبة لهم على معاصيهم، وفيها رد عليهم فى قولهم إنهم على ملة إبراهيم عليه السلام وأن الأشياء التى هى محرمة كانت محرمة على إبراهيم، وفيها دليل على جواز النسخ ووقوعه لأن الله حرم عليهم تلك الأشياء بعد حلها، خلافا لليهود فى قولهم إن النسخ محال على هذه الأشياء، وفيها معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لإخباره بذلك من غير تعلم من أحد وسبب تحريم إسرائيل لحوم الإبل على نفسه أنه مرض فنذر إن شفاه الله أن يحرم أحب الطعام إليه شكرا لله وتقربا إليه، ويؤخذ من ذلك أنه يجوز للأنبياء أن يحرموا على أنفسهم باجتهادهم (فأتوا بالتوراة) تعجيزا لليهود، وإقامة حجة عليهم، وروى أنهم لم يجسروا على إخراج التوراة (فمن افترى) أى من زعم بعد هذا البيان أن الشحم وغيره كان محرما على بنى إسرائيل قبل نزول التوراة فهو الظالم المكابر بالباطل (صدق الله) أى الأمر كما وصف لا كما تكذبون أنتم ففيه تعريض بكذبهم (فاتبعوا ملة إبراهيم) إلزام لهم أن يسلموا كما ثبت أن ملة الإسلام هى ملة إبراهيم التى لم يحرم فيها شىء مما هو محرم عليهم (إن أول بيت) أى أول مسجد بنى فى الأرض، وقد سأل أبو ذر النبى صلى الله عليه وآله وسلم، أى مسجد بنى أول؟ قال: المسجد الحرام، ثم بيت المقدس، وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه: المعنى أنه أول بيت وضع مباركا وهدى وقد كانت قبله بيوتا (ببكة) قيل هى مكة والباء بدل من الميم، وقيل مكة الحرم كله، وبكة المسجد وما حوله (مباركا)

لِّلْعَٰلَمِينَ * فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ * قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ

نصب على الحال والعامل فيه على قول على وضع (مباركا) على أنه حال من الضمير الذى فيه وعلى القول الأول هو حال من الضمير المجرور والعامل فيه العامل المجرور من معنى الاستقرار (فيه آيات بينات) آيات البيت كثيرة ، منها الحجر الذى هو مقام إبراهيم وهو الذى قام عليه حين رفع القواعد من البيت ، فكان كلما طال البناء ارتفع به الحجر فى الهواء حتى أكمل البناء ، وغرقت قدم إبراهيم فى الحجر كأنها فى طين ، وذلك الأثر باق إلى اليوم ، ومنها أن الطيور لا تعلوه ، ومنها إهلاك أصحاب الفيل ، ورد الجبابرة عنه ونبع زمزم لهاجر أم إسماعيل بهمز جبريل بعقبه وحفر عبد المطلب بعدد ثورها وأن ماؤها ينفع لما شرب له إلى غير ذلك (مقام إبراهيم) قيل إنه بدل من الآيات أو عطف بيان ، وإنما جاز بدل الواحد من الجمع لأن المقام يحتوى على آيات كثيرة لدلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة إبراهيم وغير ذلك ، وقيل الآيات : مقام إبراهيم ، وأمن من دخله ، فعلى هذا يكون قوله ومن دخله عطفا ، وعلى الأول استئنافا ، وقيل التقدير منهن مقام إبراهيم ، فهو على هذا مبتدأ ، والمقام هو الحجر المذكور ، وقيل البيت كله ، وقيل مكة كلها (كان آمنا) أى آمنا من العذاب ، فإنه كان فى الجاهلية إذا فعل أحد جريمة ثم لجأ إلى البيت لا يطلب ، ولا يعاقب ، فأما فى الإسلام فإن الحرم لا يمنع من الحدود ولا من القصاص ، وقال ابن عباس وأبو حنيفة ذلك الحكم باق فى الإسلام إلا أن من وجب عليه حد أو قصاص فدخل الحرم لا يطعم ولا يباع منه حتى يخرج وقيل آمنا من النار (حج البيت) بيان لوجوب الحج واختلف هل هو على الفور أو على التراخى ، وفى الآية رد على اليهود لما زعموا أنهم على ملة إبراهيم قيل لهم إن كنتم صادقين فحجوا البيت الذى بناه إبراهيم ودعا الناس إليه (من استطاع) بدل من الناس ، وقيل فاعل بالمصدر ، وهو حج ؛ وقيل شرط مبتدأ : أى من استطاع فعليه الحج ؛ والاستطاعة عند مالك هى القدرة على الوصول إلى مكة بصحة البدن إما راجلا وإما راكبا مع الزاد المبلغ والطريق الآمن وقيل الاستطاعة الزاد والراحلة ، وهو مذهب الشافعى وعبد الملك بن حبيب وروى فى ذلك حديث ضعيف (ومن كفر) قيل المعنى من لم يحج ، وعبر عنه بالكفر تغليظا كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : من ترك الصلاة فقد كفر ، وقيل أراد اليهود لأنهم لا يحجون ، وقيل من زعم أن الحج ليس بواجب (لم تكفرون) توبيخ لليهود (لم تصدون) توبيخ أيضا . وكانوا يمنعون الناس من الإسلام ويرومون فتنة المسلمين عن دينهم (سبيل الله) هنا الإسلام (تبغونها عوجا) الضمير يعود على السبيل أى تطلبون لها الاعوجاج (وأنتم تشهدون) أى تشهدون أن الإسلام حق (إن تطيعوا فريقا) الآية : لفظها عام والخطاب للأوس والخزرج إذ كان اليهود يريدون فتنتهم (وكيف

صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ • يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ • وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ • وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ • وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَٱخْتَلَفُوا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَأُولَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ • يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ • وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ • تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَـٰلَمِينَ • وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ • كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم

تكفرون) إنكار واستبعاد (حق تقاته) قيل نسخها ، فاتقوا الله ما استطعتم ، وقيل لا نسخ إذ لا تعارض فإن العباد أمروا بالتقوى على الكمال فيما استطاعوا تحرزا من الإكراه وشبهه (واعتصموا بحبل الله) أى تمسكوا ، والحبل هنا مستعار من الحبل الذى تشد عليه اليد ، والمراد به هنا القرآن ، وقيل الجماعة (ولا تفرقوا) نهى عن التدابر والتقاطع ، إذ قد كان الأوس هموا بالقتال مع الخزرج لما رام اليهود إيقاع الشر بينهم ، ويحتمل أن يكون نهيا عن التفرق فى أصول الدين ولا يدخل فى النهى الاختلاف فى الفروع (إذ كنتم أعداء) كان بين الأوس والخزرج عداوة وحروب عظيمة إلى أن جمعهم الله بالإسلام (شفا حفرة) أى حرف حفرة وذلك تشبيه لما كانوا عليه من الكفر والعداوة التى تقودهم إلى النار (ولتكن منكم أمة) الآية : دليل على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب ، وقوله منكم : دليل على أنه فرض كفاية لأن من للتبعيض ، وقيل إنها لبيان الجنس ، وأن المعنى كونوا أمة وتغيير المنكر يكون باليد وباللسان وبالقلب ، على حسب الأحوال (كالذين تفرقوا) هم اليهود والنصارى نهى الله المسلمين أن يكونوا مثلهم ، وورد فى الحديث أنه عليه السلام قال : افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة ، قيل ومن تلك الواحدة ؟ قال : من كان على ما أنا وأصحابى عليه (يوم تبيض وجوه) العامل فيه محذوف وقيل عذاب عظيم (أكفرتم بعد إيمانكم) أى يقال لهم أكفرتم والخطاب لمن ارتد عن الإسلام وقيل للخوارج ، وقيل لليهود لأنهم آمنوا بصفة النبى صلى الله عليه وآله وسلم المذكورة فى التوراة ثم كفروا به لما بعث (كنتم خير أمة) كان هنا هى التى تقتضى الدوام كقوله وكان الله غفورا رحيما ، وقيل كنتم فى علم الله ، وقيل كنتم فيما وصفتم به فى الكتب المتقدمة ، وقيل كنتم يعنى

مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ * لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ * ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ

أتم ، والخطاب لجميع المؤمنين ، وقيل للصحابة خاصة (لن يضروكم إلا أذى) أى بالكلام خاصة وهو أهون المضرة (يولوكم الأدبار) إخبار بغيب ظهر فى الوجود صدقه (ثم لا ينصرون) إخبار مستأنف غير معطوف على يولوكم ، وفائدة ذلك أن توليهم الأدبار مقيد بوقت القتال ، وعدم النصر على الإطلاق ، وعطفت الجملة على جملة الشرط والجزاء ، وثم لترتيب الأحوال لأن عدم نصرهم على الإطلاق أشد من توليهم الأدبار حين القتال (إلا بحبل من الله) الحبل هنا العهد والذمة (ليسوا سواء) أى ليس أهل الكتاب مستويين فى دينهم (أمة قائمة) أى قائمة بالحق ، وذلك فيمن أسلم من اليهود : كعبدالله بن سلام ، وثعلبة بن سعيد وأخيه أسد وغيرهم (وهم يسجدون) يدل أن تلاوتهم للكتاب فى الصلاة (فلن تكفروه) أى لن تحرموا ثوابه (مثل ما ينفقون) الآية : تشبيه لنفقة الكافرين بزرع أهلكته ريح باردة فلن ينتفع به أصحابه فكذلك لا ينتفع الكفار بما ينفقون وفى الكلام حذف تقديره : مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح أو مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح وإنما احتيج لهذا لأن ما ينفقون ليس تشبيها بالريح إنما هو تشبيه بالزرع الذى أهلكته الريح (صر) أى برد (حرث قوم ظلموا أنفسهم) أى عصوا الله فعاقبهم بإهلاك حرثهم (وما ظلمهم الله) الضمير للكفار ، أو المنافقين ، أو لأصحاب الحرث ، والأول أرجح ، لأن قوله أنفسهم يظلمون فعل حال يدل على أنه للحاضرين (بطانة من دونكم) أى أولياء من غيركم فالمعنى نهى عن استخلاص الكفار وموالاتهم وقيل لعمر رضى الله عنه إن هنا رجلا من النصارى لا أحد أحسن خطا منه ، أفلا يكتب عنك : قال إذا أتخذ بطانة من دون المؤمنين (لا يألونكم خبالا) أى لا يقصرون فى إفسادكم ، والخبال الفساد (ودوا ما عنتم) أى تمنوا مضرتكم ، وما مصدرية وهذه

وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَٰبِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۞ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۞ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۞ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ الْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ۞ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ الْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۞ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ

الجملة والتى قبلها صفة للبطانة أو استئناف (وتؤمنون بالكتاب كله) أى بكل كتاب أنزله الله واليهود لا يؤمنون بقرآنكم (عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه، والأنامل جمع أنملة بضم الميم وفتحها (موتوا بغيظكم) تقريع وإغاظة، وقيل دعاء (إن تمسسكم حسنة) الحسنة هنا: الخيرات من النصر والرزق وغير ذلك، والسيئة ضدها (لا يضركم) من الضير بمعنى الضر (وإذ غدوت من أهلك) نزلت فى غزوة أحد، وكان غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال صبيحة يوم السبت وخرج من المدينة يوم الجمعة بعد الصلاة وكان قد شاور أصحابه قبل الصلاة (تبوئ المؤمنين) تنزلهم وذلك يوم السبت حين حضر القتال، وقيل ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة حين خرج من المدينة، وذلك ضعيف لأنه لا يقال غدوت فيما بعد الزوال إلا على المجاز، وقيل ذلك يوم الجمعة قبل الصلاة حين شاور الناس وذلك ضعيف لأنه لم يبوئ حينئذ مقاعد للقتال إلا أن يراد أنه بوأهم بالتدبير حين المشاورة (مقاعد) مواضع وهو جمع مقعد (طائفتان منكم) هم بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج، لما رأوا كثرة المشركين وقلة المؤمنين هموا بالانصراف فعصمهم الله ونهضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن تفشلا) الفشل فى البدن هو الإعياء، والفشل فى الرأى هو العجز والحيرة وفساد العزم (والله وليهما) أى مثبتهما، وقال جابر بن عبدالله ماوددنا أنها لم تنزل لقوله والله وليهما (ولقد نصركم الله ببدر) تذكير بنصر الله لهم يوم بدر لتقوى قلوبهم (وأنتم أذلة) الذلة هى قلة عددهم وضعف عددهم كانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ولم يكن لهم إلا فرس واحد وكان المشركون ما بين التسعمائة والألف، وكان معهم مائة فرس فقتل من المشركين سبعون وأسر منهم سبعون وانهزم سائرهم (لعلكم تشكرون) متعلق بنصركم أو باتقوا؛ والأول أظهر (إذ تقول للمؤمنين) كان هذا القول يوم بدر، وقيل يوم أحد، فالعامل فى إذ على الأول محذوف، وعلى الثانى بدل من إذ غدوت (ألن يكفيكم) تقرير جوابه بلى، وإنما جاوب المتكلم لصحة الأمر وبيانه كقوله قل «من رب السموات والأرض قل الله» (ويأتوكم من فورهم) الضمير للمشركين، والفور السرعة: أى من ساعتهم وقيل المعنى من سفرهم (بخمسة آلاف) بأكثر من العدد الذى يكفيكم ليزيد ذلك فى قوتكم فإن كان هذا يوم

ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ۝ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ
شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝
وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ
وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝
أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝ قَدْ خَلَتْ
مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ ۝ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ

بدر، فقدقاتلت فيه الملائكة وإن كان يوم أحدفقد شرط فى قوله: إن تصبروا وتتقوا، فلما خالفوا الشرط لم تنزل الملائكة (مسومين) بفتح الواو وكسرها أى معلمين، أو معلمين أنفسهم أو خيلهم، وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء، إلا جبريل فإنه كانت عمامته صفراء، وقيل كانت عمائمهم صفر، وكانت خيلهم مجزوزة الأذناب وقيل كانوا على خيل بلق (وما جعله) الضمير عائد على الإنزال، أو الإمداد (ولتطمئن) معطوف على بشرى لأن هذا الفعل بتاويل المصدر، وقيل يتعلق بفعل مضمر يدل عليه جمله (ليقطع) يتعلق بقوله ولقد نصركم الله أو بقوله وما النصر (ليس لك من الأمر شىء) جملة اعتراضية بين المعطوفين ونزلت لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة على أحياء من العرب فترك الدعاء عليهم (أو يتوب عليهم) معناه يسلمون (أضعافا مضاعفة) كانوا يزيدون كل ما حل عاما بعد عام (سارعوا) بغير واو استئناف، وبالواو عطف على ماتقدم (إلى مغفرة) أى إلى الأعمال متى تستحقون بها المغفرة (عرضها) قال ابن عباس: تقرن السموات والأرض بعضها إلى بعض كما تبسط الثياب فذلك عرض الجنة، ولا يعلم طولها إلا الله: وقيل ليس العرض هنا خلاف الطول وإنما المعنى سعتها كسعة السموات والأرض (فى السراء والضراء) فى العسر واليسر (وهم يعلمون) حذف مفعوله وتقديره وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا (قد خلت من قبلكم سنن) خطاب للمؤمنين تأنيسا لهم وقيل للكافرين تخويفا لهم (فانظروا) من نظر العين عند الجمهور وقيل هو بالفكر (ولا تهنوا) تقوية لقلوب المؤمنين (وأنتم الأعلون) إخبار بعلو كلمة الإسلام (إن يمسسكم قرح) الآية معناها إن مسكم قتل أو جراح فى أحد فقد مس الكفار مثله فى بدر، وقيل قد مس الكفار يوم أحد مثل ما مسكم فيه فإنهم

مِثْلُهُ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ *
وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا
مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ * وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * وَمَا
مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ
فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن
يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ * وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ
مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا ٱسْتَكَانُوا وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ * وَمَا

نالوا منكم ونلتم منهم وذلك تسلية للمؤمنين بالتأسي (نداولها) تسلية أيضا عما جرى يوم أحد (وليعلم) متعلق بمحذوف تقديره أصابكم ما أصابهم يوم أحد ليعلم والمعنى ليعلم ذلك علما ظاهرا لكم تقوم به الحجة (شهداء) من قتل من المسلمين يوم أحد (وليمحص الله) أي يطهر، وقيل يميز، وهو معطوف على ما تقدم من التعليلات لقصة أحد، والمعنى أن إدالة الكفار على المسلمين إنما هي لتمحيص المؤمنين وأن نصر المؤمنين على الكفار إنما هو ليمحق الله الكافرين أي يهلكهم (أم حسبتم) أم هنا منقطعة مقدرة ببل والهمزة عند سيبويه، وهذه الآية وما بعدها معاتبة لقوم من المؤمنين صدرت منهم أشياء يوم أحد (تمنون الموت) خوطب به قوم فاتتهم غزوة بدر فتمنوا حضور قتال الكفار مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليستدركوا مافاتهم من الجهاد فعلى هذا إنما تمنوا الجهاد وهو سبب الموت، وقيل إنما تمنوا الشهادة في سبيل الله (وما محمد إلا رسول) المعنى أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول كسائر الرسل قد بلغ الرسالة كما بلغوا فيجب عليكم التمسك بدينه في حياته وبعد موته وسببها أنه صرخ صارخ يوم أحد. إن محمدا قد مات، فتزلزل بعض الناس (أفإن مات) دخلت ألف التوبيخ على جملة الشرط والجزاء، ودخلت الفاء لتربط الجملة الشرطية بالجملة التي قبلها والمعنى أن موت رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أو قتله لا يقتضي انقلاب أصحابه على أعقابهم، لأن شريعته قد تقررت وبراهينه قد صحت، فعاتبهم على تقدير أن لو صدر منهم انقلاب لو مات صلى الله عليه وسلم، أو قتل وقد علم أنه لا يقتل ولكن ذكر ذلك لما صرخ به صارخ ووقع في نفوسهم (الشاكرين) قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الثابتون على دينهم (كتابا مؤجلا) نصب على المصدر لأن المعنى كتب الموت كتابا، وقال ابن عطية نصب على التمييز (نؤته منها) في ثواب الدنيا، مقيد بالمشيئة بدليل قوله عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد (وكأين من نبي قاتل) الفعل مسند إلى ضمير النبي ومعه ربيون على هذا في موضع الحال، وقيل إنه مسند إلى الربيين، فيكون ربيون على هذا مفعولا لما لم يسم فاعله فعلى الأول يوقف على قوله قتل، ويترجح الأول: بما صرخ به الصارخ يوم أحد: إن محمداً قد مات، فضرب لهم المثل بنبي قتل. ويترجح الثاني بأنه لم يقتل قط نبي في محاربة (ربيون) علماء مثل ربانيين، وقيل جموع كثيرة (فما

كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَـٰفِرِينَ * فَـَٔاتَـٰهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَـٰسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ مَوْلَـٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّـٰصِرِينَ * سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَـٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّـٰلِمِينَ * وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُمْ مَّاتُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ * إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَىٰكُمْ

وهنوا) الضمير لربيون على إسناد القتل للنبى ، وهو لم يبق منهم على إسنادالقتل إليهم (وما استكانوا) أى لم يذلوا للكفار قال بعض النحاة : الاستكان مشتق من السكون ، ووزنه افتعلوا مطلت فتحة الكاف لحدث عن مطلها ألف وذلك كالإشباع ، وقيل إنه من كان يكون ، فوزنه استفعلوا ، وقوله تعالى فما وهنوا ومابعده : تعريض لماصدر من بعض الناس يوم أحد (وثبت أقدامنا) أى فى الحرب (ثواب الدنيا) النصر (ثواب الآخرة) الجنة (إن تطيعوا الذين كفروا) هم المنافقون الذين قالوا فى قضية أحد ماقالوا ، وقيل مشركو اقريش وقيل اليهود (الرعب) قيل ألقى الله الرعب فى قلوب المشركين بأحد فرجعوا إلى مكة من غير سبب ، وقيل لما كانوا ببعض الطريق هموا بالرجوع ليستأصلوا المسلمين ، فألقى الله الرعب فى قلوبهم ، فأمسكوا ، والآية تتناول جميع الكفار لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : نصرت بالرعب (ولقد صدقكم الله وعده) كان رسول الله صلى عليه وآله وسلم قد وعد المسلمين عن الله بالنصر فنصرهم الله أولا ، وانهزم المشركون وقتل منهم اثنان وعشرون رجلا وكان رسول الله صلى عليه وآله وسلم ، قد أمر الرماة أن يثبتوا فى مكانهم ولا يبرحوا فلما رأوا المشركين قدانهزموا طمعوا فى الغنيمة واتبعوهم وخالفوا ماأمروا به من الثبوت فى مكانهم فانقلبت الهزيمة على المسلمين (إذ تحسونهم) أى تقتلونهم قتلا ذريعا يعنى فى أول الأمر (وتنازعتم) وقع النزاع بين الرماة فثبت بعضهم كما أمروا ولم يثبت بعضهم (وعصيتم) أى خالفتم ماأمرتم به من الثبوت ، وجاءت المخاطبة فى هذا لجميع المؤمنين وإن كان المخالف بعضهم وعظا للجميع ، وسترا على من فعل ذلك وجواب إذ محذوف تقديره : لانهزمتم (منكم من يريد الدنيا) الذين حرصوا على الغنيمة معه (ليبتليكم) معناه لينزل بكم مانزل من القتل والتمحيص (ولقد عفا عنكم) إعلام بأن الذنب كان يستحق أكثر مما نزل بهم لولا عفو الله عنهم ، فمعناه لقد أبقى عليكم ، وقيل هو عفو عن الذنب (إذ تصعدون) العامل فى إذ عفا ، فيوصل إذ تصعدون مع ماقبله ويحتمل أن يكون العامل فيه مضمر (ولا تلوون) مبالغة فى صفة الانهزام (والرسول يدعوكم) كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إلىّ عباد الله وهم يفرون (فى أخراكم) فى سقايتكم وفيه مدح للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فإن الآخرى هى

فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَٰبَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ اللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ * يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِى الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَئِن قُتِلْتُمْ

موقف الأبطال (فأثابكم) أى جازاكم (غما بغم) قيل أثابكم غما بسبب الغم الذى أدخلتموه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى المؤمنين، إذ عصيتم وتنازعتم، قيل أثابكم غما متصلا بغم، وأحد الغمين: ما أصابهم من القتل والجراح والآخر ما أرجف به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم (على ما فاتكم) من النصر والغنيمة (ولا ما أصابكم) من القتل والجراح والانهزام (أمنة نعاسا) قال ابن مسعود: نعسنا يوم أحد، والنعاس فى الحرب أمان من الله (يغشى طائفة منكم) هم المؤمنون المخلصون، غشيهم النعاس تأمينا لهم (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) هم المنافقون كانوا خائفين من أن يرجع إليهم أبو سفيان، والمشركون (غير الحق) معناه يظنون أن الإسلام ليس بحق، وأن الله لا ينصرهم، وظن الجاهلية بدل وهو على حذف الموصوف تقديره ظن المودة الجاهلية، أو الفرقة الجاهلية (هل لنا من الأمر من شىء) قالها عبد الله بن أبى ابن سلول، والمعنى ليس لنا رأى، ولا يسمع قولنا أو لسنا على شىء من الأمر الحق، فيكون قولهم على هذا كفرا (يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك) يحتمل أن يريد الأقوال التى قالوها أو الكفر (لو كان لنا من الأمر شىء) قاله معتب بن قشير، ويحتمل من المعنى ما احتمل قول عبد الله بن أبى (قل لو كنتم فى بيوتكم) الآية: رد عليهم وإعلام بأن أجل كل إنسان إنما هو واحد، وأن من لم يقتل يموت لأجله، ولا يؤخر، وأن من كتب عليه القتل لا ينجيه منه شىء (وليبتلى) يتعلق بفعل تقديره فعل بكم ذلك ليبتلى (إن الذين تولوا) الآية: نزلت فيمن فر يوم أحد (استزلهم) أى طلب منهم أن يزلوا، ويحتمل أن يكون معناه أزلهم: أى أوقعهم فى الزلل (ببعض ما كسبوا) أى كانت لهم ذنوب عاقبهم الله عليها: بأن مكن الشيطان من استزلالهم (عفى الله عنهم) أى غفر لهم ما وقعوا فيه من الفرار (لا تكونوا كالذين كفروا) أى المنافقين (لإخوانهم) هى أخوة القرابة، لأن المنافقين كانوا من الأوس والخزرج وكان أكثر المقتولين يوم أحد منهم، ولم يقتل من المهاجرين إلا أربعة (إذا ضربوا فى الأرض) أى سافروا وإنما قال إذا التى للاستقبال مع قالوا، لأنه على حكاية الحال الماضية (أو كانوا غزا) جمع غاز وزنه فعل بضم الفاء وتشديد العين (لو كانوا عندنا) اعتقاد منهم فاسد لأنهم ظنوا أن إخوانهم لو كانوا عندهم لم يموتوا ولم يقتلوا، وهذا

فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ * فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ * إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ * وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ

قول من لا يؤمن بالقدر والأجل المحتوم ويقرب منه مذهب المعتزلة فى القول بالأجلين (ليجعل) متعلق بقالوا. أى قالوا ذلك فكان حسرة فى قلوبهم فاللام لام الصيرورة لبيان العاقبة (ذلك) إشارة إلى قولهم واعتقادهم الفاسد الذى أوجب لهم الحسرة، لأن الذى يتيقن بالقدر والأجل تذهب عنه الحسرة (والله يحى ويميت) رد على قولهم واعتقادهم (ولئن قتلتم) الآية إخبار أن مغفرة الله ورحمته لهم إذا قتلوا وماتوا فى سبيل الله خير لهم مما يجمعون من الدنيا (ولئن متم أو قتلتم) الآية إخبار أن من مات أو قتل فإنه يحشر إلى الله (فبما رحمة) ما زائدة للتأكيد لانفضوا أى تفرقوا (فاعف عنهم) فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله (وشاورهم) المشاورة مأمور بها شرعا، وإنما يشاور النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الناس فى الرأى فى الحروب وغيرها لافى الأحكام الشرعية، وقال ابن عباس وشاورهم فى بعض الأمر (فإذا عزمت فتوكل على الله) التوكل هو الاعتماد على الله فى تحصيل المنافع أو حفظها بعد حصولها، وفى دفع المضرات ورفعها بعد وقوعها، وهو من أعلى المقامات، لوجهين: أحدهما قوله إن الله يحب المتوكلين، والآخر الضمان الذى فى قوله: ومن يتوكل على الله فهو حسبه، وقد يكون واجبا لقوله تعالى: وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين، فجعله شرطا فى الإيمان، والظاهر قوله جل جلاله، وعلى الله فليتوكل المؤمنون، فان الأمر محمول على الوجوب

واعلم أن الناس فى التوكل على ثلاثة مراتب: الأولى أن يعتمد العبد على ربه كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عنده الذى لا يشك فى نصيحته له، وقيامه بمصالحه، والثانية: أن يكون العبد مع ربه كالطفل مع أمه فإنه لا يعرف سواها، ولا يلجأ إلا إليها، والثالثة أن يكون العبد مع ربه: كالميت بين يدى الغاسل، قد أسلم نفسه إليه بالكلية، فصاحب الدرجة الأولى له حظ من النظر لنفسه بخلاف صاحب الثانية وصاحب الثانية له حظ من المراد والاختيار بخلاف صاحب الثالثة وهذه الدرجات مبنية على التوحيد الخاص الذى تكلمنا عليه فى قوله: وإلهكم إله واحد، فهى تقوى بقوته، وتضعف بضعفه، فإن قيل: هل يشترط فى التوكل ترك الأسباب أم لا؟ فالجواب: أن الأسباب على ثلاثة أقسام: أحدها: سبب معلوم قطعا قد أجراه الله تعالى: فهذا لا يجوز تركه؛ كالأكل لدفع الجوع، واللباس لدفع البرد. والثانى سبب مظنون: كالتجارة وطلب المعاش، وشبه ذلك، فهذا لا يقدم فعله فى التوكل لأن التوكل من أعمال القلب، لا من أعمال البدن، ويجوز تركه لمن قوى عليه، والثالث: سبب موهوم بعيد، فهذا يقدم فعله فى التوكل، ثم إن فوق التوكل التفويض وهو الاستسلام لأمر الله تعالى بالكلية، فان المتوكل له مراد واختيار، وهو يطلب مراده باعتماده على ربه، وأما المفوض فليس له مراد ولا اختيار، بل أسند المراد والاختيار إلى الله تعالى، فهو أكمل أدبا مع الله تعالى (وما

يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا

كان لنبي أن يغلّ) هو من الغلول وهو أخذ الشيء خفية من المغانم وغيرها ، وقرئ بفتح الياء وضم الغين ، ومعناه تبرئة النبي صلى الله عليه وسلم من الغلول ، وسببها أنه فقدت من المغانم قطيفة حمراء ، فقال بعض المنافقين : لعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذها ، وقرئ بضم الياء وفتح الغين ، أي ليس لأحد أن يغل نبيا : أي يخونه في المغانم ، وخص النبي بالذكر وإن كان ذلك محظورا من الأمر لشنعة الحال مع النبي لأن المعاصي تعظم بحضرته ، وقيل معنى هذه القراءة : أن يوجد غالا كما تقول أحمدت الرجل ، إذا أصبته محمودا ، فعلى هذا القول يرجع معنى هذه القراءة ، إلى معنى فتح الياء (ومن يغلل يأت بما غل) وعيد لمن غل بأن يسوق يوم القيامة على رقبته الشيء الذي غل ، وقد جاء ذلك مفسراً في الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لاألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير لاألفين أحدكم على رقبته فرس لاألفين أحدكم على رقبته رقاع لاألفين أحدكم على رقبته صامت لاألفين أحدكم على رقبته إنسان ، فيقول يارسول الله أغثني فأقول لاأملك لك من الله شيئا قد بلغتك (أفمن اتبع) الآية : فقيل إن الذي اتبع رضوان الله • من لم يغلل ، والذي باء بالسخط من غل ، وقيل الذي اتبع الرضوان : من استشهد بأحد ، والذي باء بالسخط : المنافقون الذين رجعوا عن الغزو (وهم درجات) ذووا درجات ، والمعنى تفاوت بين منازل أهل الرضوان وأهل السخط أو التفاوت بين درجات أهل الرضوان فان بعضهم فوق بعض ، فكذلك درجات أهل السخط (لقد من الله) الآية إخبار بفضل الله على المؤمنين ببعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (من أنفسهم) معناه في الجنس واللسان ، فكونه من جنسهم يوجب الأنس به ، وقلة الاستيحاش منه ، وكونه بلسانهم يوجب حسن الفهم عنه ، ولكونه منهم يعرفون حسبه وصدقه وأمانته صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ويكون ، هو صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أشفق عليهم وأرحم بهم من الأجنبيين (أو لما أصابتكم مصيبة) الآية . عتاب للمسلمين على كلامهم فيمن أصيب منهم يوم أحد ودخلت ألف التوبيخ على واو العطف ، والجملة معطوفة على ماتقدم من قصة أحد أو على محذوف (قد أصبتم مثليها) قتل يوم أحد من المسلمين سبعون ، وكان قد قتل من المشركين يوم بدر سبعون ، وأسر سبعون (قل هو من عند أنفسكم) قيل معناه أنهم عوقبوا بالهزيمة لمخالفتهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حين أراد أن يقيم بالمدينة ولا يخرج إلى المشركين فأبوا إلا الخروج ، وقيل بل ذلك إشارة إلى عصيان الرماة حسبما تقدم (يوم التقى الجمعان) أي جمع المسلمين والمشركين يوم أحد (وقيل لهم تعالوا) الآية : كان رأى

وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ * الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ *

عبدالله بن أبي ابن سلول أن لايخرج المسلمون إلى المشركين ، فلما طلب الخروج قوم من المسلمين ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : غضب عبدالله ، وقال أطاعهم وعصانا ، فرجع ورجع معه ثلاثمائة رجل ، فمشى في أثرهم عبدالله بن عمر بن حزام الأنصاري ، وقال لهم ارجعوا قاتلوا في سبيل الله ، أو ادفعوا ، فقال له عبد الله بن أبيّ ماأرى أن يكون قتال ، لو علمنا أنه يكون قتال لكنا معكم (أو ادفعوا) أي كثروا السواد ، وإن لم تقاتلوا (الذين قالوا) بدل من الذين نافقوا ، أو لإخوانهم في النسب ، لأنهم كانوا من الأوس والخزرج (قل فادرءوا) أي ادفعوا المعنى ردّ عليهم (بل أحياء) إعلام بأن حال الشهداء حال الأحياء من التمتع بأرزاق الجنة بخلاف سائر الأموات من المؤمنين فإنهم لايتمتعون بالأرزاق حتى يدخلوا الجنة يوم القيامة (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم) المعنى أنهم يفرحون بإخوانهم الذين بقوا في الدنيا من بعدهم لأنهم يرجون أن يستشهدوا مثلهم فينالوا مثل ما نالوا من الشهادة (ألا خوف) في موضع المفعول أو بدل من الذين (يستبشرون) كرر ليذكر ما تعلق به من النعمة والفضل (للذين استجابوا) صفة للمؤمنين أو مبتدأ وخبره للذين أحسنوا الآية ، ونزلت في الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اتباع المشركين بعد غزوة أحد ، فبلغ بهم إلى حمراء الأسد وهي على ثمانية أميال من المدينة ، وأقام بها ثلاثة أيام ، وكانوا قد أصابتهم جراحات وشدائد ، فتجلدوا وخرجوا فمدحهم الله بذلك (الذين قال لهم الناس) الآية : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حمراء الأسد بعد أحد : بلغ ذلك أبا سفيان فر عليه ركب من عبدالقيس يريدون المدينة بالميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب على أن يثبطوا المسلمين عن اتباع المشركين فخوفوهم بهم ، فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرجوا ، فالناس الأول ركب عبدالقيس ، والناس الثاني مشركو قريش وقيل نادى أبو سفيان يوم أحد : موعدنا ببدر في القابل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن شاء الله فلما كان العام القابل : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بدر للميعاد ، فأرسل أبو سفيان نعيم بن مسعود الأشجعي ليثبط المسلمين ، فعلى هذا الناس الأول نعيم ، وإنما قيل له الناس وهو واحد : لأنه من جنس الناس : كقولك ركبت الخيل إذا ركبت فرسا (فزادهم) الفاعل ضمير المفعول ، وهو إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، والصحيح أن الإيمان يزيد وينقص ، فمعناه هنا قوة يقينهم وثقتهم بالله (حسبنا

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۞ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ
الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِى الْكُفْرِ
إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ
بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا
نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۞ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ
مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِى مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۞ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ
هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ لَقَدْ

الله ونعم الوكيل) كلمة يدفع بها مايخاف ويكره وهى التى قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار ، ومعنى حسبنا الله : كافينا وحده فلا نخاف غيره ، ومعنى ونعم الوكيل : ثناء على الله وأنه خير من يتوكل العبد عليه ويلجأ إليه (فانقلبوا) أى رجعوا بنعمة السلامة وفضل الأجر (واتبعوا رضوان الله بخروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ذلكم الشيطان) المراد به هنا أبو سفيان ، أونعيم الذى أرسله أبو سفيان أوإبليس ، وذلكم مبتدأ ، والشيطان خبره ومابعده مستأنف ، أوالشيطان نعت ومابعده خبر (يخوف أولياءه) أى يخوفكم أيها المؤمنون أولياءه وهم الكفار ، فالمفعول الأول محذوف ويدل عليه قوله : فلاتخافوهم ، وقرأ ابن مسعود وابن عباس يخوفكم أولياءه ، وقيل المعنى يخوف المنافقين وهم أولياؤه من كفار قريش ، فالمفعول الثانى على هذا محذوف (ولايحزنك) تسلية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وقرئ بفتح الياء وضم الزاى حيث وقع مضارعا من حزن الثانى ، وهو أشهر فى اللغة من أحزن (الذين يسارعون فى الكفر) أى يبادرون إلى أقواله وأفعاله وهم المنافقون والكفار (إن الذين اشتروا) الآية هم المذكورون قبل أوعلى العموم فى جميع الكفار (أنما نملى لهم خير) أى نمهلهم أنمفعول يحسبن ، وماسم أن لحقها أن تكتب منفصلة وخير خبر : إنما نملى لهم ماهنا كافة والمعنى رد عليهم أى أن الإملاءلهم ليس خيرالهم إنما هو استدراج ليكتسبوا الإثم (ماكان الله ليذر المؤمنين) الآية : خطاب للمؤمنين ، والمعنى ما كان الله ليدع المؤمنين مختلطين بالمنافقين ، ولكنه ميز هؤلاء من هؤلاء بما ظهر فى غزوة أحد من الأقوال والأفعال التى تدل على الإيمان أوعلى النفاق (وماكان الله ليطلعكم على الغيب) أى ما كان الله ليطلعكم على مافى القلوب من الإيمان والنفاق أوما كان الله ليطلعكم على أنكم تغلبون أوتغلبون (ولكن الله يجتبى) أى يختار من رسله من يشاء فيطلعهم على ماشاء من غيبه (الذين يبخلون) يمنعون الزكاة وغيرها (هو خيرا) هو فصل وخيرا مفعول ثان ، والأول محذوف تقديره لايحسبن البخل خيرا لهم (سيطوقون) أى يلزمون إثم مابخلوا به ، وقيل يجعل مابخلوا به حية يطوقها فى عنقه يوم القيامة (لقد سمع الله) الآية : لما نزلت : من ذا الذى يقرض الله : قال بعض اليهود وهو

سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۝ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ۝ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ۝ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟

فنحاص، أوحي بن أخطب أوغيرهما إنما يستقرض الفقير من الغنى، فالله فقير ونحن أغنياء، فنزلت هذه الآية، وكان ذلك القول منهم اعتراضا على القرآن أوجبه قلة فهمهم، أوتحريفهم للمعانى، فإن كانوا قالوه باعتقاد فهو كفر، وإن قالوه بغير اعتقاد: فهو استخفاف، وعناد (سنكتب ماقالوا) أى تكتبه الملائكة فى الصحف (وقتلهم الأنبياء) أى قتل آبائهم للأنبياء، وأسند إليهم لأنهم راضون به، ومتبعون لمن فعله من آبائهم (الذين قالوا) صفة للذين، وليس صفة للعبيد (حتى يأتينا بقربان) كانوا إذا أرادوا أن يعرفوا قبول الله لصدقة أوغيرها جعلوه فى مكان، فتنزل نار من السماء فتحرقه، وإن لم تنزل فليس بمقبول، فزعموا أن الله جعل لهم ذلك علامة على صدق الرسل (قل قدجاءكم رسل) الآية: ردعليهم بأن الرسل قدجاءتهم بمعجزات توجب الإيمان بهم، وجاءوهم أيضا بالقربان الذى تأكله النار، ومع ذلك كذبوهم وقتلوهم، فذلك يدل على أن كفرهم عناد، فإنهم كذبوا فى قولهم إن الله عهد إلينا (فإن كذبوك فقد كذب) الآية تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم بالتأسى بغيره (فمن زحزح) أى نحى وأبعد (لتبلون) الآية: خطاب للمسلمين، والبلاء فى الأنفس بالموت والأمراض، وفى الأموال بالمصائب والإنفاق (ولتسمعن) الآية: سببها قول اليهود إن الله فقير، وسبهم للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وللمسلمين (لتبيننه للناس ولاتكتمونه) قال ابن عباس هى لليهود: أخذ عليهم العهد فى أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكتموه، وهى عامة فى كل من علمه الله علما (الذين يفرحون بما أتوا) الآية: قال ابن عباس نزلت فى أهل الكتاب سألهم النبى صلى الله عليه وسلم عن شىء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا إليه بذلك، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه، وقال أبو سعيد الخدرى: نزلت فى المنافقين: كانوا إذا خرج النبى صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، وإذاقدم النبى صلى الله عليه وسلم اعتذروا

فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝
إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَٰتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَٰبِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَٰمًا
وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي
لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ۝ رَبَّنَا وَءَاتِنَا
مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ
عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي
وَقَٰتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ
عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ۝ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَٰدِ ۝ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝
لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ
لِّلْأَبْرَارِ ۝ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ

إليه ، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا (فلا تحسبنهم) بالتاء وفتح الباء : خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وبالياء وضم الباء : أسند الفعل للذين يفرحون : أى لايحسبون أنفسهم بمفازة من العذاب ، ومن قرأ تحسبن بالتاء : فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والذين يفرحون : مفعول به ، وبمفازة المفعول الثانى ، وكرر فلا تحسبنهم : للتأكيد ، ومن قرأ لايحسبن بالياء من أسفل ، فإنه حذف المفعولين ، لدلالة مفعولى لاتحسبنهم عليهما (واختلاف الليل والنهار) ذكر فى البقرة (قياما وقعودا وعلى جنوبهم) أى يذكرون الله على كل حال فكأن هذه الهيآت حصر لحال بنى آدم ، وقيل إن ذلك فى الصلاة : يصلون قياما ، فإن لم يستطيعوا صلوا قعودا ، فإن لم يستطيعوا صلوا على جنوبهم (ربنا) أى يقولون . ربنا ماخلقت هذا لغير فائدة بل خلقته وخلقت البشر ، لينظروا فيه فيعرفونك (سمعنا مناديا) هو النبى صلى الله عليه وسلم (ماوعدتنا على رسلك) أى على ألسنة رسلك (من ذكر وأنثى) من لبيان الجنس ، وقيل زائدة لتقدم النفى (بعضكم من بعض) النساء والرجال سواء فى الأجور والخيرات (وأخرجوا من ديارهم) هم المهاجرون آذاهم المشركون بمكة حتى خرجوا منها (ثوابا) منصوبا على المصدرية (لايغرنك) الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أى لاتظنوا أن حال الكفار فى الدنيا دائمة فتهتموا لذلك ، وأنزل لايغرنك منزلة لايحزنك (متاع قليل) أى تقلبهم فى الدنيا قليل بالنظر إلى مافاتهم فى الآخرة (نزلا) منصوب على الحال من جنات أو على المصدرية (للأبرار) جمع بار وبر ، ومعناه العاملون بالبر ، وهى غاية التقوى والعمل الصالح ، قال بعضهم الأبرار : هم الذين لايؤذون أحداً (وإن من أهل الكتاب) الآية : قيل نزلت فى النجاشى ملك الحبشة ، فإنه كان نصرانيا فأسلم ، وقيل فى عبد الله بن سلام

بِئَايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝

سورة النساء

مدنية وآياتها ١٧٦ نزلت بعد الممتحنة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝

وغيره ممن أسلم من اليهود (لايشترون) مدح لهم ، وفيه تعريض لذم غيرهم ممن اشترى بآيات الله ثمنا قليلا (وصابروا) أى صابروا عدوكم فى القتال (ورابطوا) أقيموا فى الثغور مرابطين خيلكم مستعدين للجهاد ، وقيل هو مرابطة العبد فيما بينه وبين الله ، أى معاهدته على فعل الطاعة وترك المعصية والأول أظهر ، قال صلى الله عليه وآله وسلم رباط يوم فى سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه وأما قوله فى انتظار الصلاة فذلكم الرباط فهو تشبيه بالرباط فى سبيل الله لعظم أجره ، والمرابط عند الفقهاء هو الذى يسكن الثغور فيرابط فيها وهى غير موطنه ، فأما سكانها دائما بأهلهم ومعايشهم فليسوا مرابطين ، ولكنهم حماة ، حكاه ابن عطية .

سورة النساء

(ياأيها الناس اتقوا ربكم) خطاب على العموم وقد تكلمنا على التقوى فى أول البقرة (من نفس واحدة) هو آدم عليه السلام (زوجها) هى حواء خلقت من ضلع آدم (وبث) نشر (تساءلون به) أى يقول بعضكم لبعض أسألك بالله أن تفعل كذا (والأرحام) بالنصب عطفا على اسم الله أى اتقوا الأرحام فلا تقطعوها ، أو على موضع الجار والمجرور ، وهو به ، لأن موضعه نصب وقرئ بالخفض عطف على الضمير فى به ، وهو ضعيف عند البصريين ، لأن الضمير المخفوض لايعطف عليه إلا بإعادة الخافض (إن الله كان عليكم رقيبا) إذا تحقق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد مقام المراقبة ، وهو مقام شريف أصله علم وحال ، ثم يثمر حالين : أما العلم : فهو معرفة العبد ؛ لأن الله مطلع عليه ، ناظر إليه يرى جميع أعماله ، ويسمع جميع أقواله ، ويعلم كل مايخطر على باله ، وأما الحال فهى ملازمة هذا العلم للقلب بحيث يغلب عليه ، ولا يغفل عنه ، ولا يكفى العلم دون هذه الحال ، فإذا حصل العلم والحال : كانت ثمرتها عند أصحاب اليمين : الحياء من الله ، وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصى والجد فى الطاعات ، وكانت ثمرتها عند المقربين : الشهادة التى توجب التعظيم والإجلال لذى الجلال وإلى هاتين الثمرتين أشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، فقوله أن تعبد الله كأنك تراه : إشارة إلى الثمرة الثانية ، وهى المشاهدة الموجبة للتعظيم : كمن يشاهد ملكا عظيما ، فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة ، وقوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك : إشارة إلى الثمرة الأولى ومعناه إن لم تكن من أهل المشاهدة التى هى مقام المقربين ، فاعلم أنه يراك فكن من أهل الحياء الذى هو مقام أصحاب اليمين ، فلما فسر الإحسان

وَءَاتُوا الْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَ ٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَ ٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَ ٰلِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا * وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِى الْيَتَـٰمَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ فَإِنْ

أول مرة بالمقام الأعلى : رأى أن كثيرا من الناس قد يعجزون عنه ، فنزل عنه إلى المقام الآخر ، واعلم أن المراقبة لاتستقيم حتى تتقدم قبلها المشارطة والمرابطة ، وتتأخر عنها المحاسبة والمعاقبة ، فأما المشارطة : فهى اشتراط العبد على نفسه بالتزام الطاعة وترك المعاصى ، وأما المرابطة . فهى معاهدة العبد لربه على ذلك ، ثم بعد المشارطة والمرابطة أول الأمر تكون المراقبة إلى آخره ، وبعد ذلك يحاسب العبد نفسه على ما اشترطه وعاهد عليه ، فإن وجد نفسه قد أوفى بما عهد عليه الله : حمد الله ، وإن وجد نفسه قد حل عقد المشارطة ، ونقص عهد المرابطة . عاقب النفس عقابا يزجرها عن العودة إلى مثل ذلك ، ثم عاد إلى المشارطة والمرابطة وحافظ على المراقبة ، ثم اختبر بالمحاسبة ، فهكذا يكون حتى يلقى الله تعالى (وآتوا اليتامى أموالهم) خطاب للأوصياء وقيل للعرب الذين لايورثون الصغير مع الكبير أمروا أن يورثوهم ، وعلى القول بأن الخطاب للأوصياء ، فالمراد أن يأتوا اليتامى من أموالهم ما يأكلون ويلبسون فى حال صغرهم ، فيكون اليتيم على هذا حقيقة ، وقيل المراد دفع أموالهم إليهم إذا بلغوا فيكون اليتيم على هذا مجاز لأن اليتيم قد كبر (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) كان بعضهم يبدل الشاة السمينة من مال اليتيم بالمهزولة من ماله ، والدرهم الطيب بالزائف ، فنهوا عن ذلك ، وقيل المعنى : لاتأكلوا أموالهم وهو الخبيث ، وتدعوا مالكم وهو الطيب (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) المعنى نهى أن يأكلوا أموال اليتامى مجموعة إلى أموالهم ، وقيل نهى عن خلط أموالهم بأموال اليتامى ، ثم أباح ذلك بقوله وإن تخالطوهم فإخوانكم ، وإنما تعدى الفعل بإلى ؛ لأنه تضمن معنى الجمع والضم وقيل بمعنى مع (حوبا) أى ذنبا (فإن خفتم أن لاتقسطوا فى اليتامى فانكحوا) الآية ، قالت عائشة . نزلت فى أولياء اليتامى الذين يعجبهم جمال أوليائهم فيريدون أن يتزوجوهن ويبخسوهن فى الصداق مكان ولايتهم عليهم ، فقيل لهم أقسطوا فى مهورهن ، فمن خاف أن لا يقسط فليتزوج بما طاب له من الأجنبيات اللاتى يوفهن حقوقهن ، وقال ابن عباس : إن العرب كانت تتحرج فى أموال اليتامى ولا تتحرج فى العدل بين النساء ، فنزلت الآية فى ذلك : أى كما تخافون أن لاتقسطوا فى اليتامى . كذلك خافوا النساء ، وقيل إن الرجل منهم كان يتزوج العشرة أوأكثر ، فاذا ضاق ماله أخذ من مال اليتيم ، فقيل لهم إن خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى فاقتصروا فى النساء على ماطاب : أى ماحل ، وإنما قال ما ، ولم يقل من : لأنه أراد الجنس ، وقال الزمخشرى لأن الإناث من العقلاء يجرى مجرى غير العقلاء ، ومنه قوله وماملكت أيمانكم (مثنى وثلاث ورباع) لا ينصرف للعدل والوصف ، وهى حال من ماطاب ، وقال ابن عطية بدل ، وهى عدله عن أعداد مكررة ، ومعنى التكرار فيها أن الخطاب لجماعة ، فيجوز لكل واحد منهم أن ينكح ما أراد من تلك الأعداد ، فتكررت الأعداد بتكرار الناس ، والمعنى أنكحوا اثنتين أو ثلاث أو أربعا وفى ذلك منع لما كان فى الجاهلية من تزوج مازاد على الاربع ، وقال قوم لايعبأ بقولهم : إنه يجوز الجمع بين تسع لأن مثنى وثلاث ورباع : يجمع فيه تسعة ، وهذا خطأ ، لأن المراد التخيير بين تلك الأعداد لا الجمع ، ولو أراد الجمع لقال تسع ولم يعدل عن ذلك إلى ماهو أطول منه وأقل بيانا ، وأيضا قد انعقد الإجماع

خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا * وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا * وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا * وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا * لِّلرِّجَالِ

على تحريم مازاد على الرابعة (فواحدة) أى إن خفتم أن لاتعدلوا بين الاثنين أو الثلاث أو الأربع: فاقتصروا على واحدة، أو على ماملكت أيمانكم من قليل أو كثير. رغبة فى العدول وانتصاب واحدة بفعل مضمر تقديره فانكحوا واحدة (ذلك أدنى ألا تعولوا) الإشارة إلى الاقتصار على الواحدة، والمعنى أن ذلك أقرب إلى أن لاتعولوا ومعنى تعولوا: تميلوا، وقيل يكثر عيالكم (وآتوا النساء صدقاتهن) خطاب للأزواج، وقيل للأولياء، لأن بعضهم كان يأكل صداق وليته، وقيل نهى عن الشغار (نحلة) أى عطية منكم لهن، أو عطية من الله، وقيل معنى نحلة أى شرعة وديانة، وانتصابه على المصدر من معنى آتوهن أو على الحال من ضمير المخاطبين (فإن طبن لكم) الآية: إباحة للأزواج والأولياء على ماتقدم من الخلاف أن يأخذوا مادفعه النساء من صدقاتهن عن طيب أنفسهن والضمير فى منه يعود على الصداق أو على الإيتاء (هنيئا مريئا) عبارة عن التحليل، ومبالغة فى الإباحة وهما صفتان من قولك هنؤ الطعام ومرؤ: إذا كان سائغا لاتنغيص فيه، وهما وصف للمصدر: أى أكلا هنيئا أو حال من ضمير الفاعل، وقيل يوقف على فكلوه ويبدأ هنيا مريئا على الدعاء (ولا تؤتوا السفهاء) قيل هم أولاد الرجل وامرأته: أى لاتؤتوهم أموالكم للتبذير، وقيل السفهاء المحجورون، وأموالكم. أموال المحجورين، وأضافها إلى المخاطبين لأنهم ناظرون عليها وتحت أيديهم (قياما) جمع قيمة، وقيل بمعنى قياما بألف. أى تقوم بها معايشكم (وارزقوهم فيها واكسوهم) قيل إنها فيمن تلزم الرجل نفقته من زوجته وأولاده، وقيل فى المحجورين يرزقون ويكسون من أموالهم (وقولوا لهم قولا معروفا) أى ادعوا لهم بخير، أو عدوهم وعدا جميلا: أى إن شئتم دفعنا لكم أموالكم (وابتلوا اليتامى) أى اختبروا رشدهم (بلغوا النكاح) بلغوا مبلغ الرجال (فإن آنستم منهم رشدا) الرشد هو المعرفة بمصالحه وتدبير ماله، وإن لم يكن من أهل الدين، واشترط قوم الدين، واعتبر مالك البلوغ والرشد، وحينئذ يدفع المال واعتبر أبو حنيفة البلوغ وحده مالم يظهر سفه، وقوله مخالف للقرآن (وبدارا أن يكبروا) ومعناه مبادرة لكبرهم أى أن الوصى يستغنم أكل مال اليتيم قبل أن يكبر وموضع أن يكبروا نصب على المفعولية ببدارا أو على المفعول من أجله تقديره مخافة أن يكبروا (فليستعفف) أمر الوصى الغنى أن يستعفف عن مال اليتيم ولا يأكل منه شيئا (ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) قال عمر بن الخطاب المعنى أن يستسلف الوصى الفقير من مال اليتيم، فإذا أيسر رده، وقيل المراد أن يكون له أجرة بقدر عمله وخدمته، ومعنى بالمعروف من غير إسراف، وقيل نسختها: إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما (فأشهدوا عليهم) أمر بالتحرز والحزم فهو

نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً

ندب ، وقيل فرض (للرجال نصيب) الآية : سببها أن بعض العرب كانوا لا يورثون النساء فنزلت الآية ليرث الرجال النساء (نصيبا مفروضا) منصوب انتصاب المصدر المؤكد لقوله : فريضة من الله ، وقال الزمخشرى منصوب على التخصيص ، أعنى بمعنى نصيبا (وإذا حضر القسمة) الآية : خطاب للوارثين أمروا أن يتصدقوا من الميراث على قرابتهم ، وعلى اليتامى وعلى المساكين ، فقيل إن ذلك على الوجوب ، وقيل على الندب وهو الصحيح ، وقيل نسخ بآية المواريث (وليخش الذين) الآية : معناها الأمر لأولياء اليتامى أن يحسنوا إليهم فى نظير أموالهم ، فيخافوا الله ، على أيتامهم . كخوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا ، ويقدروا ذلك فى أنفسهم حتى لا يفعلوا خلاف الشفقة والرحمة ، وقيل الذين يجلسون إلى المريض فيأمروه أن يتصدق بماله حتى يجحف بورثته ، فأمروا أن يخشوا على الورثة كما يخشوا على أولادهم ، وحذف مفعول وليخش ، وخافوا جواب لو (قولا سديداً) على القول الأول ملاطفة الوصى لليتيم بالكلام الحسن ، وعلى القول الثانى أن يقول للموروث لا تسرف فى وصيتك وارفق بورثتك (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما قيل نزلت فى الذين لا يورثون الإناث ، وقيل فى الأوصياء ، ولفظها عام فى كل من أكل مال اليتيم بغير حق (إنما يأكلون فى بطونهم نارا) أى أكلهم لمال اليتامى يؤول إلى دخولهم النار ، وقيل يأكلون النار فى جهنم (يوصيكم الله فى أولادكم) هذه الآية نزلت بسبب بنات سعد بن الربيع ، وقيل بسبب جابر بن عبدالله ، إذ عاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه ورفعت ما كان فى الجاهلية من توريث النساء والأطفال ، وقيل نسخت الوصية للوالدين والأقربين وإنما قال يوصيكم بلفظ الفعل الدائم ولم يقل أوصاكم تنبيها على ما مضى ، والشروع فى حكم آخر وإنما قال يوصيكم الله بالاسم الظاهر ، ولم يقل يوصيكم لأنه أراد تعظيم الوصية ، فجاء بالاسم الذى هو أعظم الأسماء وإنما قال فى أولادكم ولم يقل فى أبنائكم ، لأن الابن يقع على الابن من الرضاعة ، وعلى ابن البنت ، وعلى ابن المتبنى وليسوا من الورثة (للذكر مثل حظ الأنثيين) هذا بيان للوصية المذكورة ، فإن قيل : هلا قال للأنثيين مثل حظ الذكر ، أو للأنثى نصف حظ الذكر ؟ فالجواب : أنه بدأ بالذكر لفضله ، ولأن القصد ذكر حظه ولو قال للأنثيين مثل حظ الذكر ، لكان فيه تفضيل للإناث (فإن كن نساء) إنما أنث ضمير الجماعة فى كن ، لأنه قصد الإناث ، وأصله أن يعود على الأولاد ، لأنه يشمل الذكور والإناث ، وقيل يعود على المتروكات ، وأجاز الزمخشرى أن تكون كان تامة والضمير مبهم ونساء تفسير (فوق اثنتين) ظاهره أكثر من اثنتين ، ولذلك أجمع على أن للثلاث فما فوقهن الثلثان ، وأما البنتان فاختلف فيهما ، فقال ابن عباس لهما النصف كالبنت

فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن

الواحدة وقال الجمهور الثلثان، وتأولوا فوق اثنتين أن المراد اثنتان فما فوقهما، وقال قوم إن فوق زائدة كقوله فاضربوا فوق الأعناق وهذا ضعيف وقال قوم إنما وجب لهما الثلثان بالسنة لا بالقرآن وقيل بالقياس على الأختين (وإن كانت واحدة) بالرفع فاعل، وكان تامة، وبالنصب خبر كان، وقوله تعالى فلهما النصف نص على أن للبنت النصف إذا انفردت، ودليل على أن للابن جميع المال إذا انفرد لأن للذكر مثل حظ الأنثيين (إن كان له ولد) الولد يقع على الذكر والأنثى والواحد والاثنين والجماعة سواء كان للصلب، أو ولد ابن، وكلهم يرد الأبوين إلى السدس (وورثه أبواه فلأمه الثلث) لم يجعل الله للأم الثلث إلا بشرطين، أحدهما، عدم الولد، والآخر إحاطة الأبوين بالميراث، ولذلك دخلت الواو لعطف أحد الشرطين على الآخر، وسكت عن حظ الأب استغناء بمفهومه، لأنه لا يبقى بعد الثلث إلا الثلثان ولا وارث إلا الأبوان، فاقتضى ذلك أن الأب يأخذ بقية المال وهو الثلثان (فإن كان له إخوة فلأمه السدس) أجمع العلماء على أن ثلاثة من الإخوة يردون الأم إلى السدس، واختلفوا في الاثنين فذهب الجمهور أنهما يردانها إلى السدس، ومذهب ابن عباس أنهما لا يردانها إليه، بل هما كالأخ الواحد وحجته أن لفظ الإخوة لا يقع على الاثنين لأنه جمع لا تثنية وأقل الجمع ثلاثة وقال غيره إن لفظ الجمع قد يقع على الاثنين. كقوله وكنا لحكمهم شاهدين، وتسوروا المحراب، وأطراف النهار، واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم: الاثنان فما فوقهما جماعة، وقال مالك: مضت السنة أن الإخوة اثنان فصاعدا، ومذهبه أن أقل الجمع اثنان، فعلى هذا يحجب الأبوان من الثلث إلى السدس، سواء كانا شقيقين أو لأب أو لأم أو مختلفين، وسواء كانا ذكرين أو أنثيين أو ذكر أو أنثى، فإن كان معهما أب: ورث بقية المال، ولم يكن للإخوة شيء عند الجمهور، فهم يحجبون الأم، ولا يرثون، وقال قوم يأخذون السدس الذي حجبوه عن الأم، وإن لم يكن أب ورثوا (من بعد وصية يوصى بها أو دين) قوله من بعد يتعلق بالاستقرار المضمر في قوله: فلهن ثلثا ما ترك: أي استقر لهن الثلثان من بعد وصية، ويمتنع أن يتعلق بترك، وفاعل يوصي الميت، وإنما قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة: اهتماما بها، وتأكيدا للأمر بها، ولئلا يتهاون بها وأخر الدين: لأن صاحبه يتقاضاه، فلا يحتاج إلى تأكيد في الأمر بإخراجه وتخرج الوصية من الثلث، والدين من رأس المال بعد الكفن؛ وإنما ذكر الوصية والدين نكرتين: ليدل على أنهما قد يكونان وقد لا يكونان فدل ذلك على وجوب الوصية (أقرب لكم نفعا) قيل بالإنفاق إذا احتيج إليه، وقيل بالشفاعة في الآخرة، ويحتمل أن يريد نفعا بالميراث من ماله، وهو أليق بسياق الكلام (ولكم نصف ما ترك أزواجكم) الآية خطاب للرجال وأجمع العلماء على ما تضمنته هذه الآية من ميراث الزوج والزوجة، وأن ميراث الزوجة تنفرد به إن كانت واحدة، ويقسم بينهن إن كن أكثر من واحدة، ولا ينقص عن ميراث الزوج والزوجة وسائر السهام، إلا ما نقصه العول على مذهب جمهور العلماء، خلافا لابن عباس،

لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ۞ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۞ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ

فإنه لايقول بالعول فإن قيل : لم كرر قوله : من بعد وصية ، مع ميراث الزوج وميراث الزوجة ، ولم يذكره قبل ذلك إلا مرة واحدة فى ميراث الأولاد والأبوين ، فالجواب أن الموروث فى ميراث الزوج هو الزوجة ، والموروث فى ميراث الزوجة هو الزوج ، وكل واحدة قضية على انفرادها ، فلذلك ذكر ذلك مع كل واحدة بخلاف الأولى ، فإن الموروث فيها واحد ، ذكر حكم مايرث منه أولاده وأبواه ، وهى قضية واحدة ، فلذلك قال فيها من بعد وصية مرة واحدة (وإن كان رجل يورث كلالة) الكلالة هى انقطاع عمود النسب وهو خلو الميت عن ولد ووالد ، ويحتمل أن تطلق هنا على الميت الموروث ، أو على الورثة ، أو على القرابة ، أو على المال : بأن كانت على الميت ، فإعرابها خبر كان ، ويورث فى موضع الصفة أو يورث خبر كان ، وكلالة : حال من الضمير فى يورث ، أوتكون كان تامة ، ويورث فى موضع الصفة ، وكلالة حال من الضمير ، وإن كانت للورثة فهى مصدر فى موضع الحال وإن كانت للقرابة فهى مفعول من أجله ، وإن كانت للمال فهى مفعول ليورث ، وكل وجه من هذه الوجوه على أن تكون كان تامة ، ويورث فى موضع الصفة ، وأن تكون ناقصة ويورث خبرها (وله أخ أو أخت) المراد هنا الأخ للأم والأخت للأم بإجماع وقرأ سعد بن أبى وقاص : وله أخ أو أخت لأمه ، وذلك تفسير للمعنى (فكل واحد منهما السدس) إذا كان الأخ للأم واحد فله السدس ، وكذلك إذا كانت الأخت للأم واحدة (فهم شركاء فى الثلث) إذا كان الإخوة للأم اثنين فصاعدا : فلهما الثلث بالسواء بين الذكر والأنثى ، لأن قوله شركاء . يقتضى التسوية بينهم ، ولاخلاف فى ذلك (غير مضار) منصوب على الحال والعامل فيه يوصى ومضار اسم فاعل ، قال ابن عباس الضرار فى الوصية من الكبائر ، ووجوه المضار كثيرة : منها الوصية لوارث ، والوصية بأكثر من الثلث أو بالثلث فرارا عن وارث محتاج ، فان علم أنه قصد بوصيته الإضرار رد مازاد على الثلث اتفاقا ، واختلف هل يرد الثلث على قولين فى المذهب ، والمشهور أنه ينفذ (وصية من الله) مصدر مؤكد لقوله يوصيكم الله ويجوز أن ينتصب بغير مصدر (تلك حدود الله) إشارة إلى ماتقدم من المواريث وغيرها (ومن يعص الله ورسوله) الآية : تعلق بها المعتزلة فى قولهم إن العصاة من المؤمنين يخلدون فى النار ، وتأولها الأشعرية على أنها فى الكفار (يأتين الفاحشة) هى هنا الزنا (من نسائكم) أو من المسلمات ؛ لأن المسلمة تحد حد الزنا ،

الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا * وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا * إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ

وأما الكافر أوالكافرة فاختلف هل يحد أو يعاقب (فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) قيل إنما جعل شهداء الزنا أربعة تغليظا على المدعى وستراً على العباد ، وقيل ليكون شاهدان على كل واحد من الزانيين (فأمسكوهن فى البيوت) كانت عقوبة الزنا الإمساك فى البيوت ، ثم نسخ ذلك بالأذى المذكور بعد هذا ، وهو السب والتوبيخ ، وقيل الإمساك للنساء والأذى للرجال فلا نسخ بينهما ورجحه ابن عطية بقوله فى الإمساك من نسائكم ، وفى الأذى منكم ، ثم نسخ الإمساك والأذى بالرجم للمحصن وبالجلد لغير المحصن ، واستقر الأمر على ذلك ، وأما الجلد فمذكور فى سورة النور ، وأما الرجم فقد كان فى القرآن ثم نسخ لفظه وبقى حكمه ، وقد رجم صلى الله عليه وسلم ماعز الأسلمى وغيره (فأعرضوا عنهما) لما أمر بالأذى للزانى أمر بالإعراض عنه إذا تاب ، وهو ترك الأذى (إنما التوبة على الله) أى إنما يقبل الله توبة من كان على هذه الصفة ، وإذا تاب العبد توبة صحيحة بشروطها فيقطع بقبول الله لتوبته عند جمهور العلماء ، وقال أبو المعالى يغلب ذلك على الظن ولا يقطع به (يعملون السوء بجهالة) أى بسفاهة وقلة تحصيل أداة إلى المعصية ، وليس المعنى أنه يجهل أن ذلك الفعل يكون معصية ، قال أبو العالية . أجمع الصحابة على أن كل معصية فهى بجهالة ، سواء كانت عمداً أو جهلا (ثم يتوبون من قريب) قيل قبل المرض والموت . وقيل قبل السياق ، ومعاينة الملائكة ، وفى هذا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر (وليست التوبة) الآية : فى الذين يصرون على الذنوب إلى حين لاتقبل التوبة ، وهو معاينة الموت فان كانوا كفارا فهم مخلدون فى النار بإجماع ، وإن كانوا مسلمين فهم فى مشيئة الله إن شاء عذبهم ، وإن شاء غفر لهم . فقوله أعتدنا لهم عذابا أليما : ثابت فى حق الكفار ومنسوخ فى حق العصاة من المسلمين ، بقوله : إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء . فعذابهم مقيد بالمشيئة (لايحل لكم أن ترثوا النساء) قال ابن عباس : كانوا فى الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاؤا تزوجها أحدهم ، وإن شاؤا زوجوها من غيرهم ، وإن شاؤا منعوها التزوج ، فنزلت الآية فى ذلك ، فمعنى الآية على هذا : لايحل لكم أن تجعلوا النساء يورثن عن الرجال ، كما يورث المال ، وقيل الخطاب للأزواج الذين يمسكون المرأة فى العصمة ليرثوا مالها من غير غبطة بها ، وقيل الخطاب للأولياء الذين يمنعون ولياتهم من التزوج ليرثوهن دون الزوج (ولا تعضلوهن) معطوف على أن ترثوا ، أو نهى والعضل المنع ، قال ابن عباس : هى أيضا فى أولياء الزوج الذين يمنعون زوجته من التزوج بعدموته ، إلا أن قوله ما آتيتموهن على هذا معناه

مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۞ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۞ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۞ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ النِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ۞ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ

ما آتاها الرجل الذى مات ، وقال ابن عباس : هى فى الأزواج الذين يمسكون المرأة ويسيئون عشرتها حتى تفتدى بصداقها ، وهو ظاهر اللفظ فى قوله ما آتيتموهن ، ويقويه قوله : وعاشروهن بالمعروف ، فإن الأظهر فيه أن يكون فى الأزواج ، وقد يكون فى غيرهم ، وقيل هى للأولياء (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) قيل الفاحشة هنا الزنا ، وقيل نشوز المرأة وبغضها فى زوجها ، فإذا نشزت جاز له أن يأخذ ما آتاها من صداق أو غير ذلك من مالها وهذا جائز على مذهب مالك فى الخلع ، إذا كان الضرر من المرأة ، والزنا أصعب على الزوج من النشوز ، فيجوز له أخذ الفدية (فإن كرهتموهن) الآية : معناها إن كرهتم النساء لوجه فاصبروا عليه ، فعسى أن يجعل الله الخير فى وجه آخر ، وقيل الخير الكثير الولد ، والأحسن العموم ، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يترك مؤمن مؤمنة ، إن سخط منها خلقا رضى آخر (وإن أردتم استبدال زوج) الآية : معناها المنع من أن يأخذ الرجل من المرأة فدية على الطلاق إن أراد أن يبدلها بأخرى وعلى هذا جرى مذهب مالك وغيره فى المنع من الفدية إذا كان الضرر وأرادت الفراق من الزوج ، فقال قوم إنّ هذه الآية منسوخة بقوله فى البقرة فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، وقال قوم هى ناسخة ، والصحيح أنها غير ناسخة ولا منسوخة ، فإنّ جواز الفدية على وجه ومنعها على وجه ، فلا تعارض ولا نسخ (قنطارا) مثال على جهة المبالغة فى الكثرة ، وقد استدلت به المرأة على جواز المغالاة فى المهور حين نهى عمر بن الخطاب عن ذلك فقال عمر رضى الله عنه امرأة أصابت ، ورجل أخطأ ، كل الناس أفقه منك يا عمر (أفضى بعضكم إلى بعض) كناية عن الجماع (ميثاقا غليظا) قيل عقدة النكاح ، وقيل قوله فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، وقيل الأمر بحسن العشرة (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) كان بعض العرب يتزوج امرأة أبيه بعده فنزلت الآية تحريما لذلك ، فكل امرأة تزوجها رجل حرمت على أولاده ما سفلوا ، سواء دخل بها أو لم يدخل ، فالنكاح فى الآية بمعنى العقد ، وما نكح : يعنى النساء ، وإنما أطلق عليهن ما ، وإن كنّ ممن يعقل ؛ لأنّ المراد الجنس فإذ زنى رجل بامرأة فاختلف هل يحرم تزوجها على أولاده أم لا : فحرمه أبو حنيفة ، وأجازه الشافعى ، وفى المذهب قولان : واحتج من حرمه بهذه الآية وحمل النكاح فيها على الوطء وقال من أجازه إنّ الآية لا تتناوله إذ النكاح فيها بمعنى العقد (إلا ما قد سلف) أى إلا ما فعلتم فى الجاهلية من ذلك ، وانقطع بالإسلام فقد عفى عنه فلا تؤاخذون به ، ويدل على هذا قوله : إن الله كان غفوراً رحيما بعد قوله إلا ما قد سلف فى المرأة الأخرى فى الجمع بين الأختين قال ابن عباس كانت العرب تحرم كل ما حرمته الشريعة إلا امرأة الأب ، والجمع بين الأختين ، وقيل المعنى : إلا ما قد سلف فانكحوه إن أمكنكم ، وذلك غير ممكن ؛ فالمعنى المبالغة فى التحريم (إنه كان فاحشة ومقتا) كان فى هذه الآية تقتضى الدوام كقوله : إن الله كان غفوراً رحيما ، وشبه ذلك وقال

أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ الَّـٰتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ الَّـٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ الَّـٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ

المبرد هي زائدة وذلك خطأ لوجود خبرها منصوبا ، وزاد هـذا المقت على ماوصف من الزنا في قوله تعالى إنه كا فاحشـة ومقتا وساء سبيلا : دلالة على أن هـذا أقبح من الزنا (حرمت عليكم) الآية . معناها تحريم ماذكر من النساء ، والنساء المحرمات على التأبيد ثلاثة أصـناف ؛ بالنسب ، وبالرضاع ، وبالمصاهرة . فأما النسب فيحرم به سبعة أصناف ، وهي المذكورة في هذه الآية ، وضابطها أنه يحرم على الرجل فصوله ماسفلت ، وأصوله ماعلت ، وفصول أبويه ماسفلت وأول فصل من كل أصل متقدم على أبويه (أمهاتكم) يدخل فيه الوالدة والجدة من قبل الأم والأب ماعلون (وبناتكم) يدخل فيه البنت وبنت الابن وبنت البنت ماسفلن (وأخواتكم) يدخل فيه الأخت الشـقيقة ؛ أو لأب أو لأم (وعمـاتكم) يدخل فيـه أخت الوالد ، وأخت الجد ماعلا ، سواء كانت شقيقة أو لأب أو لأم (وخالاتكم) يدخل فيه أخت الأم وأخت الجد ماعلت سواء كانت شقيقة أو لأب أو لأم (وبنات الأخ) يدخل فيه كل من تناسل من الأخ الشقيق أو لأب أو لأم (وبنات الأخت) يدخل فيه كل ماتناسل من الأخت الشقيقة أو لأب أو لأم (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) ذكر تعالى صنفين من الرضاعة وهم الأم والأخت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يحرم من الرضاع مايحرم من النسب ، فاقتضى ذلك تحريم الأصناف السبعة التي تحرم من النسب وهي الأم والبنت والأخت والعمة والخالة وبنت الأخ وبنت الأخت وتفصيل ذلك يطول ، وفي الرضاع مسائل لم نذكرها لأنها ليس لها تعلق بألفاظ الآية (وأمهات نسائكم) المحرمات بالمصاهرة أربع : وهن زوجة الأب ، وزجة الابن ، وأم الزوجة ، وبنت الزوجة ، فأما الثلاث الأول فتحرم بالعقد دخل بها أم لم يدخل بها ، وأما بنت الزوجة فلا تحرم إلا بعد الدخول بأمها ، فإن وطئها حرمت عليه بنتها بالإجماع ، وإن تلذذ بها بمـادون الوطء حرمها مالك والجمهور وإن عقد عليها ولم يدخل بها : لم تحرم بنتها إجماعا ، وتحرم هذه الأربع بالرضاع كما تحرم بالنسب (وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم) الربيبة هي بنت امرأة الرجل من غيره : سميت بذلك لأنه يربيها فلفظها فعيلة بمعنى مفعولة ، وقوله اللاتي في حجوركم على غالب الأمر إذ الأكثر أن تكون الربيبة في حجر زوج أمها ، وهي محرمة سواء كانت في حجره أم لا ، هذا عند الجمهور من العلماء ، إلا ماروى عن على بن أبي طالب رضى الله عنه أنه أجاز نكاحها إن لم تكن في حجره (اللاتي دخلتم بهن) اشترط الدخول في تحريم بنت الزوجة ، ولم يشترط في غيرها ، وعلى ذلك جمهور العلماء إلا ماروى عن على بن أبي طالب أنه اشترط الدخول في تحريم الجميع ، وقد انعقد الإجماع بعد ذلك (وحلائل أبنائكم) الحلائل جمع حليلة وهي الزوجة (الذين من أصلابكم) تخصيص ليخرج عنه زوجة الابن يتبناه الرجل ، وهو أجنبي عنه كتزويج رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم زينب بنت جحش امرأة زيد بن حارثة الكلبي الذي كان يقال له زيد ابن محمد صلى الله تعالى عليه آله وسلم (وأن تجمعوا بين الأختين) يقتضي تحريم الجمع بين الأختين سواء كانتا شقيقتين أو لأب أو لأم وذلك

إِلَّا مَاقَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً * وَالْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ النِّسَـآءِ إِلَّا مَامَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ كِتَـٰبَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّاوَرَآءَ ذَالِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَاجُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً * وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَـٰتِ الْمُؤْمِنَـٰتِ فَمِن مَّامَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ الْمُؤْمِنَـٰتِ وَاللَّهُ

في الزوجتين ، وأما الجمع بين الأختين المملوكتين في الوطء فمنعه مالك والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم ، ورأوا أنه داخل في عموم لفظ الأختين ، وأجازه الظاهرية لأنهم قصروا الآية على الجمع بالنكاح ، وأما الجمع بين الأختين في الملك دون وطء فجائز باتفاق (إلا ما قد سلف) المعنى إلا مافعلتم من ذلك في الجاهلية وانقطع بالاسلام فقد عفي عنكم فلا تؤاخذون به ، وهذا أرجح الأقوال حسبما تقدم في الموضع الأول (والمحصنات من النساء) المراد هنا ذوات الأزواج وهو معطوف على المحرمات المذكورة قبله ، والمعنى أنه لايحل نكاح المرأة إذا كانت في عصمة الرجل (إلاماملكت أيمانكم) يريد السبايا في أشهر الأقوال ، والاستثناء متصل ، والمعنى أن المرأة الكافرة إذا كان لها زوج ، ثم سبيت : جاز لمن ملكها من المسلمين أن يطأها ، وسبب ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث جيشا إلى أوطاس فأصابوا سبايا من العدو لهن أزواج من المشركين فتأثم المسلمون من غشيانهن ، فنزلت الآية مبيحة لذلك ، ومذهب مالك أن السبي يهدم النكاح سواء سبي الزوجان الكافران معا أوسبي أحدهما قبل الآخر ، وقال ابن المواز : لايهدم السبي النكاح (كتاب الله عليكم) منصوب على المصدرية : أي كتب الله عليكم كتابا وهو تحريم ماحرم ؛ وهو عند الكوفيين منصوب على الاغراء (وأحل لكم ماوراء ذلكم) معناه أحل لكم تزويج من سوى ماحرم من النساء ، وعطف أحل على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله ، والفاعل هو الله أي كتب الله عليكم تحريم من ذكر ، وأحل لكم ماوراء ذلكم (أن تبتغوا) مفعول من أجله ، أو بدل مما وراء ذلكم ، وحذف مفعوله وهو النساء (محصنين) هنا العفة ، ونصبه على الحال من الفاعل في تبتغوا (غير مسافحين) أي غير زناة ، والسفاح هو الزنا (فما استمتعتم بهمنهن فآتوهن أجورهن فريضة) قال ابن عباس وغيره . معناها إذا استمتعتم بالزوجة ووقع الوطء فقد وجب إعطاء الأجر وهو الصداق كاملا وقيل إنها في نكاح المتعة وهو النكاح إلى أجل من غير ميراث ، وكان جائزاً في أول الإسلام فنزلت هذه الآية في وجوب الصداق فيه ، ثم حرم عند جمهور العلماء ، فالآية على هذا منسوخة بالخبر الثابت في تحريم نكاح المتعة ، وقيل نسختها آية الفرائض لأن نكاح المتعة لاميراث فيه ، وقيل نسختها «والذين هم لفروجهم حافظون » وروي عن ابن عباس جواز نكاح المتعة ، وروي أنه رجع عنه (ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به) من قال إن الآية المتقدمة في مهور النساء فمعنى هذه جواز مايتراضون به من حط النساء من الصداق أو تأخيره بعد استقرار الفريضة ومن قال إن الآية في نكاح المتعة . فمعنى هذا جواز مايتراضون به من زيادة في مدة المتعة وزيادة في الأجر (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ماملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) معناها إباحة تزويج الفتيات وهن الإماء للرجل إذا لم يجد طولا للمحصنات ، والطول هنا هو السعة في المال والمحصنات هنا يراد بهن الحرائر غير المملوكات ومذهب مالك وأكثر أصحابه أنه لايجوز

أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَـٰتٍ غَيْرَ مُسَـٰفِحَـٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

للحر نكاح أمة إلا بشرطين : أحدهما عدم الطول ؛ وهو ألا يجد مايتزوج به حرة ، والآخر خوف العنت وهو الزنا لقوله بعد هذا : ذلك لمن خشي العنت منكم ، وأجاز ابن القاسم نكاحهن دون الشرطين على القول بأن دليل الخطاب لايعتبر ، واتفقوا على اشتراط الإسلام فى الأمة التى تتزوج لقوله تعالى « من فتياتكم المؤمنات» إلا أهل العراق فلم يشترطوه ، وإعراب طولا: مفعولا بالاستطاعة وأن ينكح بدل منه وهو فى موضع نصب بتقدير لأن ينكح ؛ ويحتمل أن يكون طولا منصوبا على المصدر والعامل فيه الاستطاعة لأنها بمعنى يتقارب ، وأن ينكح على هذا مفعول بالاستطاعة أو بالمصدر (والله أعلم بإيمانكم) معناه أنه يعلم بواطن الأمور ولكم ظواهرها ، فإذا كانت الأمة ظاهرة الإيمان ، فنكاحها صحيح ، وعلم باطنها إلى الله (بعضكم من بعض) أى إماؤكم منكم ، وهذا تأنيس بنكاح الإماء ، لأن بعض العرب كان يأنف من ذلك (فانكحوهن بإذن أهلهن) أى بإذن ساداتهن المالكين لهن (وآتوهن أجورهن) أى صدقاتهن ، وهذا يقتضى أنهن أحق بصدقاتهن من ساداتهن ، وهو مذهب مالك (بالمعروف) أى بالشرع على ماتقتضيه السنة (محصنات غير مسافحات) أى عفيفات غير زانيات ، وهو منصوب على الحال والعامل فيه فانكحوهن (ولا متخذات أخدان) جمع خدن وهو الخليل ، وكان من نساء الجاهلية من تتخذ خدنا تزنى معه خاصة ، ومنهن من كانت لاترد يد لامس (فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ماعلى المحصنات من العذاب) معنى ذلك أن الأمة إذا زنت بعد أن أحصنت فعليها نصف حد الحرة ، فإن الحرة تجلد فى الزنا مائة جلدة ، والأمة تجلد خمسين ، فإذا أحصن يريد به هنا تزوجن ، والفاحشة هنا الزنا ، والمحصنات هنا الحرائر ، والعذاب هنا الحد فاقتضت الآية حد الأمة إذا زنت بعد أن تزوجت ويؤخذ حد غير المتزوجة من السنة وهو مثل حد المتزوجة وهذا على قراءة أحصن بضم الهمزة وكسر الصاد ، وقرئ بفتحهما ، ومعناه أسلمن ، وقيل تزوجن (ذلك لمن خشى العنت منكم) الإشارة إلى تزوج الأمة أى إنما يجوز لمن خشى على نفسه الزنا ، لا لمن يملك نفسه (وأن تصبروا خير لكم) المراد الصبر عن نكاح الإماء ، وهذا يندب إلى تركه ، وعلته مايؤدى إليه من استرقاق الولد (يريد الله ليبين لكم) قال الزمخشرى أصله يريد الله أن يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين كما زيدت فى لا أبالك لتأكيد إضافة الأب ، وقال الكوفيون اللام مصدرية مثل أن (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) أى يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين لتقتدوا بهم (والله يريد أن يتوب عليكم) كرر توطئة لفساد إرادة الذين يتبعون الشهوات ، وهم هنا الزناة عند مجاهد ، وقيل المجوس لنكاحهم ذات المحارم ، وقيل عام فى كل

لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا * وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ

متبع شهوة وهو أرجح (يريد الله أن يخفف عنكم) يقتضى سياق الكلام التخفيف الذى وقع فى إباحة نكاح الإماء وهو مع ذلك عام فى كل ماخفف الله عن عباده ، وجعل دينه يسرا (وخلق الإنسان ضعيفا) قيل معناه لايصبر على النساء ، وذلك مقتضى سياق الكلام ، واللفظ أعم من ذلك (لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) يدخل فيه القمار والغصب والسرقة وغير ذلك (إلا أن تكون تجارة) استثناء منقطع والمعنى لكن إن كانت تجارة فكلوها ، وفى إباحة التجارة دليل على أنه يجوز للإنسان أن يشترى بدرهم سلعة تساوى مائة ، والمشهور إمضاء البيع ، وحكى عن ابن وهب أنه يرد إذاكان الغبن أكثر من الثلث وموضع أن نصب ، وتجارة بالرفع فاعل تكون وهى تامة ، وقرئ بالنصب خبر تكون وهى ناقصة (عن تراض منكم) أى اتفاق وبهذا استدل المالكية على تمام البيع بالعقد دون التفرق وقال الشافعى : إنما يتم بالتفرق بالأبدان ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : المتبايعان بالخيار مالم يتفرقا (ولا تقتلوا أنفسكم) قال ابن عطية ، أجمع المفسرون أنّ المعنى : لا يقتل بعضكم بعضا ، قلت ولفظها يتناول قتل الإنسان لنفسه ، وقد حملها عمرو بن العاص على ذلك ، ولم ينكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ سمعه (ومن يفعل ذلك) إشارة إلى القتل ، لأنه أقرب مذكور ، وقيل إليه وإلى أكل المال بالباطل ، وقيل إلى كل ماتقدم من المنهيات من أول السورة (إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه) اختلف الناس فى الكبائر ماهى ، فقال ابن عباس : الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب ، وقال ابن مسعود الكبائر هى الذنوب المذكورة من أول هذه السورة إلى أول هذه الآية ، وقال بعض العلماء : كل ماعصى الله به ، فهو كبيرة ، وعدها بعضهم سبعة عشر ، وفى البخارى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم : اتقوا السبع الموبقات : الإشراك بالله والسحر ، وقتل النفس ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات ، فلا شك أنّ هذه من الكبائر للنص عليها فى الحديث ، وزاد بعضهم عليها أشياء ، وورد فى الأحاديث النص على أنها كبائر ، وورد فى القرآن أو فى الحديث وعيد عليها ، فمنها عقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، واليمين الغموس والزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر ، والنهبة ، والقنوط من رحمة الله ، والأمن مكر الله ، ومنع ابن السبيل الماء والإلحاد فى البيت الحرام ، والنميمة ، وترك التحرز من البول والغلول واستطالة المرء فى عرض أخيه ، والجور فى الحكم (نكفر عنكم سيئاتكم) وعد بغفران الذنوب الصغائر إذا اجتنبت الكبائر (مدخلا كريما) اسم مكان وهو هنا الجنة (ولا تتمنوا) الآية : سببها أن النساء قلن ليتنا استوينا مع الرجال فى الميراث وشاركناهم فى الغزو ، فنزلت نهيا عن ذلك لأن فى تمنيهم رد على حكم الشريعة ، فيدخل فى النهى تمنى مخالفة الأحكام الشرعية كلها (للرجال نصيب مما اكتسبوا) الآية : أى من الأجر والحسنات ، وقيل من الميراث ،

ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا * وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا * ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ وَٱلَّـٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا * وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ

ويرده لفظ الاكتساب (ولكل جعلنا موالى) الآية : فى معناه وجهان : أحدهما لكل شىء من الأموال جعلنا موالى يرثونه ، فما ترك على هذا بيان لكل ، والآخر لكل أحد جعلنا موالى يرثون مما ترك الوالدان والأقربون ، فما ترك على هذا : يتعلق بفعل مضمر ، والموالى هنا الورثة والعصبة (والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) اختلف هل هى منسوخة أو محكمة فالذين قالوا إنها منسوخة قالوا معناها الميراث بالحلف الذى كان فى الجاهلية ، وقيل بالمؤاخاة التى آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بين أصحابه ، ثم نسخها . وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض ، فصار الميراث للأقارب والذين قالوا إنها محكمة : اختلفوا ، فقال ابن عباس هى فى المؤازرة والنصرة بالحلف لا فى الميراث به ، وقال أبو حنيفة : هى فى الميراث ، وأن الرجلين إذا والى أحدهما الآخر ، على أن يتوارثا صح ذلك ، وإن لم تكن بينهما قرابة (الرجال قوامون على النساء) قوام بناء مبالغة من القيام على الشىء والاستبداد بالنظر فيه ، قال ابن عباس : الرجال أمراء على النساء (بما فضل الله) الباء للتعليل ، وما مصدرية ، والتفضيل بالإمامة والجهاد ، وملك الطلاق وكمال العقل وغير ذلك (وبما أنفقوا) هو الصداق والنفقة المستمرة (فالصالحات قانتات) أى النساء الصالحات فى دينهن مطيعات لأزواجهن أو مطيعة لله فى حق أزواجهن (حافظات للغيب) أى تحفظ كلما غاب عن علم زوجها فيدخل فى ذلك صيانة نفسها وحفظ ماله وبيته وحفظ أسراره (بما حفظ الله) أى بحفظ الله ورعايته ، أو بأمره للنساء أن يطعن الزوج ويحفظنه ، فما مصدرية أو بمعنى الذى (واللاتى تخافون نشوزهن) قيل الخوف هنا اليقين (فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن) هذه أنواع من تأديب المرأة إذا نشزت على زوجها وهى على مراتب : بالوعظ فى النشوز الخفيف والهجران فيما هو أشد منه ، والضرب فيما هو أشد ومتى انتهت عن النشوز بوجه من التأديب : لم يتعد إلى ما بعده والهجران هنا هو ترك مضاجعتها ، وقيل ترك الجماع إذا ضاجعها ، والضرب غير مبرح (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) أى إذا أطاعت المرأة زوجها فليس له أن يؤذيها بهجران ولا ضرب (وإن خفتم شقاق بينهما) الشقاق الشر والعداوة وكان الأصل إن خفتم شقاق بينهما ، ثم أضيف الظرف إلى الشقاق على طريق الاتساع لقوله تعالى « بل مكر الليل والنهار» وأصله مكر بالليل والنهار (فابعثوا حكما) الآية . ذكر تعالى الحكم فى نشوز المرأة ، والحكم فى طاعتها ، ثم ذكر هنا حالة أخرى ، وهى ما إذا ساء ما بين الزوجين ولم يقدر على الإصلاح بينهما ، ولا علم من الظالم منهما . فيبعث حكمان مسلمان لينظر فى أمرهما ، وينفذ ما ظهر لهما من تطليق وخلع

كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۞ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۞ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ۞ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ۞ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ۞ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا

من غير إذن الزوج ، وقال أبو حنيفة ليس لهما الفراق إلا إن جعل لهما ، وإن اختلفا لم يلزم شيء إلا باتفاقهما ومشهور مذهب مالك أن الحاكم هو الذى يبعث الحكمين ، وقيل يبعثهما الزوجان ، وجرت عادة القضاة أن يبعثوا امرأة أمينة ، ولا يبعثوا حكمين ، قال بعض العلماء هذا تغيير لحكم القرآن والسنة الجارية (من أهله وحكما من أهلها) يجوز فى المذهب أن يكون الحكمان من غير أهل الزوجين ، والأكمل أن يكونا من أهلهما كما ذكر الله (إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما) الضمير فى يريدا للحكمين ، وفى بينهما للزوجين على الأظهر ، وقيل الضميران للزوجين ، وقيل للحكمين (والجار ذى القربى والجار الجنب) قال ابن عباس الجار ذى القربى هو القريب النسب والجار الجنب هو الأجنبى ، وقيل ذى القربى القريب المسكن منك ، والجنب البعيد المسكن عنك ، وحد الجوار عند بعضهم أربعون ذراعا من كل ناحية (الصاحب بالجنب) قال ابن عباس الرفيق فى السعى ، وقال على بن أبى طالب الزوجة (مختالا) اسم فاعل وزنه مفتعل من الخيلاء وهو الكبر وإعجاب المرء بنفسه (فخورا) شديد الفخر (الذين يبخلون) بدل من قوله مختالا أو نصب على الذم أو رفع بخبر ابتداء مضمر أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره يعذبون ، والآية فى اليهود : نزلت فى قوم منهم كحيى بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت كانوا يقولون للأنصار لا تنفقوا أموالكم فى الجهاد والصدقات وهى مع ذلك عامة من فعل هذه الأفعال من المسلمين (والذين ينفقون) عطف على الذين يبخلون ، وقيل على الكافرين ، والآية فى المنافقين الذين كانوا ينفقون فى الزكاة والجهاد رياء ومصانعة ، وقيل فى اليهود ، وقيل فى مشركى مكة الذين أنفقوا أموالهم فى حرب المسلمين (قرينا) أى ملازما له يغويه (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر) الآية : استدعاء لهم كملاطفة أو توبيخ على ترك الإيمان والإنفاق ، كأنه يقول أى مضرة عليهم فى ذلك (مثقال ذرة) أى وزنها ، وهى النملة الصغيرة ، وذلك تمثيل بالقليل تنبيها على الكثير (وإن تك حسنة) بالرفع فاعل وتك تامة ، وبالنصب خبر على أنها ناقصة واسمها مضمر فيها (يضاعفها) أى يكثرها واحد البر بعشر إلى سبعمائة أو أكثر (ويؤت من لدنه) أى من عنده تفضلا وزيادة على ثواب العمل (فكيف إذا جئنا) تقديره كيف يكون الحال إذا جئنا (بشهيد) هو نبيهم يشهد عليهم بأعمالهم (وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) أى تشهد على قومك ، ولما قرأ ابن مسعود هذه الآية على رسول الله

ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ

صلى الله عليه وآله وسلم ذرفت عيناه (لو تسوى بهم الارض) أى يتمنون أن يدفنوا فيها، ثم تسوى بهم كما تسوى بالموتى وقيل يتمنون أن يكونوا سواء مع الأرض كقوله «ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا» وذلك لما يرون من أهوال يوم القيامة (ولا يكتمون الله حديثا) استئناف إخبار أنهم لا يكتمون يوم القيامة عن الله شيئا فإن قيل كيف هذا مع قولهم «والله ربنا ما كنا مشركين»؟، فالجواب من وجهين (أحدهما) أن الكتم لا ينفعهم لأنهم إذا كتموا تنطق جوارحهم فكأنهم لم يكتموا، والآخر أنهم طوائف مختلفة، ولهم أوقات مختلفة، وقيل إن قوله: ولا يكتمون عطف على تسوى أى يتمنون أن لا يكتموا لأنهم إذا كتموا افتضحوا (ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) سببها أن جماعة من الصحابة شربوا الخمر قبل تحريمها، ثم قاموا إلى الصلاة وأمهم أحدهم فخلط فى القراءة فمعناها النهى عن الصلاة فى حال السكر قال بعض الناس: هى منسوخة بتحريم الخمر، وذلك لا يلزم لأنها ليس فيها ما يقتضى إباحة الخمر وإنما هى نهى عن الصلاة فى حال السكر وذلك الحكم الثابت فى حين إباحة الخمر وفى حين تحريمها، وقال بعضهم معناها: لا يكن منكم سكر يمنع قرب الصلاة، إذ المرء مأمور بالصلاة فكأنها تقتضى النهى عن السكر وعن سببه وهو الشرب، وهذا بعيد من مقتضى اللفظ (حتى تعلموا ما تقولون) حتى تعود إليكم عقولكم فتعلمون ما تقرؤن ويظهر من هذا أن السكران لا يعلم ما يقول فأخذ بعض الناس من ذلك أن السكران لا يلزم طلاقه ولا إقراره (ولا جنبا إلا عابرى سبيل) عطف ولا جنبا على موضع وأنتم سكارى إذ هو فى موضع الحال والجنب هنا غير الطاهر بإنزال أو إيلاج وهو واقع على جماعة بدليل استثناء الجمع منه واختلف فى عابرى سبيل فقيل إنه المسافر، ومعنى الآية على هذا: نهى أن يقرب الصلاة وهو جنب إلا فى السفر فيصلى بالتيمم دون اغتسال، فمقتضى الآية. إباحة التيمم للجنب فى السفر، ويؤخذ إباحة التيمم للجنب فى الحضر من الحديث، وقيل عابر السبيل المار فى المسجد، والصلاة هنا يراد بها المسجد، لأنه موضع الصلاة فمعنى الآية على هذا النهى أن يقرب المسجد الجنب إلا خاطرا عليه وعلى هذا أخذ الشافعى بأنه يجوز للجنب أن يمر فى المسجد، ولا يجوز له أن يقعد فيه، ومنع مالك المرور والقعود، وأجازهما داود (وإن كنتم مرضى أو على سفر) الآية سببها عدم الصحابة الماء فى غزوة المريسيع فأبيح لهم التيمم لعدم الماء ثم إن عدم الماء على ثلاثة أوجه: أحدها عدمه فى السفر، والثانى عدمه فى المرض، فيجوز التيمم فى هذين الوجهين بإجماع، لأن الآية نص فى المرض والسفر إذا عدم الماء فيهما، لقوله: وإن كنتم مرضى أو على سفر، ثم قال فلم تجدوا ماء. الوجه الثالث: عدم الماء فى الحضر دون مرض، فاختلف الفقهاء فيه، فذهب أبو حنيفة أنه لا يجوز فيه التيمم، لأن ظاهر الآية أن عدم الماء إنما يعتبر مع المرض أو السفر، ومذهب مالك والشافعى أنه يجوز فيه التيمم فإن قلنا إن الآية لا تقتضيه فيؤخذ جوازه من السنة وإن قلنا إن الآية تقتضيه، فيؤخذ جوازه منها، وهذا هو الأرجح إن شاء الله، وذلك أنه ذكر فى أول الآية المرض والسفر، ثم ذكر الإحداث دون مرض ولا سفر ثم قال بعد ذلك كله: فلم تجدوا ماء فيرجع قوله فلم تجدوا ماء إلى المرض وإلى السفر وإلى من أحدث فى غير مرض ولا سفر، فيجوز التيمم على هذا لمن عدم الماء فى غير مرض ولا سفر، فيكون فى الآية حجة لمالك والشافعى، ويجوز التيمم أيضا فى مذهب مالك للمريض إذا وجد الماء ولم يقدر على استعماله لضرر بدنه، فان قلنا إن الآية لا تقتضيه، فيؤخذ جوازه من السنة وإن قلنا إن السنة تقتضيه، فيؤخذ جوازه منها

أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ النِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا • أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَـٰبِ يَشْتَرُونَ الضَّلَـٰلَةَ

على أن يتناول قوله إن كنتم مرضى أن معناه مرضى لاتقدرون على مس الماء، وحد المرض الذى يجوز فيه التيمم عند مالك، هو أن يخاف الموت أو زيادة المرض أو تأخر البرء، وعند الشافعى خوف الموت لاغير، وحد السفر الغيبة عن الحضر كان مما تقصر فيه الصلاة أم لا (أوجاء أحد منكم) فى أوهنا تأويلان: أحدهما أن تكون للتفصيل والتنويع على بابها، والآخر أنها بمعنى الواو، فعلى القول بأنها على بابها يكون قوله فلم تجدوا ماء راجعا إلى المريض والمسافر، وإلى من جاء من الغائط، وإلى من لامس، سواء كانا مريضين أو مسافرين، أم حسبما ذكرنا قبل هذا، فيقتضى ذلك جواز التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء، وهو مذهب مالك والشافعى، فيكون فى الآية حجة لهما، وعلى القول بأنها بمعنى الواو يكون قوله «فلم تجدوا ماء» راجعا إلى المريض والمسافر، فيقتضى ذلك أنه لايجوز التيمم إلافى المرض والسفر مع عدم الماء، وأنه لايجوز للحاضر الصحيح إذا عدم الماء، ولكن يؤخذ جواز التيمم له من موضع آخر، والراجح أن تكون أو على بابها لوجهين؛ أحدهما أن جعلها بمعنى الواو إخراج لها عن أصلها وذلك ضعيف، والآخر إن كانت على بابها: كان فيها فائدة إباحة التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء على ماظهر لنا فيها، وإذا كانت بمعنى الواو لم تعط هذه الفائدة، وحجة من جعلها بمعنى الواو أنه لوجعلها على بابها لاقتضى المعنى أن المرض والسفر حدث يوجب الوضوء كالغائط لعطفه عليها، وهذا لايلزم، لأن العطف بأوهنا للتنويع والتفصيل ومعنى الآية كأنه قال: يجوز لكم التيمم إذا لم تجدوا ماء إن كنتم مرضى أوعلى سفر وأحدثتم فى غير مرض ولاسفر (الغائط) أصله المكان المنخفض، وهوهنا كناية عن الحدث الخارج من المخرجين، وهو العذرة، والريح، والبول، لأن من ذهب إلى الغائط يكون منه هذه الأحداث الثلاث، وقيل إنما هو كناية عن العذرة وأما البول والريح، فيؤخذ وجوب الوضوء لهما من السنة، وكذلك الودى والمذى (أولامستم النساء) اختلف فى المراد بالملامسة هنا على ثلاثة أقوال: أحدها أنها الجماع ومادونه من التقبيل واللمس باليد وغيرها، وهو قول مالك، فعلى هذا ينتقض الوضوء باللمس الذى هو دون الجماع على تفصيل فى المذهب، ويجب معه التيمم إذا عدم الماء، ويكون الجنب من أهل التيمم، والقول الثانى أنها مادون الجماع، فعلى هذا ينتقض الوضوء باللمس، ولايجوز التيمم للجنب وقد قال بذلك عمر بن الخطاب ويؤخذ جوازه من الحديث والثالث أنها الجماع فعلى هذا يجوز التيمم للجنب ولايكون مادون الجماع ناقضا للوضوء وهو مذهب أبى حنيفة (فلم تجدوا ماء) هذا يفيد وجوب طلب الماء وهو مذهب مالك خلافا لأبى حنيفة فإن وجده بثمن فاختلف هل يجوز له التيمم أم لا وإن وهب له فاختلف هل يلزم قبوله أم لا (فتيمموا) التيمم فى اللغة القصد وفى الفقه الطهارة بالتراب وهو منقول من المعنى اللغوى (صعيدا طيبا) الصعيد عند مالك هو وجه الأرض كان ترابا أو رملا أو حجارة فأجاز التيمم بذلك كله وهو عند الشافعى التراب لاغير والطيب هنا الطاهر واختلف فى التيمم بالمعادن كالذهب وبالملح وبالتراب المنقول كالمجعول فى طبق، وبالآجر، وبالجص المطبوخ، وبالجدار، وبالنبات الذى على وجه الأرض، وذلك كله على الاختلاف فى معنى الصعيد (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) لايكون التيمم إلافى هذين العضوين، ويقدم الوجه على اليدين لظاهر

وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا * مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا * إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ * وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ

الآية ، وذلك على الندب عندمالك ، ويستوعب الوجه بالمسح ، وأما اليدان فاختلف هل يمسحهما إلى الكوعين أو إلى المرفقين ، ولفظ الآية محتمل ، لأنه لم يحد ، وقد احتج من قال إلى المرفقين بأن هذا مطلق ، فيحمل على المقيد ، وهو تحديدها فى الوضوء بالمرفقين (الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) هم اليهود هنا وفى الموضع الثانى قال السهيلى : فالموضع الأول نزل فى رفاعة بن زيد بن التابوت ، وفى الثانى نزل فى كعب بن الأشرف (يشترون الضلالة) عبارة عن إيثارهم الكفر على الإيمان فالشراء مجاز كقوله «اشتروا الضلالة بالهدى» وفى تكرار قوله كفى بالله مبالغة (من الذين هادوا) من راجعة إلى الذين أوتوا نصيبا ، أو إلى أعدائكم ، فهى بيان ، وقال الفارسى : هى ابتداء كلام تقديره . من الذين هادوا قوم وقيل هى متعلقة بنصيرا على قول الفارسى (يحرفون الكلم) يحتمل تحريف اللفظ أو المعنى ، وقيل الكلم هنا التوارة ، وقيل كلام النبى صلى الله عليه وسلم (غير مسمع) معناه لاسمعت (راعنا) ذكر فى البقرة (سمعنا وأطعنا) عوض من قولهم سمعنا وعصينا ، واسمع عوض من قولهم اسمع غير مسمع ، وانظرنا عوض من قولهم راعنا ، وهو النظر أو الانتظار ، فهذه الأشياء الثلاثة فى مقابلة الأشياء الثلاثة التى ذمهم على قولها لما فيها من سوء الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبر أنهم لو قالوا هذه الثلاثة الأخر عوضا عن تلك : لكان خيرا لهم ، فإن هذه ليس فيها سوء أدب (مصدقا) ذكر فى البقرة (أن نطمس وجوها) قال ابن عباس طمسها : أن تزال العيون منها ، وترد فى القفا ، فيكون ذلك ردا على الدبر ، وقيل طمسها محو تخطيط صورها من أنف أو عين أو حاجب حتى تصير كالأدبار فى خلوها عن الحواس (أو نلعنهم) أى نمسخهم كما مسخ أصحاب السبت ، وقد ذكر فى البقرة ، أو يكون من اللعن المعروف ، والضمير يعود على الوجوه ، والمراد أصحابها ، أو على الذين أوتوا الكتاب على الالتفات (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) هذه الآية هى الحاكمة فى مسئلة الوعيد وهى المبينة لما تعارض فيها من الآيات ، وهى الحجة لأهل السنة ، والقاطعة بالخوارج والمعتزلة والمرجئة ، وذلك أن مذهب أهل السنة أن العصاة من المؤمنين فى مشيئة الله ، إن شاء عذبهم ، وإن شاء غفر لهم ، وحجتهم هذه الآية ، فإنها نص فى هذا المعنى ، ومذهب الخوارج أن العصاة يعذبون ولا بد سواء كانت ذنوبهم صغائر أو كبائر ومذهب المعتزلة أنهم يعذبون على الكبائر ولا بد ، ويرد على الطائفتين قوله «ويغفر ما دون ذلك» ، ومذهب المرجئة أن العصاة كلهم يغفر لهم ولا بد وأنه لا يضر ذنب مع الإيمان ، ويرد عليهم قوله : لمن يشاء ، فإنه

أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا * أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا * أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ

تخصيص لبعض العصاة ، وقد تأولت المعتزلة الآية على مذهبهم ، فقالوا لمن يشاء ، وهو التائب لاخلاف أنه لايعذب ، وهذا التأويل بعيد ، لأن قوله « إن الله لايغفر أن يشرك به » فى غير التائب من الشرك وكذلك قوله ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فى غير التائب من العصيان ليكون أول الآية وآخرها على نسق واحد ، وتأولتها المرجئة على مذهبهم ، فقالوا لمن يشاء : معناه لمن يشاء أن يؤمن ، وهذا أيضا بعيد ، لا يقتضيه اللفظ وقد ورد فى القرآن آيات كثيرة فى الوعيد فحملها المعتزلة على العصاة وحملها المرجئة على الكفار ، وحملها أهل السنة على الكفار ، وعلى من لايغفر الله له من العصاة ، كما حملوا آية الوعد على المؤمنين الذين لم يذنبوا وعلى المذنبين التائبين ، وعلى من يغفر الله له من العصاة غير التائبين ، فعلى مذهب أهل السنة لا يبق تعارض بين آية الوعد وآية الوعيد ، بل يجمع بين معانيها ، بخلاف قول غيرهم فإن الآيات فيه تعارض ، وتخليص المذاهب أن الكافر إذا تاب من كفره : غفر له بإجماع ، وإن مات على كفره : لم يغفر له ، وخلد فى النار بإجماع ، وأن العاصى من المؤمنين إن تاب غفر له ، وإن مات دون توبة فهو الذى اختلف الناس فيه (الذين يزكون أنفسهم) هم اليهود لعنهم الله ، وتزكيتهم قولهم : نحن أبناء الله وأحباؤه ، وقيل مدحهم لأنفسهم (فتيلا) الفتيل هو الخيط الذى فى شق نواة التمرة ، وقيل مايخرج بين أصبعيك وكفيك إذا فتلتهما ، وهو تمثيل وعبارة عن أقل الأشياء فيدل على الأكثر بطريق الأولى (يفترون) دليل على أن تزكيتهم لأنفسهم بالباطل (يؤمنون بالجبت والطاغوت) قال ابن عباس : الجبت هو حيي بن أخطب ، والطاغوت كعب بن الأشرف ، وقال عمر بن الخطاب : الجبت السحر ، والطاغوت الشيطان ، وقيل الجبت الكاهن ، والطاغوت الساحر ، وبالجملة هما كل ماعبد وأطيع من دون الله (ويقولون للذين كفروا) الآية : سببها أن حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف أو غيرهما من اليهود ، قالوا لكفار قريش أنتم أهدى سبيلا من محمد وأصحابه (أم لهم نصيب من الملك) الهمزة للاستفهام مع الإنكار (نقيرا) النقير هى النقرة فى ظهر النواة وهو تمثيل ، وعبارة عن أقل الأشياء ، والمراد وصف اليهود بالبخل لو كان لهم نصيب من الملك ، وأنهم حينئذ يبخلون بالنقير الذى هو أقل الأشياء ويبخلون بما هو أكثر منه من باب أولى (ام يحسدون الناس) وصفهم بالحسد مع البخل ، والناس هنا يراد بهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمته ، والفضل النبوة ، وقيل النصر والعزة ، وقيل الناس العرب والفضل كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم (فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة) المراد بآل إبرهيم ذريته من بنى إسرائيل وغيرهم ممن آتاه الله الكتب التى أنزلها والحكمة

وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ

التى عليها ، والمقصود بالآية الرد على اليهود فى حسدهم لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومعناها إلزام لهم بما عرفوه من فضل الله تعالى على آل إبراهيم فلأى شىء تخصون محمداً صلى الله عليه وسلم بالحسد دون غيره ممن أنعم الله عليهم (ملكا عظيما) الملك فى آل إبراهيم هو ملك يوسف وداود وسليمان (فمنهم من آمن به) الآية : قيل المراد من اليهود من آمن بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم أو بالقرآن المذكور فى قوله تعالى : مصدقا لما معكم ، أو بما ذكر من حديث إبراهيم ، فهذه ثلاثة أوجه فى ضمير به ، وقيل منهم أى من آل إبراهيم من آمن بإبراهيم ، ومنهم من كفر : كقوله تعالى : فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون (كلما نضجت جلودهم) الآية قيل تبدل لهم جلود بعد جلود أخرى إذ نفوسهم هى المعذبة وقيل تبديل الجلود تغيير صفاتها بالنار ، وقيل الجلود السرابيل وهو بعيد (أزواج مطهرة) ذكر فى البقرة (ظلا ظليلا) صفة من لفظ الظل للتأكيد: أى دائما لا تنسخه الشمس وقيل نفى الحر والبرد (إن الله يأمركم) الآية : قيل هى خطاب الولاة وقيل للنبى صلى الله عليه وسلم حين أخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة ولفظها عام ، وكذلك حكمها (وأولوا الأمر) هم الولاة ، وقيل العلماء نزلت فى عبد الله بن حذافة بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى سرية (فردوه إلى الله والرسول) الرد إلى الله هو النظر فى كتابه ، والرد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هو سؤاله فى حياته والنظر فى سنته بعد وفاته (إن كنتم) يحتمل أن يكون هذا الشرط راجعا إلى قوله فردوه أو إلى قوله أطيعوا ، والأول أظهر لأنه أقرب إليه (وأحسن تأويلا) أى مآلا وعاقبة وقيل أحسن نظرا منكم (الذين يزعمون) الآية : نزلت فى المنافقين ، وقيل فى منافق ويهودى كان بينهما خصومة فتحاكما إلى كعب بن الأشرف اليهودى وقيل إلى كاهن (رأيت المنافقين) وضع الظاهر موضع المضمر ليذمهم بالنفاق . ودل ذلك على أن الآية المتقدمة نزلت فى المنافقين (فكيف إذا أصابتهم مصيبة) الآية . أى كيف يكون حالهم إذا عاقبهم الله بذنوبهم (ثم جاءوك

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا * أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا * وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا * فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا * وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا * وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا * ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا جَمِيعًا *

يحلفون بالله) يحتمل أن يكون هذا معطوفا على ماقبله أو يكون معطوفا على قوله يصدون ، ويكون قوله فكيف إذا أصابتهم اعتراضا (فأعرض عنهم) أى عن معاقبتهم ، وليس المراد بالإعراض القطيعة لقوله وعظهم (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) الآية : وعد بالمغفرة لمن استغفر ، وفيه استدعاء للاستغفار والتوبة ومعنى جاؤك أتوك تائبين معتذرين من ذنوبهم يطلبون أن تستغفر لهم الله (فلا وربك) لاهنا مؤكدة للنفى الذى بعدها (شجر بينهم) أى اختلطوا واختلفوا فيه ، ومعنى الآية أنهم لا يؤمنون حتى يرضوا بحكم النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ونزلت بسبب المنافقين الذين تخاصموا ، وقيل بسبب خصام الزبير مع رجل من الأنصار فى الماء وحكمها عام (ولو أنا كتبنا عليهم) الآية : معناها لو فرض عليهم مافرض على من كان قبلهم من المشقات لم يفعلوها لقلة انقيادهم إلا القليل منهم الذين هم مؤمنون حقا ، وقد روى أن من هؤلاء القليل أبو بكر وعمر وابن مسعود وعمار بن ياسر وثابت بن قيس (إلا قليل) بالرفع بدل من المضمر وقرأ ابن عامر وحده بالنصب على أصل الاستثناء أو على إلا فعلا قليلا (ما يوعظون به) من اتباع النبى صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته والانقياد له (وأشد تثبيتا) أى تخفيفا لإيمانهم (وإذا لآتيناهم) جواب لسؤال مقدر عن حالهم لو فعلوا ذلك (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) ثواب على الطاعة أى هم معهم فى الجنة ، وهذه الآية مفسرة لقوله تعالى «صراط الذين أنعمت عليهم» ، والصديق فعيل من الصدق ، ومن التصديق ، والمراد به المبالغة ، والصديقون أرفع الناس درجة بعد الأنبياء ، والشهداء المقتولون فى سبيل الله ومن جرى مجراهم من سائر الشهداء كالغريق وصاحب الهدم حسبما ورد فى الحديث أنهم سبعة (وحسن أولئك رفيقا) الإشارة إلى الأصناف الأربعة المذكورة والرفيق يقع على الواحد والجماعة كالخليط ، وهو مفرد بين به الجنس ، ومعنى الكلام إخبار واستدعاء للطاعة التى ينال بها مرافقة هؤلاء (ذلك الفضل) الإشارة إلى الثواب على الطاعة بمرافقة من ذكر فى الجنة ، والفضل صفة أو خبر (خذوا حذركم) أى تحرزوا من عدوكم واستعدوا له (فانفروا ثبات) أى اخرجوا للجهاد جماعات متفرقين

وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا * وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ
فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا * فَلْيُقَاتِلْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ
أَجْرًا عَظِيمًا * وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا *
الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَٰنِ
إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ
فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا
الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا *
أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن

وذلك كناية عن السرايا ، وقيل إنّ الثبتة مافوق العشرة ، ووزنها فعلة بفتح العين ولامها محذوفة (أو انفروا جميعا) أى مجتمعين فى الجيش الكثيف نخيرهم فى الخروج إلى الغزو فى قلة أو كثرة (وإن منكم لمن ليبطئن) الخطاب للمؤمنين ، والمراد بمن المنافقين وعبر عنهم بمنكم إذ هم يزعمون أنهم من المؤمنين ، ويقولون آمنا ، واللام فى لمن للتأكيد ، وفى ليبطئن جواب قسم محذوف ، ومعناه يبطئ غيره يثبطه عن الجهاد ويحمله على التخلف عن الغزو ، وقيل يبطئ يتخلف هو عن الغزو ويتثاقل (فإن أصابتكم مصيبة) أى قتل وهزيمة والمعنى أن المنافق تسره غيبته عن المؤمنين إذا هزموا وشهيدا معناه حاضرا معهم (ولئن أصابكم فضل من الله) أى نصر وغنيمة ، والمعنى أنّ المنافق يندم على ترك الغزو معهم إذا غنموا فيتمنى أن يكون معهم (كأن لم تكن بينكم وبينه مودّة) جملة اعتراض بين العامل ومعموله فلايجوز الوقف عليها وهذه المودّة فى ظاهر المنافق لا فى اعتقاده (الذين يشرون) أى يبيعون (فيقتل أو يغلب) ذكر الحالتين للمقاتل ووعد بالأجر على كل واحدة منهما (وما لكم لا تقاتلون) تحريض على القتال ، وما مبتدأ والجار والمجرور خبر ولا تقاتلون فى موضع الحال ، والمستضعفين هم الذين حبسهم مشركوا قريش بمكة ليفتنوهم عن الإسلام ، وهو عطف على اسم الله أو مفعول معه (القرية الظالم أهلها) هى مكة حين كانت للمشركين (يقاتلون فى سبيل الله) وما بعده إخبار قصد به تقوية قلوب المسلمين وتحريضهم على القتال (الذين قيل لهم كفوا أيديكم) الآية : قيل هى فى قوم من الصحابة كانوا قد أمروا بالكف عن القتال قبل أن يفرض الجهاد ، فتمنوا أن يؤمروا به ، فلما أمروا به كرهوه ، لا شكا فى دينهم ، ولكن خوفا من الموت ، وقيل هى فى المنافقين وهو أليق فى سياق الكلام (متاع الدنيا قليل) وما بعده [illegible] لما تضمن الرد عليهم فى كراهتهم للموت (فى بروج مشيدة)

تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا * مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا * مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا * وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا * أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا * وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُولِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ

أى فى حصون منيعة ، وقيل المشيدة المطولة وقيل المبنية بالشيد وهو الجص (إن تصبهم حسنة) الحسنة هنا النصر والغنيمة وشبه ذلك من المحبوبات ، والسيئة الهزيمة والجوع وشبه ذلك ، والضمير فى تصبهم وفى يقول للذين قيل لهم كفوا أيديكم ، وهذا يدل على أنها فى المنافقين ، لأن المؤمنين لا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم إن السيئات من عنده (قل كلّ من عند الله) رد على من نسب السيئة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإعلام أن السيئة والحسنة والخير والشر من عند الله أى بقضائه وقدره (فما لهؤلاء القوم) توبيخ لهم على قلة فهمهم (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) خطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به كل مخاطب على الإطلاق فدخل فيه غيره من الناس ، وفيه تأويلان : أحدهما نسبة الحسنة إلى الله والسيئة إلى العبد تأدباً مع الله فى الكلام ، وإن كان كل شىء منه فى الحقيقة ، وذلك كقوله عليه الصلاة والسلام ، والخير كله بيديك والشر ليس إليك وأيضا فنسبة السيئة إلى العبد لأنها بسبب ذنوبه ، لقوله : وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ، فهى من العبد بتسبيه فيها ، ومن الله بالخلقة والاختراع ، والثانى : أن هذا من كلام القوم المذكورين قبل ، والتقدير يقولون كذا ، فمعناها كمعنى التى قبلها (من يطع الرسول فقد أطاع الله) هذه الآية من فضائل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وإنما كانت طاعته كطاعة الله لأنه يأمر وينهى عن الله (ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا) أى من أعرض عن طاعتك ، فما أنت عليه بحفيظ تحفظ أعماله ، بل حسابه وجزاؤه على الله ، وفى هذا متاركة وموادعة منسوخة بالقتال (ويقولون طاعة) أى أمرنا وشأننا طاعة لك ، وهى فى المنافقين بإجماع (بيت طائفة منهم غير الذى تقول) بيت أى تدبر الأمر بالليل ، والضمير فى تقول للمخاطب ، وهو النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أو للطائفة (فأعرض عنهم) أى لا تعاقبهم (أفلا يتدبرون القرآن) حض على التفكر فى معانيه لتظهر أدلته وبراهينه (اختلافا كثيرا) أى تناقضا كما فى كلام البشر أو تفاوتا فى الفصاحة لكن القرآن منزه عن ذلك ، فدل على أنه كلام الله ، وإن عرضت لأحد شبهة وظن اختلافا فى شىء من القرآن ، فالواجب أن يتهم نظره ويسأل أهل العلم ويطالع تآليفهم ، حتى يعلم أن ذلك ليس باختلاف (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) قيل هم المنافقون وقيل قوم من ضعفاء المسلمين كانوا إذا بلغهم خبر عن السرايا والجيوش أو غير ذلك أذاعوا به أى تكلموا به

عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا * فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا * مَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا * وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا * اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ

وشهروه قبل أن يعلموا صحته ، وكان فى إذاعتهم له مفسدة على المسلمين مع مافى ذلك من العجلة وقلة التثبت ، فأنكر الله ذلك عليهم (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) أى لو ترك هؤلاء القوم الكلام بذلك الأمر الذى بلغهم وردوه إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وإلى أولى الأمر ، وهم كبراء الصحابة وأهل البصائر منهم ، لعلمه القوم الذين يستنبطونه أى يستخرجونه من الرسول وأولى الأمر فالذين يستنبطونه على هذا طائفة من المسلمين يسألون عنه الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأولى الأمر وحرف الجر فى قوله يستنبطونه منهم لابتداء الغاية وهو يتعلق بالفعل والضمير المجرور يعود على الرسول وأولى الأمر ، وقيل الذين يستنبطونه هم أولوا الأمر ، كما جاء فى الحديث عن عمر رضى الله عنه أنه سمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق نساءه ، فدخل عليه ، فقال : أطلقت نساءك ؟ فقال لا ، فقام على باب المسجد ، فقال إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يطلق نساءه ، فأنزل الله هذه القصة ، قال وأنا الذى استنبطته ، فعلى هذا يستنبطونه هم أولو الأمر ، والضمير المجرور يعود عليهم ، ومنهم لبيان الجنس ، واستنباطه على هذا هو سؤالهم عنه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو بالنظر والبحث ، واستنباطه على التأويل الأول وهو سؤال الذين أذاعوه للرسول عليه الصلاة والسلام ولأولى الأمر (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) أى هداه وتوفيقه ، أو بعثه للرسل ، وإنزاله للكتب ، والخطاب فى هذه الآية للمؤمنين (إلا قليلا) أى إلا اتباعا قليلا فالاستثناء من المصدر ، والمعنى لولا فضل الله ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا فى أمور قليلة كنتم لا تتبعونه فيها ، وقيل إنه استثناء من الفاعل فى اتبعتم أى إلا قليلا منكم وهو الذى يقتضيه اللفظ وهم الذين كانوا قبل الإسلام غير متبعين للشيطان كورقة بن نوفل ، والفضل والرحمة على بعث الرسول وإنزال الكتاب ، وقيل إن الاستثناء من قوله أذاعوا به (لا تكلف إلا نفسك) لما تثاقل بعض الناس عن القتال قيل هذا للنبى صلى الله عليه وسلم أى إن أفردوك فقاتل وحدك فإنما عليك ذلك (وحرض المؤمنين) أى ليس عليك فى شأن المؤمنين إلا التحريض (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) قيل عسى من الله واجبة ، والذين كفروا هنا قريش وقد كفهم الله بهزيمتهم فى بدر وغيرها وبفتح مكة (وأشد تنكيلا) أى عقابا وعذابا (شفاعة حسنة) هى الشفاعة فى مسلم لتفرج عنه كربة ، أو تدفع مظلمة أو يجلب إليه خيرا والشفاعة السيئة بخلاف ذلك وقيل الشفاعة الحسنة هى الطاعة والشفاعة السيئة هى المعصية ، والأول أظهر ، والكفل هو النصيب (مقيتا) قيل قديرا ، وقيل حفيظا ، وقيل الذى يقيت الحيوان أى يرزقهم القوت (فحيوا بأحسن منها أو ردوها) معنى ذلك الأمر برد السلام والتخيير بين أن يرد بمثل ماسلم عليه أو بأحسن منه والأحسن أفضل مثل أن يقال له

لَارَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا * فَمَا لَكُمْ فِى الْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ
أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا * وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَآءً
فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا
تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ
صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ
وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا * سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا

سلام عليك فيرد السلام ويزيد الرحمة والبركة ، ورد السلام واجب على الكفاية عند مالك والشافعى ، وقال بعض الناس هو فرض عين ، واختلف فى الرد على الكفار ، فقيل يرد عليهم لعموم الآية ، وقيل لا يرد عليهم ، وقيل يقال لهم عليكم ، حسبما جاء فى الحديث ، وهو مذهب مالك ولا يبتدؤن بالسلام (ليجمعنكم) جواب قسم محذوف ، وتضمن معنى الحشر ولذلك تعدى بإلى (ومن أصدق) لفظه استفهام ، ومعناه لا أحد أصدق من الله (فما لكم فى المنافقين فئتين) ما استفهامية بمعنى التوبيخ ، والخطاب للمسلمين ، ومعنى فئتين : أى طائفتين مختلفين ، وهو منصوب على الحال ، والمراد بالمنافقين هنا ما قال ابن عباس أنها نزلت فى قوم كانوا بمكة مع المشركين فزعموا أنهم آمنوا ولم يهاجروا ، ثم سافر قوم منهم إلى الشام بتجارات ، فاختلف المسلمون هل يقاتلونهم ليغنموا تجارتهم لأنهم لم يهاجروا ؟ أو هل يتركونهم لأنهم مؤمنين وقال زيد بن ثابت نزلت فى المنافقين الذين رجعوا عن القتال يوم أحد فاختلف الصحابة فى أمرهم ، ويرد هذا قوله : حتى يهاجروا (أركسهم) أى أضلهم ، وأهلكهم (ودوا لو تكفرون) الضمير للمنافقين أى تمنوا أن تكفروا (فخذوهم) يريد به الأسر (إلا الذين يصلون) الآية : استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعناها أن من وصل من الكفار غير المعاهدين إلى الكفار المعاهدين وهم الذين بينهم وبين المسلمين عهد ومهادنة فحكمه كحكمهم فى المسالمة وترك قتاله وكان ذلك فى أول الإسلام ثم نسخ بالقتال فى أول سورة براءة ، قال السهيلى وغيره : الذين يصلون هم بنو مدلج بن كنانة إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق بنو خزاعة فدخل بنو مدلج فى صلح خزاعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمعنى يصلون إلى قوم : ينتهون إليهم ، ويدخلون فيما دخلوا فيه من المهادنة وقيل معنى يصلون أى ينتسبون وهذا ضعيف جدا بدليل قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش ، وهم أقاربه وأقارب المؤمنين فكيف لا يقاتل أقارب الكفار المعاهدين أو جاؤكم حصرت صدورهم عطف على يصلون أو على صفة قوم وهى : بينكم وبينهم ميثاق ، والمعنى يختلف باختلاف ذلك ، والأول أظهر ، وحصرت صدورهم : فى موضع الحال بدليل قراءة يعقوب حصرت ، ومعناه ضاقت عن القتال وكرهته ، ونزلت الآية فى قوم جاؤا إلى المسلمين ، وكرهوا أن يقاتلوا المسلمين وكرهوا أيضا أن يقاتلوا قومهم وهم أقاربهم الكفار فأمر الله بالكف عنهم ثم نسخ أيضا ذلك بالقتال (فإن اعتزلوكم) أى إن سالموكم فلا تقاتلوهم ، والسلم هنا الانقياد (ستجدون آخرين)

قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ۝ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ

الآية : نزلت فى قوم مخادعين وهم من أسد وغطفان كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا من المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا ليأمنوا قومهم والفتنة هنا الكفر على الأظهر ، وقيل الاختبار (وماكان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ) نزلت بسبب قتل عياش بن ربيعة للحارث بن زيد وكان الحارث يعذبه على الإسلام ، ثم أسلم وهاجر ولم يعلم عياش بإسلامه فقتله ، وقيل إن الاستثناء هنا منقطع ، والمعنى لا يحل لمؤمن أن يقتل مؤمنا بوجه ، لكن الخطأ قد يقع ، والصحيح أنه متصل والمعنى لا ينبغى لمؤمن ولا يليق به أن يقتل مؤمنا إلا على وجه الخطأ من غير قصد ولا تعمد إذ هو مغلوب فيه ، وانتصاب خطأ على أنه مفعول من أجله أو حال أو صفة لمصدر محذوف (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية) هذا بيان ما يجب على القاتل خطأ فأوجب الله عليه التحرير والدية ، فأما التحرير ففى مال القاتل . وأما الدية ففى مال عاقلته ، وجاء ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وبيان للآية إذ لفظها يحتمل ذلك أو غيره ، وأجمع الفقهاء عليه ، واشترط مالك فى الرقبة التى تعتق أن تكون مؤمنة ليس فيها عقد من عقود الحرية ، سالمة من العيوب أما إيمانها فنص هنا ، ولذلك أجمع العلماء عليه هنا ، واختلفوا فى كفارة الظهار وكفارة اليمين ، وأما سلامتها من عقود الحرية فيظهر من قوله تعالى فتحرير رقبة ، لأن ظاهره أنه ابتداء عتق عند التكفير بها وأما سلامتها من العيوب ، فزعموا أن إطلاق الرقبة يقتضيه وفى ذلك نظر ولم يبين فى الآية مقدار الدية وهى عند مالك مائة من الإبل على أهل الإبل ، وألف دينار شرعية على أهل الذهب واثناعشر ألف درهم شرعية على أهل الورق ، وروى ذلك عن عمر بن الخطاب (مسلمة إلى أهله) أى مدفوعة إليهم ، والأهل هنا الورثة ، واختلف فى مدة تسليمها ، فقيل هى حالة عليهم ، وقيل يؤدونها فى ثلاث سنين ، وقيل فى أربع ، ولفظ التسليم مطلق. وهو أظهر فى الحلول لولا ماجاء من السنة فى ذلك (إلا أن يصدقوا) الضمير يعود على أولياء المقتول أى إذا أسقطوا الدية سقطت ، وإذا أسقطها المقتول سقطت أيضا عند مالك والجمهور ، خلافا لأهل الظاهر ، وحجتهم عود الضمير على الأولياء ، وقال الجمهور إنما هذا إذا لم يسقطها المقتول (فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) معنى الآية : أن المقتول خطأ إن كان مؤمنا وقومه كفارا أعداء وهم المحاربون فإنما فى قتله التحرير خاصة دون الدية فلا تدفع لهم لئلا يتقووا بها على المسلمين ، ورأى ابن عباس أن ذلك إنما هو فيمن آمن وبقى فى دار الحرب لم يهاجر وخالفه غيره ورأى مالك أن الدية فى هذا البيت المال فالآية عنده منسوخة ، (وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق) الآية : معناها أن المقتول خطأ إن كان قومه كفارا معاهدين ففى مثله تحرير رقبة والدية إلى أهله لأجل معاهدتهم ، والمقتول على هذا مؤمن ، ولذلك قال مالك لا كفارة فى قتل الذمى ، وقيل إن المقتول فى هذه الآية كافر، فعلى هذا تجب

أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ۝ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ السَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ

الكفارة فى قتل الذمى ، وقيل هى عامة فى المؤمن والكافر ، ولفظ الآية مطلق إلا أن قيده قوله وهو مؤمن فى الآية التى قبلها وقرأ الحسن هنا وهومؤمن (فن لم يجد فصيام شهرين) أى من لم يجد العتق ولم يقدر عليه فصيام الشهرين المتابعين عوض منه (توبة من الله) منصوب على المصدرية ومعناه رحمة منه وتخفيفا (ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالدا فيها) الآية : نزلت بسبب مقيس بن صبابة كان قد أخذ دية أخيه هشام المقتول خطأ ، ثم قتل رجلا من القوم الذين قتلوا أخاه وارتد مشركا ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتله ، والمتعمد عند الجمهور هوالذى يقصدالقتل بحديدة أو حجرأوعصا أو غير ذلك ، وهذه الآية معطلة على مذهب الأشعرية وغيرهم ممن يقول لا يخلد عصاة المؤمنين فى النار واحتج بها المعتزلة وغيرهم ممن يقول بتخليد العصاة فى النار لقوله خالدا فيها وتأولها الأشعرية بأربعة أوجه: أحدها أن قالوا إنها فى الكافر إذا قتل مؤمنا ، والثانى قالوا معنى المتعمد هنا المستحل للقتل ، وذلك يؤول إلى الكفر ، والثالث قالوا الخلود فيها ليس بمعنى الدوام الأبدى ، وإنما هو عبارة عن طول المدة ، والرابع أنها منسوخة بقوله تعالى : إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ، وأما المعتزلة فحملوها على ظاهرها ، ورأوا أنها ناسخة لقوله : ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ، واحتجوا على ذلك بقول زيد بن ثابت نزلت الشديدة بعد الهينة وبقول ابن عباس ، الشرك والقتل من مات عليهما خلد ، وبقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كل ذنب عسى الله أن يغفره ، إلا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل المؤمن متعمدا ، وتقتضى الآية وهذه الآثار أن للقتل حكما يخصه من بين سائر المعاصى ، واختلف الناس فى القاتل عمدا إذا تاب ، هل تقبل توبته أم لا ؟ وكذلك حكى ابن رشد الخلاف فى القاتل إذا اقتص منه هل يسقط عنه العقاب فى الآخرة أم لا ؟ والصحيح أنه يسقط عنه ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أصاب ذنبا فعوقب به فى الدنيا فهو له كفارة ، وبذلك قال جمهور العلماء (ضربتم فى سبيل الله) أى سافرتم فى الجهاد (فتبينوا) من البيان وقرئ بالثاء المثلثة من الثبات والتفعل فيها بمعنى الاستفعال ، أى اطلبوا بيان الأمر وثبوته (ألقى إليكم السلم) بغير ألف أى انقاد وألقى بيده ، وقرئ السلام بمعنى التحية ، ونزلت فى سرية لقيت رجلا فسلم عليهم ، وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فحمل عليه أحدهم فقتله ، فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان القاتل علم بن جثامة والمقتول عامر بن الأغبط ، وقيل القاتل أسامة بن زيد والمقتول مرداس بن نهيك (تبتغون عرض الحياة الدنيا) يعنى الغنيمة ، وكان للرجل المقتول غنم (فعند الله مغانم كثيرة) وعد وتزهيد فى غنيمة من أظهر الإسلام (كذلك كنتم من قبل) قيل معناه كنتم كفاراً فهداكم الله للاسلام ، وقيل كنتم تخفون إيمانكم من قومكم (فمن الله عليكم) بالعزة والنصر حتى أظهرتموه (لا يستوى القاعدون من المؤمنين) الآية :

خبيرًا ۞ لَا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۞ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۞ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۞ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۞ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِى الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۞ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ۞ وَإِذَا كُنْتَ

معناها تفضيل المجاهدين على من لم يجاهد وهم القاعدون (غير أولى الضرر) لما نزلت الآية : قام ابن أم مكتوم الأعمى ، فقال يارسول الله هل من رخصة فإنى ضرير البصر ، فنزل غير أولى الضرر وقرئ غير بالحركات الثلاث ، بالرفع صفة للقاعدين ، وبالنصب على الاستثناء أو الحال ، وبالخفض صفة للمؤمنين (درجة) قيل هى تفضيل على القاعدين من أهل العذر والدرجات على القاعدين بغير عذر ، وقيل إن الدرجات مبالغة وتأكيد الدرجة (الحسنى) الجنة (أجرا) منصوب على الحال من درجات أو المصدرية من معنى فضل ، وانتصب درجات على البدل من الأجر أو بفعل مضمر ، وانتصب مغفرة ورحمة بإضمار فعلها : أى غفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة (إن الذين توفاهم الملائكة) الآية نزلت فى قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا ، فلما كان يوم بدر خرجوا مع الكفار فقتلوا منهم قيس بن الفاكه والحارث بن زمعة ، وقيس بن الوليد بن المغيرة ، وعلى بن أمية بن خلف ويحتمل أن يكون توفاهم ماضيا أو مضارعا ، وانتصب ظالمى على الحال (قالوا فيم كنتم) أى فى أى شىء كنتم فى أمر دينكم (قالوا كنا مستضعفين فى الأرض) اعتذار عن التوبيخ الذى وبخهم به الملائكة : أى لم تقدروا على الهجرة وكان اعتذارا بالباطل (قالوا ألم تكن أرض الله واسعة) رد عليهم ؛ وتكذيب لهم فى اعتذارهم (إلا المستضعفين) الذين كان استضعافهم حقا ، قال ابن عباس : كنت أنا وأبى وأمى ممن عنى الله بهذه الآية (مراغما) أى متحولا وموضعا يرغم عدوه بالذهاب إليه (وسعة) أى اتساع فى الأرض وقيل فى الرزق (فقد وقع أجره على الله) أى ثبت وصح (ومن يخرج من بيته) الآية حكمها على العموم ونزلت فى ضمرة بن القيس وكان من المستضعفين بمكة ، وكان مريضا فلما سمع ما أنزل الله فى الهجرة قال أخرجونى فهيىء له فراش فوضع عليه وخرج فمات فى الطريق ، وقيل نزلت فى خالد بن حزام ، فإنه هاجر إلى أرض الحبشة فنهشته حية فى الطريق فمات قبل أن يصل إلى أرض الحبشة (وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) اختلف العلماء فى تأويلها على خمسة أقوال : أولها أنها فى قصر الصلاة الرباعية

فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ

إلى ركعتين فى السفر ، ولذلك لايجوز إلا فى حال الخوف على ظاهر الآية ، وهو قول عائشة وعثمان رضى الله عنهما ، الثانى أن الآية تقتضى ذلك ولكن يؤخذ القصر فى السفر دون الخوف من السنة ، ويؤيد هذا حديث يعلى بن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب إن الله يقول إن خفتم وقد أمن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ، وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم قصر فى السفر وهو آمن ، الثالث أن قوله إن خفتم راجع إلى قوله : وإذا كنت فيهم الآية التى بعد ذلك والواو زائدة وهذا بعيد ، الرابع أنها فى صلاة الخوف على قول من يرى أن تصلى كل طائفة ركعة خاصة ، قال ابن عباس فرضت الصلاة فى الحضر أربعا وفى السفر ركعتين ، وفى الخوف ركعة الخامس أنها فى صلاة المسايفة ، فالقصر على هذا هو من هيأة الصلاة كقوله : فإن خفتم فرجالا أو ركبانا وإذا قلنا إنها فى القصر فى السفر ، فظاهرها أن القصر رخصة ، والإتمام أفضل وهو مذهب الشافعى ، وقال مالك القصر أفضل ، وقيل إنهما سواء ، وأوجب أبو حنيفة القصر ، وليس فى لفظ الآية مايدل على مقدار المسافة التى تقصر فيها الصلاة ؛ لأن قوله إذا ضربتم فى الأرض معناه السفر مطلقا ، ولذلك أجاز الظاهرية القصر فى كل سفر طويل أو قصير ، ومذهب مالك والشافعى أن مسافة القصر ثمانية وأربعون ميلا ؛ واحتجوا بآثار عن عمر وابن عباس ، وكذلك ليس فى الآية مايدل على تخصيص القصر بسفر القربة أو السفر المباح دون سفر المعصية فإن لفظها مطلق فى السفر ، ولذلك أجاز أبو حنيفة القصر فى سفر القربة وفى المباح وفى سفر المعصية ، ومنعه مالك فى سفر المعصية ، ومنعه ابن حنبل فى المعصية ، وفى المباح . وللقصر أحكام لا تتعلق بالآية فاضربنا عن ذكرها ، والمراد بالفتنة فى هذه الآية القتال أو التعرض بما يكره (وإذا كنت فيهم) الآية فى صلاة الخوف ، وظاهرها يقتضى أنها لا تصلى بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأنه شرط كونه فيهم ، وبذلك قال أبو يوسف ، وأجازها الجمهور بعده صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنهم رأوا أن الخطاب له يتناول أمته ، وقد فعلها الصحابة بعده صلى الله عليه وآله وسلم ، واختلف الناس فى صلاة الخوف على عشرة أقوال ، لاختلاف الأحاديث فيها ، ولسنا نضطر إلى ذكرها فإن تفسيرها لا يتوقف على ذلك ، وكانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لصلاة الخوف فى غزوة ذات الرقاع (فلتقم طائفة منهم معك) يقسم الإمام المسلمين على طائفتين فيصلى بالأولى نصف الصلاة ، وتقف الأخرى تحرس ثم يصلى بالثانية بقية الصلاة وتقف الأولى تحرس ، واختلف هل تتم كل طائفة صلاتها وهو مذهب الجمهور ، أم لا ؟ وعلى القول بالإتمام : اختلف هل يتمونها فى أثر صلاتهم مع الإمام أو بعد ذلك (وليأخذوا أسلحتهم) اختلفوا فى المأمور بأخذ الأسلحة ، فقيل الطائفة المصلية وقيل الحارسة والأول أرجح ، لأنه قد قال بعد ذلك فى الطائفة الأخرى : وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ويدل ذلك على أنهم إن قوتلوا وهم فى الصلاة : جاز لهم أن يقاتلوا من قاتلهم ، وإلالم يكن لأخذ الأسلحة معنى إذا لم يدفعوا بها من قاتلهم (فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) الضمير فى قوله فإذا سجدوا للمصلين ، والمعنى إذا سجدوا معك فى الركعة الأولى ، وقيل إذا سجدوا فى ركعة القضاء ، والضمير فى قوله فليكونوا من ورائكم : يحتمل

وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا * فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا * وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ

أن يكون للذين سجدوا : أى إذا سجدوا فليقوموا وليرجعوا وراءكم ، وعلى هذا إن كان السجود فى الركعة الأولى فيقتضى ذلك أنهم يقومون للحراسة بعد انقضاء الركعة الأولى ، ثم يحتمل بعد ذلك أن يقضوا بقية صلاتهم أو لا يقضونها ، وإن كان السجود فى ركعة القضاء ، فيقتضى ذلك أنهم لا يقومون للحراسة إلا بعد القضاء ، وهو مذهب مالك والشافعى ، ويحتمل أن يكون الضمير فى قوله : فليكونوا للطائفة الأخرى أن يقفوا وراء المصلين يحرسونهم (ولتأت طائفة أخرى) يعنى الطائفة الحارسة (ودّ الذين كفروا) الآية : إخبار عما جرى فى غزوة ذات الرقاع ، من عزم الكفار على الإيقاع بالمسلمين إذا اشتغلوا بصلاتهم ، فنزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخبره بذلك ، وشرعت صلاة الخوف حذرا من الكفار ، وفى قوله : ميلة واحدة : مبالغة أى مفاضلة لا يحتاج منها إلى ثانية (ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر) الآية : نزلت بسبب عبد الرحمن ابن عوف ، كان مريضا فوضع سلاحه فعنفه بعض الناس ، فرخص الله فى وضع السلاح فى حال المرض والمطر ، ويقاس عليهما كل عذر يحدث فى ذلك الوقت (إن الله أعدّ للكافرين عذابا مهينا) إن قيل : كيف طابق الأمر بالحذر للعذاب المهين ؟ فالجواب أن الأمر بالحذر من العدو : يقتضى توهم قوتهم وعزتهم ، فنفى ذلك الوهم بالإخبار أن الله يهينهم ولا ينصرهم لتقوى قلوب المؤمنين ، قال ذلك الزمخشرى وإنما يصح ذلك إذا كان العذاب المهين فى الدنيا ، والأظهر أنه فى الآخرة (فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله) الآية : أى إذا فرغتم من الصلاة ، فاذكروا الله بألسنتكم ، وذكر القيام والقعود وعلى الجنوب ليعم جميع أحوال الإنسان ، وقيل المعنى إذا تلبستم بالصلاة فافعلوها قياما فإن لم تقدروا فقعودا ، فإن لم تقدروا فعلى جنوبكم (فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة) أى إذا اطمأننتم من الخوف فأقيموا الصلاة على هيئتها المعهودة (كتابا موقوتا) أى محدودا بالأوقات وقال ابن عباس : فرضا مفروضا (ولا تهنوا فى ابتغاء القوم) أى لا تضعفوا فى طلب الكفار (إن تكونوا تألمون) الآية : معناها . إن أصابكم ألم من القتال فكذلك يصيب الكفار ألم مثله ، ومع ذلك فإنكم ترجون إذا قاتلتموهم : النصر فى الدنيا ، والأجر فى الآخرة ؛ وذلك تشجيع للمسلمين (لتحكم بين الناس بما أراك الله) يحتمل أن يريد بالوحى أو بالاجتهاد ، أو بهما ، وإذا تضمنت الاجتهاد ، ففيها دليل على إثبات النظر والقياس

أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۝ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۝ هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ

خلافا لمن منع ذلك من الظاهرية وغيرهم (ولا تكن للخائنين خصيما) نزلت هذه الآية ومابعدها فى قصة طعمة ابن الأبيرق إذ سرق طعاما وسلاحا لبعض الأنصار ، وجاء قومه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقالوا إنه برىء ونسبوا السرقة إلى غيره ، وظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم صادقون ، فجادل عنهم ليدفع مانسب إليهم حتى نزل القرآن فافتضحوا ، فالخائنون فى الآية : هم السراق بنو الأبيرق ، وقال السهيلى هم بشر وبشير ومبشر وأسيد ، ومعناها لا تكن لأجل الخائنين مخاصما لغيرهم (واستغفر الله) أى من خصامك عن الخائنين، على أنه صلى الله عليه وسلم إنما تكلم على الظاهر وهو يعتقد براءتهم (إذ يبيتون) أى يدبرون ليلا وإنما سمى التدبير قولا ، لأنه كلام النفس ، وربما كان معه كلام باللسان (ومن يكسب خطيئة أو إثما) قيل إن الخطيئة تكون عن عمد ، وعن غير عمد ، والإثم لا يكون إلا عن عمد ، وقيل هما بمعنى ، وكرر لاختلاف اللفظ (ثم يرم به بريئا) كان القوم قد نسبوا السرقة إلى لبيد بن سهل (لهمت طائفة منهم أن يضلوك) هم الذين جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأبرءوا ابن الأبيرق من السرقة وهذه الآية وإن كانت إنما نزلت بسبب هذه القصة ، فهى أيضا تتضمن أحكام غيرها ، وبقية الآية تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم ، وتقدير لنعم الله عليه (لا خير فى كثير من نجواهم) إن كانت النجوى هنا بمعنى الكلام الخفى ، فالاستثناء الذى بعدها منقطع ، وقد يكون متصلا على حذف مضاف تقديره إلا نجوى من أمر ، وإن كانت النجوى بمعنى الجماعة فالاستثناء متصل (ومن يشاقق الرسول) أى يعاديه ، والشقاق هو العداوة ، ونزلت الآية بسبب ابن الأبيرق ، لأنه ارتد وسار إلى المشركين ومات على الكفر، وهى عامة فيه وفى غيره (ويتبع غير سبيل المؤمنين) استدل الأصوليون بها على صحة إجماع المسلمين وأنه لا يجوز مخالفته ، لأن من خالفه اتبع غير سبيل المؤمنين ، وفى ذلك نظر (نوله ماتولى) أى نتركه مع

جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا * إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا * إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا * لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا * وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا * أُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا * وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا * لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا * وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا * وَلِلَّهِ مَا فِي

أختياره الفاسد (إن الله لا يغفر أن يشرك به) قد تقدم الكلام على نظيرتها (إن يدعون من دونه إلا إناثا) الضمير في يدعون للكفار، ومعنى يدعون يعبدون، واختلف في الإناث هنا، فقيل هي الأصنام، لأن العرب كانت تسمى الأصنام بأسماء مؤنثة: كاللات والعزى، وقيل المراد الملائكة لقول الكفار إنهم إناث وكانوا يعبدونهم فذكر ذلك على وجه إقامة الحجة عليهم بقولهم الفاسد، وقيل المراد الأصنام، لأنها لا تفعل فيخبر عنها كما يخبر عن المؤنث (إلا شيطانا مريدا) يعنى إبليس، وإنما قال إنهم يعبدونه، لأنهم يطيعونه في الكفر والضلال، والمريد هو الشديد العتو والإضلال (لعنه الله) صفة للشيطان (وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) الضمير للشيطان: أى فرضته لنفسى من قولك فرض للجند وغيرهم، والمراد بهم أهل الضلال (ولأضلنهم) أى أعدهم الأمانى الكاذبة (فليبتكن آذان الأنعام) أى يقطعونها، والإشارة بذلك إلى البحيرة وشبهها (فليغيرن خلق الله) التغيير هو الخصاء وشبهه وقد رخص جماعة من العلماء في خصاء البهائم، إذا كان فيه منفعة، ومنعه بعضهم لظاهر الآية، وقيل التغيير هو الوشم وشبهه، ويدل على هذا الحديث الذى لعن فيه الواشمات، والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، والمغيرات خلق الله (محيصا) أى معدلا ومهربا (وعدالله حقا) مصدران: الأول مؤكد للوعد الذى يقتضيه قوله سندخلهم جنات، والثانى مؤكد لوعدالله (ليس بأمانيكم) الآية: اسم ليس مضمر تقديره الأمر وشبهه، والخطاب للمسلمين، وقيل للمشركين أى لا يكون ماتتمنون، ولا مايتمنى أهل الكتاب، بل يحكم الله بين عباده، ويجازيهم بأعمالهم (من يعمل سوءاً يجز به) وعيد حتم في الكفار، ومقيد بمشيئة الله في المسلمين (ومن يعمل من الصالحات) دخلت من للتبعيض رفقا بالعباد، لأن الصالحات على الكمال لا يطيقها البشر (وهو مؤمن) تقييد باشتراط الإيمان، فإنه لا يقبل عمل إلا به (نقيرا) هو النقرة التى فى ظهر نواة التمرة، والمعنى تمثيل بأقل الأشياء (واتبع ملة إبراهيم) أى دين

السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَكَانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ۞ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى النِّسَآءِ قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى الْكِتٰبِ فِى يَتٰمَى النِّسَآءِ الّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدٰنِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتٰمَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ۞ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۞ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ غَفُورًا

الإسلام (حنيفا) حال من المتبع أو من إبراهيم (واتخذ الله إبراهيم خليلا) أى صفيا، وهو مشتق من الخلة بمعنى المودة، وفى ذلك تشريف لإبراهيم، وترغيب فى اتباعه (ويستفتونك فى النساء) أى يسئلونك عما يجب عليهم فى أمر النساء (وما يتلى عليكم) عطف على اسم الله أى يفتيكم الله، والمتلو عليكم فى الكتاب يعنى القرآن (فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن) كان الرجل من العرب يتزوج اليتيمة من أقاربه بدون ما تستحقه من الصداق، فقوله ما كتب لهن يعنى ما تستحقه المرأة من الصداق، وقوله وترغبون أن تنكحوهن: يعنى لجمالهن ومالهن من غير توفية حقوقهن، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك أول السورة فى قوله: وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى الآية، وهذه الآية هى التى تليت عليهم فى يتامى النساء، والمستضعفين من الولدان: عطف على يتامى النساء، والذى يتلى فى المستضعفين من الولدان وهو قوله: يوصيكم الله فى أولادكم، لأن العرب كانت لا تورث البنت ولا الابن الصغير، فأمر الله أن يأخذوا نصيبهم من الميراث (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) عطف على المستضعفين أى والذى يتلى عليكم فى أن تقوموا لليتامى بالقسط، ويجوز أن يكون منصوبا تقديره: ويأمركم أن تقوموا، أو الخطاب فى ذلك للأولياء، والأوصياء، أو للقضاة وشبههم، والذى تلى عليهم فى ذلك هو قوله: إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما الآية، وقوله: ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلى غير ذلك (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا) معنى الآية إباحة الصلح بين الزوجين، إذا خافت النشوز أو الإعراض، وكما يجوز الصلح مع الخوف كذلك يجوز بعد وقوع النشوز أو الإعراض وقد تقدم معنى النشوز. وأما الإعراض فهو أخف، ووجوه الصلح كثيرة منها أن يعطيها الزوج شيئا أو تعطيه هى أو تسقط حقها من النفقة أو الاستمتاع أو غير ذلك، وسبب الآية أن سودة بنت زمعة لما كبرت خافت أن يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت له أمسكنى فى نسائك ولا تقسم لى وقد وهبت يومى لعائشة (والصلح خير) لفظ عام يدخل فيه صلح الزوجين وغيرهما، وقيل معناه صلح الزوجين خير من فراقهما فخير على هذا للتفضيل، واللام فى الصلح للعهد (وأحضرت الأنفس الشح) معناه أن الشح جعل حاضرا مع النفوس لا يغيب عنها لأنها جبلت عليه والشح هو أن لا يسمح الإنسان لغيره بشىء من حظوظ نفسه، وشح المرأة من هذا هو طلبها لحقها من النفقة والاستمتاع، وشح الزوج هو منع الصداق والتضييق فى النفقة وزهده فى المرأة لكبر سنها أو قبح صورتها (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) معناه العدل التام الكامل فى الأقوال

رَّحِيمًا * وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ ٱللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا * وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا * وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا * مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُۥٓا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا ءَامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلْكِتَٰبِ

والأفعال والمحبة وغير ذلك فرفع الله ذلك عن عباده ، فإنهم لا يستطيعون ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه ثم يقول اللهم هذا قسمى فيما أملك فلو تؤاخذنى بما لا أملك يعنى ميله بقلبه وقيل إن الآية نزلت فى ميله صلى الله عليه وسلم بقلبه إلى عائشة ومعناها اعتذار من الله تعالى عن عباده (فتذروها كالمعلقة) أى لا ذات زوج ولا مطلقة (وإن يتفرقا) الآية : معناها إن تفرق الزوجان بطلاق أغنى الله كل واحد منهما من فضله عن صاحبه ، وهذا وعد بخير وتأنيس (ولقد وصينا) الآية : إخبار أنّ الله وصى الأوّلين والآخرين بأن يتقوه (ويأت بآخرين) أى بقوم غيركم ، وروى أنّ النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت ضرب بيده على كتف سلمان الفارسى ، وقال : هم قوم هذا (من كان يريد ثواب الدنيا) الآية : تقتضى الترغيب فى طلب ثواب الآخرة ، لأنه خير من ثواب الدنيا ، وتقتضى أيضا أن يطلب ثواب الدنيا والآخرة من الله وحده ، فإنّ ذلك بيده لا بيد غيره ، وعلى أحد هذين الوجهين ، يرتبط الشرط بجوابه ، فالتقدير على الأول ، من كان يريد ثواب الدنيا فلا يقتصر عليه خاصة ، فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ، وعلى الثانى من كان يريد ثواب الدنيا فليطلبه من الله فعند الله ثواب الدنيا والآخرة (كونوا قوامين بالقسط) أى مجتهدين فى إقامة العدل (شهداء لله) معناه لوجه الله ولمرضاته (ولو على أنفسكم) يتعلق بشهد وشهادة الإنسان على نفسه هى إقراره بالحق، ثم ذكر الوالدين والأقربين ، إذ هم مظنة للتعصب والميل: فإقامة الشهادة على الأجنبيين من باب أولى وأحرى (إن يكن غنيا أو فقيرا) جواب إن محذوف على الأظهر أى إن يكن المشهود عليه غنيا ، فلا تمتنع من الشهادة تعظيما له ، وإن كان فقيرا فلا تمتنع من الشهادة عليه اتفاقا فإنّ الله أولى بالغنى والفقير، أى بالنظر إليهما (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) أن مفعول من أجله ، ويحتمل أن يكون المعنى من العدل ، فالتقدير إرادة أن تعدلوا بين الناس ، أو من العدل، فالتقدير كراهة أن تعدلوا عن الحق (وإن تلووا أو تعرضوا) قيل : إن الخطاب للحكام ، وقيل للشهود ، واللفظ عام فى الوجهين ، واللىّ هو تحريف الكلام أى تلووا عن الحكم بالعدل أو عن الشهادة بالحق أو تعرضوا عن صاحب الحق ، أو عن المشهود له بالحق ، فإنّ الله يجازيكم فإنه خبير بما تعملون ، وقرئ إن تلوا بضم اللام من الولاية : أى إن وليتم إقامة الشهادة ، أو أعرضتم عنها (آمنوا بالله) الآية خطاب للسلمين :

الّذى نَزّلَ عَلَىٰ رَسُوله وَالْكتَٰب الّذىٓ أنزَلَ من قبلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّه وَمَلَٰٓئكته وَكُتُبه وَرُسُله وَالْيَوْمِ الآخرفقَدْ ضَلّ ضَلَٰلاً بعيدًا ۞ إنّ الّذينَ ءامَنوا ثُمّ كَفَرُوا ثُمّ ءامَنُوا ثُمّ كَفَرُوا ثُمّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُن اللّهُ ليَغْفرَ لَهُمْ وَلاَلِيَهْديَهُمْ سَبيلاً ۞ بَشّر الْمُنَٰفقينَ بأنّ لَهُمْ عَذَابًا أليمًا ۞ الّذينَ يَتّخذُونَ الْكَٰفرينَ أوْليَآءَ من دُون الْمُؤْمنينَ أيَبْتَغُونَ عندَهُمُ الْعزّةَ فإنّ الْعزّةَ للّه جميعًا ۞ وَقَدْ نَزّلَ عَلَيْكُمْ فى الْكتَٰب أنْ إذَا سَمعتُمْ ءايَٰت اللّه يُكْفَرُ بهَا وَيُسْتَهْزَأُ بهَا فَلاَ تَقْعُدوا مَعَهُمْ حَتّىٰ يَخُوضُوا فى حَديث غَيْرِهِ إنّكُمْ إذًا مثْلُهُمْ إنّ اللّهَ جَامعُ الْمُنَٰفقينَ وَالْكَٰفرينَ فى جَهَنّمَ جَميعًا ۞ الّذينَ يَتَرَبّصُونَ بكُمْ فَإن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مّنَ اللّه قَالُوٓا ألَمْ نَكُن مّعَكُمْ وَإن كَانَ للْكَٰفرينَ نَصيبٌ قَالُوٓا ألَمْ نَسْتَحْوذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مّنَ الْمُؤْمنينَ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقيَٰمَة وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ للْكَٰفرينَ عَلَى الْمُؤْمنينَ سَبيلاً ۞ إنّ الْمُنَٰفقينَ يُخَٰدعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَٰدعُهُمْ وَإذَا قَامُوٓا إلَى الصّلَوٰة قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ النّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إلاّ قَليلاً ۞ مّذَبْذَبينَ بَيْنَ ذَٰلكَ لآ إلَىٰ هَٰٓؤُلآءِ وَلآ إلَىٰ هَٰٓؤُلآءِ وَمَن يُضْللِ اللّهُ فَلَن تَجدَ لَهُ سَبيلاً ۞ يَٰٓأيّهَا الّذينَ ءامَنُوا لاَتَتّخذُوا الْكَٰفرينَ أوْليَآءَ من دُون الْمُؤْمنينَ أتُريدُونَ أن تَجْعَلُوا للّه عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مّبينًا ۞ إنّ الْمُنَٰفقينَ فى الدّرْك الأسْفَل

معناه الأمر بأن يكون إيمانهم على الكمال بكل ماذكر ، أو يكون أمراً بالدوام على الإيمان ، وقيل خطاب لأهل الكتاب الذين آمنوا بالأنبياء المتقدمين : معناه الأمربأن يؤمنوا مع ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل خطاب للمنافقين معناه الأمربأن يؤمنوا بألسنتهم وقلوبهم (إنّ الذين آمنواثم كفروا) الآية ، قيل هى فى المنافقين لترددهم بين الإيمان والكفر ، وقيل فى اليهود والنصارى لأنهم آمنوا بأنبيائهم ثم كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والأول أرجح ؛ لأنّ الكلام من هنا فيهم ، والأظهر أنها فيمن آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم ارتد ، ثم عاد إلى الإيمان ، ثم ارتد وازداد كفرا (لم يكن الله ليغفر لهم) ذلك فيمن علم الله أن يموت على كفره ، وقد يكون إضلالهم عقابا لهم بسوء أفعالهم (وقدنزل عليكم فى الكتاب الآية : إشارة إلى قوله : وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم وغيرها ، وفى الآية دليل على وجوب تجنب أهل المعاصى ، والضمير فى قوله معهم يعود على مايدل عليه سياق الكلام من الكافرين والمنافقين (الذين يتربصون بكم) صفة للمنافقين : أى ينتظرون بكم دوائر الزمان (ألم نستحوذ عليكم) أى نغلب على أمركم بالنصرة لكم والحية (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) قال على بن أبى طالب وغيره : ذلك فى الآخرة ، وقيل السبيل هنا الحجة البالغة (يخادعون الله) ذكر فى البقرة (وهو خادعهم) تسمية للعقوبة باسم الذنب ، لأنّ وبال خداعهم راجع عليهم(مذبذبين) أى مضطربين مترددين ، لا إلى المسلمين ولا إلى الكفار (سلطانا مبينا) أى حجة ظاهرة (إنّ المنافقين فى الدرك الأسفل) أى فى الطبقة السفلى من

مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَـٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا * لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوٓءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا * إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا * إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُولَـٰئِكَ هُمُ الْكَـٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا * وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَـٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا * يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ الْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ السَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا * وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا * فَبِمَا نَقْضِهِم

جهنم ، وهى سبع طبقات وفى ذلك دليل على أنهم شرّ من الكفار (إلا الذين تابوا) استثناء من المنافقين ، والتوبة هنا الإيمان الصادق فى الظاهر والباطن (مايفعل الله بعذابكم) المعنى أى حاجة ومنفعة لله بعذابكم وهو الغنىّ عنكم ، وقدم الشكر على الإيمان ، لأن العبد ينظر إلى النعم فيشكر عليها ثم يؤمن بالمنعم فكان الشكر سبباً للإيمان : متقدم عليه ، ويحتمل أن يكون الشكر يتضمن الإيمان ، ثم ذكر الإيمان بعده توكيدا واهتماما به ، والشاكر اسم الله ذكر فى اللغات (إلا من ظلم) أى إلا جهر المظلوم فيجوز له من الجهر أن يدعو على من ظلمه ، وقيل أن يذكر مافعل به من الظلم ، وقيل أن يرد عليه بمثل مظلمته إن كان شتمه (إن تبدوا خيرا أو تخفوه) الآية : ترغيب فى فعل الخير سرا وعلانية ، وفى العفو عن الظلم بعد أن أباح الانتصار لأن العفو أحب إلى الله من الانتصار ، وأكد ذلك بوصفه تعالى نفسه بالعفو مع القدرة (إن الذين يكفرون) الآية : فى اليهود والنصارى، لأنهم آمنوا بأنبيائهم ، وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وغيره ، ومعنى التفريق بين الله ورسله الإيمان به والكفر برسله ، وكذلك التفريق بين الرسل هو الكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم ، فحكم الله على من كان كذلك بحكم الكفر الحقيق الكامل (والذين آمنوا) الآية : فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم آمنوا بالله وجميع رسله (يسألك أهل الكتاب) الآية ، روى أن اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم لن نؤمن بك حتى تأتينا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة ، وقيل كتاب إلى فلان ، وكتاب إلى فلان بأنك رسول الله ، وإنما طلبوا ذلك على وجه التعنت ، فذكر الله سؤالهم من موسى ، وسوء أدبهم معه تسلية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم بالتأسى بغيره ، ثم ذكر أفعالهم القبيحة ليبين أن كفرهم إنما هو عناد ، وقد تقدم فى البقرة ذكر طلبهم للرؤيا ، واتخاذهم العجل ، ورفع الطور فوقهم ، واعتدائهم فى السبت وغير

مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا
يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا * وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ
إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا * بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ
إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا * فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ

ذلك بما أشير إليه هنا (فبما نقضهم ميثاقهم) ما زائدة للتأكيد، والباء تتعلق بمحذوف تقديره بسبب نقضهم فعلنا بهم ما فعلنا، أو تتعلق بقوله حرمنا عليهم، ويكون فبظلم على هذا بدلا من قوله فبما نقضهم (بهتانا عظيما) هو أن رموا مريم بالزنا مع رؤيتهم الآية في كلام عيسى في المهد (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم) عدد الله في جملة قبائحهم قولهم إنا قتلنا المسيح لأنهم قالوها افتخارا وجرأة مع أنهم كذبوا في ذلك، ولزمهم الذنب، وهم لم يقتلوه لأنهم صلبوا الشخص الذي ألقى عليه شبهه، وهم يعتقدون أنه عيسى، وروى أن عيسى قال للحواريين أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل ويكون رفيقي في الجنة، فقال أحدهم أنا فألقى عليه شبه عيسى فقتل على أنه عيسى، وقيل بل دلّ على عيسى يهوديّ، فألقى الله شبه عيسى على اليهودي فقتل اليهودي ورفع عيسى إلى السماء حيا، حتى ينزل إلى الأرض فيقتل الدجال (رسول الله) إن قيل: كيف قالوا فيه رسول الله، وهم يكفرون به ويسبونه؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: أحدها أنهم قالوا ذلك على وجه التهكم والاستهزاء، والثاني أنهم قالوه على حسب اعتقاد المسلمين فيه كأنهم قالوا رسول الله عندكم أو بزعمكم، والثالث أنه من قول الله لا من قولهم فيوقف قبله، وفائدة تعظيم ذنبهم وتقبيح قولهم إنا قتلناه (وما قتلوه وما صلبوه) ردّ عليهم وتكذيب لهم وللنصارى أيضا في قولهم إنه صلب حتى عبدوا الصليب من أجل ذلك والعجب كل العجب من تناقضهم في قوله إنه إله أو ابن إله ثم يقولون إنه صلب (ولكن شبه لهم) فيه تأويلان: أحدهما ما ذكرناه من إلقاء شبهه على الحواري أو على اليهودي، والآخر أن معناه شبه لهم الأمر أي خلط لهم القوم الذين حاولوا قتله بأنهم قتلوا رجلا آخر وصلبوه ومنعوا الناس أن يقربوا منه، حتى تغير بحيث لا يعرف، وقالوا للناس هذا عيسى، ولم يكن عيسى، فاعتقد الناس صدقهم وكانوا متعمدين للكذب (وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه) روى أنه لما رفع عيسى وألقى شبهه على غيره فقتلوه، قالوا إن كان هذا المقتول عيسى فأين صاحبنا وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى، فاختلفوا، فقال بعضهم هو هو، وقال بعضهم ليس هو، فأجمعوا أن شخصا قتل، واختلفوا من كان (إلا اتباع الظن) استثناء منقطع لأن العلم تحقيق والظن تردد، وقال ابن عطية: هو متصل إذ الظن والعلم يجمعهما جنس المعتقدات، فإن قيل: كيف وصفهم بالشك وهو تردد بين احتمالين على السواء ثم وصفهم بالظن وهو ترجيح أحد الاحتمالين؟ فالجواب أنهم كانوا على الشك، ثم لاحت لهم أمارات فظنوا، قاله الزمخشري، وقد يقال الظن بمعنى الشك وبمعنى الوهم الذي هو أضعف من الشك (وما قتلوه يقينا) أي ما قتلوه قتلا يقينا فإعراب يقينا على هذا صفة لمصدر محذوف، وقيل هي مصدر في موضع الحال: أي ما قتلوه متيقنين، وقيل هو تأكيد للنفي الذي في قوله ما قتلوه أي يتيقن نفي قتله، وهو على هذا منصوب على المصدرية (بل رفعه الله إليه) أي إلى سمائه وقد ورد في حديث الإسراء أنه في السماء الثانية (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) فيها تأويلان:

أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوٰا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ النَّاسِ بِالْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * لَّٰكِنِ الرَّٰسِخُونَ فِى الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ أُولَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا * إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا * رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا

أحدهما أنّ الضمير فى موته لعيسى ، والمعنى أنه كل أحد من أهل الكتاب يؤمن بعيسى حين ينزل إلى الأرض قبل أن يموت عيسى وتصير الأديان كلها حينئذ دينا واحدا ، وهو دين الإسلام ، والثانى أنّ الضمير فى موته للكتاب الذى تضمنه قوله وإن من أهل الكتاب التقدير : وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بعيسى ، ويعلم أنه نبى قبل أن يموت هذا الإنسان ، وذلك حين معاينة الموت ، وهو إيمان لا ينفعه ، وقد روى هذا المعنى عن ابن عباس وغيره ، وفى مصحف أبيّ بن كعب قبل موتهم ، وفى هذه القراءة تقوية للقول الثانى ، والضمير فى به لعيسى على الوجهين ، وقيل هو لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم (وبصدهم) يحتمل أن يكون بمعنى الإعراض فيكون كثيرا صفة لمصدر محذوف تقديره صدا كثيرا ، أو بمعنى صدهم لغيرهم ، فيكون كثيرا مفعولا بالصد ، أى صدوا كثيرا من الناس عن سبيل الله (لكن الراسخون فى العلم منهم) هو عبد الله ابن سلام ، ومخيرق ، ومن جرى مجراهم (والمقيمين) منصوب على المدح بإضمار فعل ، وهو جائز كثيرا فى الكلام ، وقالت عائشة هو من لحن كتاب المصحف ، وفى مصحف ابن مسعود : والمقيمون ، على الأصل (إنا أوحينا إليك) الآية : ردّ على اليهود الذين سألوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء ، واحتجاج عليهم بأن الذى أتى به وحى : كما أتى من تقدم من الأنبياء بالوحى من غير إنزال الكتاب من السماء ، ولذلك أكثر من ذكر الأنبياء الذين كان شأنهم هذا لتقوم بهم الحجة (ورسلا قد قصصناهم) منصوب بفعل مضمر أى أرسلنا رسلا (وكلم الله موسى تكليما) تصريح بالكلام مؤكد بالمصدر ، وذلك دليل على بطلان قول المعتزلة إنّ الشجرة هى التى كلمت موسى (رسلا مبشرين) منصوب بفعل مضمر أو على البدل (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) أى بعثهم الله ليقطع حجة من يقول لو أرسل إلىّ رسولا لآمنت (لكن الله يشهد) الآية : معناها أنّ الله يشهد بأن القرآن من عنده ، وكذلك تشهد الملائكة بذلك ، وسبب الآية : إنكار اليهود للوحى ، فجاء الاستدراك على تقدير أنهم قالوا لن نشهد بما أنزل إليك ، فقيل لكن الله يشهد بذلك ، وفى الآية من أدوات البيان الترديد ، وهو ذكر الشهادة أولا ، ثم ذكرها فى آخر الآية (أنزله

ضَلَـٰلًا بَعِيدًا ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۞ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۞ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ يَـٰٓأَهْلَ الْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا ثَلَـٰثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى السَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۞ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَـٰٓئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ۞ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ۞ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۞ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى الْكَلَـٰلَةِ إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ

بعلمه) فى هـذا دليل لأهل السنة على إثبات علـم الله ، خلافا للمعتزلة فى قولهم إنه عالم بلا عـلم ، وقد تأوّلوا الآية بتأويل بعيـد (ياأيها الناس) خطاب عام ، لأنّ النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم بعث إلى جميع الناس (فآمنوا خيرا لـكم) انتصب خبرا هنا ، وفى قوله انتهوا خيراً لـكم بفعل مضمر لايظهر تقـديره إيتوا خيرا لـكم هذا مذهب سيبويه ، وقال الخليل: انتصب بقوله آمنوا وانتهوا على المعنى ، وقال الفراء فآمنوا إيمانا خيرا لكم فنصبه على النعت لمصدر محذوف ، وقال الـكوفيون هو خبر كان المحذوفة تقديره يكن الإيمـان خيراً لـكم (وإن تـكفروا فإن لله مافى السموات والأرض) أى هو غنى عنكم لايضره كفركم (ياأهل الـكتاب لاتغلوا فى دينـكم) هذا خطاب للنصارى لأنهم غلوا فى عيسى حتى كفروا ، فلفظ أهل الـكتاب عموم يراد به الخصوص فى النصاوى ، بدليل مابعـد ذلك والغلو هو الإفراط وتجاوز الحـد (وكلمته) أى مـكون عن كلمته التى هى كن من غير واسطة أب ولا نطفة (وروح منه) أى ذو روح من الله ، فمن هنا لابتداء الغاية ، والمعنى من عند الله ، وجعله من عند الله لأن الله أرسل به جبريل عليه السلام إلى مريم (ولاتقولوا ثلاثة) نهى عن التثليث ، وهو مذهب النصارى وإعراب ثلاثة خـبر مبتدإ مضمر (له مافى السموات ومافى الأرض) برهان على تنزيهـه تعالى عن الولد ، لأنه مالك كل شىء (لن يستنـكف) لن يأنف كذلك ، ومعناه حيث وقع (ولا الملائكة) فيه دليل لمن قال إن الملائكة أفضل من الأنبياء ، لأن المعنى لن يستنـكف عيسى ومن فوقه (قد جاءكم برهان) هو القرآن ، وهو أيضا النور المبين ، ويحتمل أن يريد بالبرهان الدلائل والحجج ، وبالنور

مَاتَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوٓا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *

سورة المائدة

مدنية إلا آية ٣ فنزلت بعرفات فى حجة الوداع : وآياتها ١٢٠ نزلت بعد الفتح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ * يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَٰٓئِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ

النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه سماه سراجا (يستفتونك) أى يطلبون منك الفتيا ، ويحتمل أن يكون هذا الفعل طلبا للكلالة ، ويفتيكم أيضا طلب لها ، فيكون من باب الإعمال وإعمال العامل الثانى على اختيار البصريين أو يكون يستفتونك مقطوعا عن ذلك فيوقف عليه ، والأول أظهر ، وقد تقدم معنى الكلالة فى أول السورة والمراد بالأخت والأخ هنا : الشقائق ، والذين للأب إذا عدم الشقائق ، وقد تقدم حكم الإخوة للأم فى قوله وإن كان رجلا يورث كلالة الآية (إن امرؤ هلك) ارتفع بفعل مضمر عند البصريين ، ولا إشكال فيما ذكر هنا من أحكام المواريث (أن تضلوا) مفعول من أجله تقديره كراهية أن تضلوا : —

سورة المائدة

(أوفوا بالعقود) قيل إن العقود هنا عقدة الإنسان مع غيره من بيع ونكاح وعتق وشبه ذلك ، وقيل ماعقده مع ربه من الطاعات : كالحج والصيام وشبه ذلك ، وقيل ماعقده الله عليهم من التحليل والتحريم فى دينه ذكر مجملا ثم فصل بعد ذلك فى قوله : أحلت لكم ومابعده (بهيمة الأنعام) هى الإبل والبقر والغنم ، وإضافة البهيمة إليها من باب إضافة الشىء إلى ماهو أخص منه ؛ لأن البهيمة تقع على الأنعام وغيرها ، قال الزمخشرى : هى الإضافة التى بمعنى من كخاتم من حديد أى البهيمة من الأنعام ، وقيل هى الوحش : كالظباء ، وبقر الوحش والمعروف من كلام العرب أن الأنعام لاتقع إلا على الإبل والبقر والغنم ، وأن البهيمة تقع على كل حيوان ماعدا الإنسان (إلا مايتلى عليكم) يريد الميتة وأخواتها (غير محلى الصيد) نصب على الحال من الضمير فى لكم (وأنتم حرم) حال من محلى الصيد ، وحرم جمع حرام وهو المحرم بالحج ، فالاستثناء بإلا من البهائم المحللة ، والاستثناء بغير من القوم المخاطبين (لاتحلوا شعائر الله) قيل هى مناسك الحج ، كان المشركون يحجون ويعتمرون ، فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم ، فقيل لهم : لاتحلوا شعائر الله : أى لاتغيروا عليهم ولاتصدوهم وقيل هى الحرم ، وإحلاله الصيد فيه ، وقيل هى مايحرم على الحاج من النساء والطيب والصيد وغير ذلك ، وإحلاله فعله (ولا الشهر الحرام) قيل هو جنس الأشهر الحرام الاربعة ، وهى رجب وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، وقيل أشهر الحج ، وهى : شوال ، وذو القعدة وذو الحجة ، وإحلالها هو القتال فيها وتغيير حالها (ولا الهدى) هو مايهدى إلى البيت الحرام من الأنعام ويذبح تقربا إلى الله فنهى الله أن يستحل بأن يغار عليه

فَٱصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ، حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا

أو يصد عن البيت (ولا القلائد) قيل هى التى تعلق فى أعناق الهدى ، فهى عن التعرض لها، وقيل أراد ذوات القلائد من الهدى وهى البدن وجددها بالذكر بعد دخولها فى الهدى اهتماما بها وتأكيداً لأمرها (ولا آمين البيت الحرام) أى قاصدين إلى البيت لحج أو عمرة ونهى الله عن الإغارة عليهم أو صدهم عن البيت ونزلت الآية على ما قال السهيلى بسبب الحكم البكرى واسمه شريح بن ضبيعة أخذته خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقصد إلى الكعبة ليعتمر، وهذا النهى عن إحلال هذه الأشياء : عام فى المسلمين والمشركين ؛ ثم نسخ النهى عن قتال المشركين بقوله : اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وبقوله فلا يقربوا المسجد الحرام ، وبقوله : ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله (يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا) الفضل : الربح فى التجارة ، والرضوان : الرحمة فى الدنيا والآخرة (وإذا حللتم فاصطادوا) أى إذا حللتم من إحرامكم بالحج فاصطادوا إن شئتم ، فالأمر هنا إباحة بإجماع (ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) معنى لا يجرمنكم لا يكسبنكم ، يقال جرم فلان فلانا هذا الأمر إذا أكسبه إياه وحمله عليه ، والشنآن : هو البغض والحقد ، ويقال بفتح النون وإسكانها ، وأن صدوكم : مفعول من أجله ، وأن تعتدوا : مفعول ثان ليجرمنكم ، ومعنى الآية : لا تحملنكم عداوة قوم على أن تعتدوا عليهم من أجل أن صدوكم عن المسجد الحرام ، ونزلت عام الفتح حين ظفر المسلمون بأهل مكة فأرادوا أن يستأصلوهم بالقتل لأنهم كانوا قد صدوهم عن المسجد الحرام عام الحديبية ، فنهاهم الله عن قتلهم ، لأن الله علم أنهم يؤمنون (وتعاونوا على البر والتقوى) وصية عامة ، والفرق بين البر والتقوى أن البر عام فى فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات ، وفى كل ما يقرب إلى الله . والتقوى فى الواجبات وترك المحرمات دون فعل المندوبات فالبر أعم من التقوى (ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) الفرق بينهما أن الإثم كل ذنب بين العبد وبين الله أو بينه وبين الناس ، والعدوان على الناس (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) تقدم الكلام عليها فى البقرة (والمنخنقة) هى التى تخنق بحبل وشبهه (والموقوذة) هى المضروبة بعصا أو حجر وشبهه ، والمتردية هى التى تسقط من جبل أو شبه ذلك ، والنطيحة هى التى نطحتها بهيمة أخرى (وما أكل السبع) أى أكل بعضه ، والسبع كل حيوان مفترس : كالذئب والأسد والنمر والثعلب والعقاب والنسر (إلا ما ذكيتم) قيل إنه استثناء منقطع، وذلك إذا أريد بالمنخنقة وأخواتها : ما مات من الاختناق والوقذ والتردية والنطح وأكل السبع والمعنى حرمت عليكم هذه الأشياء ، لكن ما ذكيتم من غيرها ، فهو حلال ، وهذا قول ضعيف لأنها إن ماتت بهذه الأسباب ، فهى ميتة فقد دخلت فى عموم الميتة فلا فائدة لذكرها بعدها ، وقيل إنه استثناء متصل ، وذلك إن أريد بالمنخنقة وأخواتها ما أصابته تلك الأسباب وأدركت ذكاته ، والمعنى على هذا : إلا ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء فهو حلال ، ثم اختلف أهل هذا القول هل يشترط أن تكون لم تنفذ مقاتلها أم لا ، وأما إذا لم تشرف على الموت من هذه الأسباب ، فذكاتها جائزة باتفاق (وما ذبح على النصب) عطف على المحرمات المذكورة ، والنصب

ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذٰلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم
واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في
مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم * يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم
من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه

حجارة كان أهل الجاهلية يعظمونها ويذبحون عليها ، وليست بالأصنام لأن الأصنام مصورة والنصب غير مصورة وهي الأنصاب ، والمفرد نصاب ، وقد قيل إن النصب بضمتين مفرد ، وجمعه أنصاب (وأن تستقسموا بالأزلام) عطف على المحرمات أيضا ، والاستقسام . هو طلب ما قسم له ، والأزلام هي السهام . واحدها زلم بضم الزاي وفتحها ، وكانت ثلاثة قد كتب على أحدها افعل ، وعلى الآخر لا تفعل ، والثالث مهمل ، فإذا أراد الإنسان أن يعمل أمرا جعلها في خريطة ، وأدخل يده وأخرج أحدها ، فإن خرج له الذي فيه افعل : فعل ما أراد ، وإن خرج له الذي فيه لا تفعل تركه ، وإن خرج المهمل أعاد الضرب (ذلكم فسق) الإشارة إلى تناول المحرمات المذكورة كلها ، أو إلى الاستقسام بالأزلام ، وإنما حرمه الله وجعله فسقا : لأنه دخول في علم الغيب الذي انفرد الله به فهو كالكهانة وغيرها مما يرام به الاطلاع على الغيوب (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) أي يئسوا أن يغلبوه ويطلبوه ، ونزلت بعد العصر من يوم الجمعة يوم عرفة في حجة الوداع ، فذلك هو اليوم المذكور لظهور الإسلام فيه وكثرة المسلمين ، ويحتمل أن يكون الزمان الحاضر لا اليوم بعينه (اليوم أكملت لكم دينكم) هذا الإكمال يحتمل أن يكون بالنصر والظهور أو بتعليم الشرائع وبيان الحلال والحرام (فمن اضطر) راجع إلى المحرمات المذكورة قبل هذا ، أباحها الله عند الاضطرار (في مخمصة) في مجاعة (غير متجانف لإثم) هذا بمعنى غير باغ ولا عاد وقد تقدم في البقرة (فإن الله غفور رحيم) قام مقام فلا جناح عليه ، وتضمن زيادة الوعد (يسئلونك ماذا أحل لهم) سببها أن المسلمين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحل لهم من المآكل وقيل لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، سألوه ماذا يحل لنا من الكلاب فنزلت مبينة للصيد بالكلاب (قل أحل لكم الطيبات) هي عند مالك الحلال ، وذلك مما لم يرد تحريمه في كتاب ولا سنة وعند الشافعي الحلال المستلذ ، فحرم كل مستقذر كالخنافس وشبهها لأنها من الخبائث (وما علمتم من الجوارح) عطف على الطيبات على حذف مضاف تقديره وصيد ما علمتم ، أو مبتدأ وخبره فكلوا مما أمسكن عليكم وهذا أحسن ، لأنه لا خلاف فيه ، والجوارح هي الكلاب ونحوها مما يصطاد به وسميت جوارح لأنها كواسب لأهلها ، فهو من الجرح بمعنى الكسب ولا خلاف في جواز الصيد بالكلاب ، واختلف فيمن سواها ومذهب الجمهور الجواز للأحاديث الواردة في البازات وغيرها ، ومنع بعض ذلك لقوله مكلبين ، فإنه مشتق من الكلب الكلب ونزلت الآية بسبب عدي بن حاتم ، كان له كلاب يصطاد بها ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحل من الصيد (مكلبين) أي معلمين للكلاب الاصطياد ، وقيل معناه أصحاب كلاب وهو منصوب على الحال من ضمير الفاعل في علمتم ويقتضي قوله علمتم ومكلبين أنه لا يجوز الصيد إلا بجارح معلم ، لقوله وما علمتم وقوله مكلبين على القول الأول لتأكيده ذلك بقوله : تعلمونهن ، وحد التعليم

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ

عند ابن القاسم أن يعلم الجارح الإشلاء والزجر ، وقيل الإشلاء خاصة ، وقيل الزجر خاصة ، وقيل أن يجيب إذا دعى (تعلمونهن مما علمكم الله) أى تعلمونهن من الحيلة فى الاصطياد وتأتى تحصيل الصيد ، وهذا جزء مما علمه الله الإنسان ، فمن للتبعيض ، ويحتمل أن تكون لابتداء الغاية والجملة فى موضع الحال أو استئناف (فكلوا مما أمسكن عليكم) الأمر هنا للإباحة ويحتمل أن يريد مما أمسكن ، سواء أكلت الجوارح منه أو لم تأكل ، وهو ظاهر إطلاق اللفظ ، وبذلك أخذ مالك ، ويحتمل أن يريد مما أمسكن ولم يأكل منه ، وبذلك فسره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : فإن أكل منه فلا تأكل ؛ فإنه إنما أمسك على نفسه ، وقد أخذ بهذا بعض العلماء ، وقد ورد فى حديث آخر إذا أكل فكل ، وهو حجة لمالك (واذكروا اسم الله عليه) هذا أمر بالتسمية على الصيد، ويجرى الذبح مجراه ، وقد اختلف الناس فى حكم التسمية ، فقال الظاهرية إنها واجبة حملا للأمر على الوجوب ، فإن تركت التسمية عمدا أو نسيانا ، لم تؤكل عندهم وقال الشافعى أنها مستحبة ، حملا للأمر على الندب وتؤكل عنده ، سواء تركت التسمية عمدا أو نسيانا ، وجعل بعضهم الضمير فى عليه عائداً على الأكل فليس فيها على هذا أمر بالتسمية على الصيد ومذهب مالك أنه إن تركت التسمية عمدا لم تؤكل ، وإن تركت نسيانا أكلت فهى عنده واجبة مع الذكر ، ساقطة مع النسيان (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) معنى حل: حلال ، والذين أتوا الكتاب هم اليهود والنصارى ، واختلف فى نصارى بنى تغلب من العرب ، وفيمن كان مسلما ثم ارتد إلى اليهودية أو النصرانية ، هل يحل لنا طعامهم أم لا ، ولفظ الآية يقتضى الجواز لأنهم من أهل الكتاب ، واختلف فى المجوس والصابئين ، هل هم أهل كتاب أم لا ؟ وأما الطعام ، فهو على ثلاثة أقسام أحدها الذبائح وقد اتفق العلماء على أنها مرادة فى الآية ، فأجازوا أكل ذبائح اليهود والنصارى ، واختلفوا فيما هو محرم عليهم فى دينهم ، هل يحل لنا أم لا على ثلاثة أقوال : الجواز ، والمنع ، والكراهة ، وهذا الاختلاف مبنى على هل هو من طعامهم أم لا فإن أريد بطعامهم ماذبحوه جاز ، وإن أريد به مايحل لهم منع ، والكراهة توسط بين القولين القسم الثانى مالامحاولة لهم فيه كالقمح والفاكهة فهو جائز لنا باتفاق ، والثالث ما فيه محاولة : كالخبز ، وتعصير الزيت ، وعقد الجبن وشبه ذلك مما يمكن استعمال النجاسة فيه ، فمنعه ابن عباس لأنه رأى أن طعامهم هو الذبائح خاصة ، ولأنه يمكن أن يكون نجسا ، وأجازه الجمهور ، لأنه رأوه داخلا فى طعامهم ، هذا إذا كان استعمال النجاسة فيه محتملا ، فأما إذا تحققنا استعمال النجاسة فيه كالخمر والخنزير والميتة ، فلا يجوز أصلا وقد صنف الطرطوشى فى تحريم جبن النصارى ، وقال إنه ينجس البائع والمشترى والآلة ، لأنهم يعقدونه بأنفحة الميتة ، ويجرى مجرى ذلك الزيت إذا علمنا أنهم يجعلونه فى ظروف الميتة (وطعامكم حل لهم) هذه إباحة للمسلمين أن يطعموا أهل الكتاب من طعامهم (والمحصنات) عطف على الطعام المحلل ، وقد تقدم أن الإحصان له أربعة معان : الإسلام ، والتزوج والعفة ، والحرية . فأما الإسلام فلا يصح هنا لقوله من الذين أوتوا الكتاب ، وأما التزوج فلا يصح أيضا لأن ذات الزوج لاتحل لغيره ، ويحتمل هنا العفة والحرية ، فمن حمله

فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ

على العفة أجاز نكاح المرأة الكتابية سواء كانت حرة أو أمة ، ومن حمله على الحرية أجاز نكاح الكتابية الحرة ومنع الأمة ، وهو مذهب مالك ، ولا تعارض بين هذه الآية . وبين قوله «ولا تنكحوا المشركات» لأن هذه في الكتابيات ، والأخرى في المشركات ، وقد جعل بعض الناس هذه ناسخة لتلك ، وقيل بالعكس ، وقد تقدم معنى «فآتوهن أجورهن» ومعنى الأخدان (ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) الآية : نزلت في غزوة المريسيع ، حين انقطع عقد عائشة رضي الله عنها ، فأقام الناس على التماسه وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء ، فنزلت الرخصة في التيمم ، فقال أسيد بن حضير ماهذه بأول بركاتكم ياآل أبي بكر ، ولذلك سميت الآية آية التيمم ، وقد كان الوضوء مشروعا قبلها ، ثابتا بالسنة ، وقوله إذا قمتم إلى الصلاة معناه إذا أردتم القيام إلى الصلاة فتوضئوا ويقتضي ظاهرها وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة ، وهو مذهب ابن سيرين وعكرمة ومذهب الجمهور أنه لا يجب ، واختلفوا في تأويل الآية على أربعة أقوال: الأول أن وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة منسوخ بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد ، والثاني أن ما تقتضيه الآية من التجديد يحمل على الندب ، والثالث أن تقديرها إذا قمتم محدثين فإنما يجب على من أحدث ، والرابع أن تقديرها إذا قمتم من النوم (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق) ذكر في هذه الآية . أربعة أعضاء اثنين محدودين ، وهما اليدان والرجلان واثنين غير محدودين وهما الوجه والرأس أما المحدودان فتغسل اليدان إلى المرفقين ، والرجلان إلى الكعبين وجوبا بإجماع ، فإن ذلك هو الحد الذي جعل الله لهما ، واختلف هل يجب غسل المرفقين مع اليدين ، وغسل الكعبين مع الرجلين أم لا ، وذلك مبني على معنى إلى ، فمن جعل إلى بمعنى مع في قوله إلى المرافق وإلى الكعبين أوجب غسلهما ومن جعلها بمعنى الغاية لم يوجب غسلهما ؛ واختلف في الكعبين ، هل هما اللذان عند معقد الشراك أو العظمان الناتئان في طرف الساق ، وهو أظهر لأنه ذكرهما بلفظ التثنية ، ولو كان اللذان عند معقد الشراك لذكرهما بلفظ الجمع كما ذكر المرافق ، لأنه على ذلك في كل رجل كعب واحد وأما غير المحدودين ، فاتفق على وجوب إيعاب الوجه . وحده طولا من أول منابت الشعر إلى آخر الذقن أو اللحية ، وحده عرضا من الأذن إلى الأذن وقيل من العذار إلى العذار ، وأما الرأس ، فمذهب مالك وجوب إيعابه كالوجه ، ومذهب كثير من العلماء جواز الاقتصار على بعضه ، لما ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسح على ناصيته ، ولكنهم اختلفوا في القدر الذي يجزئ على أقوال كثيرة (وامسحوا برؤسكم) اختلف في هذه الباء فقال قوم إنها للتبعيض وبنوا على ذلك جواز مسح بعض الرأس ، وهذا القول غير صحيح عند أهل العربية وقال القرافي إنها باء الاستعانة التي تدخل على الآلات وأن المعنى امسحوا أيديكم برؤسكم ، وهذا ضعيف لأن الرأس على هذا ماسح لا ممسوح ، وذلك خلاف المقصود ، وقيل إنها زائدة وهو ضعيف ، لأن هذا ليس موضع زيادتها والصحيح عندي أنها باء الإلصاق التي توصل الفعل إلى مفعوله لأن المسح تارة يتعدى بنفسه ، وتارة بحرف الجر : كقوله : فامسحوا بوجوهكم ، وكقوله «فطفق مسحا بالسوق والأعناق» (وأرجلكم إلى الكعبين) قرئ وأرجلكم بالنصب عطفا على الوجوه والأيدي فيقتضي ذلك وجوب غسل الرجلين ، وقرئ بالخفض

أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ النِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ * يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ * فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا

لحمله بعضهم على أنه عطف على قوله برؤسكم ، فأجاز مسح الرجلين ، روى ذلك عن ابن عباس ، وقال الجمهور لايجوز مسحهما بل يجب غسلهما وتأولوا قراءة الخفض بثلاثة تأويلات أحدها أنه خفض على الجوار لا على العطف والآخر أنه يراد به المسح على الخفين ، والثالث أن ذلك منسوخ بالسنة . والفرق بين الغسل والمسح أن المسح إمرار اليدين بالبلل الذى يبقى من الماء ، والغسل عند مالك إمرار اليد بالماء ، وعند الشافعى إمرار الماء ، وإن لم يدلك باليد (وإن كنتم مرضى أو على سفر) تقدم الكلام على نظيرتها فى النساء (مايريد الله ليجعل عليكم من حرج) أى من ضيق ولا مشقة كقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دين الله يسر ، وباقى الآية تفضل من الله على عباده ورحمة وفى ضمن ذلك ترغيب فى الطهارة وتنشيط عليها (وميثاقه الذى واثقكم به) هو ما وقع فى بيعة العقبة وبيعة الرضوان ، وكل موطن قال المسلمون فيه سمعنا وأطعنا (كونوا قوامين) تقدم الكلام على نظيرتها فى النساء (ولا يجرمنكم) أى لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم (إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم) فى سببها أربعة أقوال : الأول أن النبى صلى الله عليه وسلم ذهب إلى بنى النضير من اليهود ، فهموا أن يصبوا عليه صخرة يقتلونه بها ، فأخبره جبريل بذلك فقام من المكان ويقوى هذا القول ما ورد فى الآيات بعد هذا فى غدر اليهود ، والثانى أنها نزلت فى شأن الأعرابى الذى سل السيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وجده فى سفر وهو وحده وقال له من يمنعك منى قال الله فأغمد السيف وجلس واسمه غورث بن الحارث الغطفانى ، والثالث أنها فيما هم به الكفار من الإيقاع بالمسلمين حين نزلت صلاة الخوف ، والرابع أنها على الإطلاق فى دفع الله الكفار عن المسلمين (اثنى عشر نقيبا) النقيب هو كبير القوم القائم بأمورهم (إنى معكم)

حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُ سُبُلَ السَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ * يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَآءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَٰلَمِينَ * يَٰقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ

أى بنصرى ، والخطاب لبنى إسرائيل ، وقيل للنقباء (يحرفون الكلم) اختلف هل أريد تحريف الألفاظ أو المعانى (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) أى على خيانة فهو مصدر كالعاقبة ، وقيل على طائفة خائنة ، وهو إخبار بأمر مستقبل (فاعف عنهم) منسوخ بالسيف والجزية (ومن الذين قالوا إنا نصارى) أى ادعوا أنهم أنصار الله ، وسموا أنفسهم بذلك ثم كفروا بالله ووصفوه بما لا يليق به ، وتتعلق من الذين بأخذنا ميثاقهم والضمير عائد على النصارى (فأغرينا) أى أثبتنا وألصقنا ، وهو مأخوذ من الإغراء (ياأهل الكتاب) فى الموضعين يعم اليهود والنصارى وقيل إنها نزلت بسبب اليهود الذين كانوا بالمدينة فإنهم كانوا يذكرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويصفونه بصفته فلما حل بالمدينة كفروا به (قد جاءكم رسولنا) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ، وفى الآية دلالة على صحة نبوته لأنه بين لهم ما أخفوه مما فى كتبهم ، وهو أمى لم يقرأ كتبهم (ويعفو عن كثير) أى يتركه ولا يفضحكم (فيه نور وكتاب مبين) محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (قل فمن يملك من الله شيئا) الآية: رد على الذين قالوا إن الله هو عيسى ، وهم فرقة من النصارى (يخلق ما يشاء) إشارة إلى خلقه عيسى من غير والد (وقالت اليهود والنصارى) أى قالت كل فرقة عن نفسها إنهم أبناء الله وأحباؤه والبنوة هنا بنوة الحنان والرأفة ، وقال الزمخشرى المعنى : نحن أشياع أبناء الله عندهم ، وهما المسيح وعزير كما يقول حشم الملوك نحن الملوك (فلم يعذبكم) رد عليهم ، لأنهم قد اعترفوا أنهم يدخلون النار أياما معدودات ، وقد أخذ الصوفية من الآية أن المحب لا يعذب

الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ۝ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۝ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ

حبيبه ، ففي ذلك بشارة لمن أحبه الله (وجعلكم ملوكا) قيل جعل منكم ملوكا أي أمراء ، وقيل الملك من له مسكن وامرأة وخادم (مالم يؤت أحداً من العالمين) قيل يعني المنّ والسلوى والغمام وغير ذلك من الآيات ، وعلى هذا يكون العالمين خاصا بأهل زمانهم ، لأن أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد أوتيت من آياته مثل ذلك وأعظم ، وقيل المراد كثرة الأنبياء ، فعلى هذا يكون عاما ، لأن الأنبياء في بني إسرائيل أكثر منهم في سائر الأمم (الأرض المقدسة) أرض بيت المقدس ، وقيل الطور ، وقيل دمشق (التي كتب الله لكم) أي قضى أن تكون لكم (ولا ترتدوا على أدباركم) يحتمل أن يريد الارتداد عن الدين والطاعة والرجوع إلى الطريق الذي جاءوا منه فإنه روى أنه لما أمرهم موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة خافوا من الجبارين الذين فيها ، وهموا أن يقدموا على أنفسهم رئيسا ويرجعوا إلى مصر (قوما جبارين) هم العمالقة (قال رجلان) هما يوشع وكالب (يخافون) أي يخافون الله ، وقيل يخافون الجبارين ، ولكن الله أنعم عليهما بالصبر والثبوت لصدق إيمانهما (ادخلوا عليهم الباب) أي باب المدينة (فاذهب أنت وربك) إفراط في العصيان وسوء الأدب بعبارة تقتضي الكفر والاستهانة بالله ورسوله. وأين هؤلاء من الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسنا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل ولكن نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون (لا أملك إلا نفسي وأخي) قاله موسى عليه السلام ليتبرأ إلى الله من قول بني إسرائيل ويبذل جهده في طاعة الله ويعتذر إلى الله وإعراب أخي عطف على نفسي لأن أخاه هارون كان يطيعه ، وقيل عطف على الضمير في لا أملك : أي لا أملك أنا إلا نفسي ولا يملك أخي إلا نفسه ، وقيل مبتدأ ، وخبره محذوف أي أخي لا يملك إلا نفسه (فافرق بيننا) أي فارق بيننا وبينهم فهو من الفرقة ، وقيل افصل بيننا وبينهم بحكم (قال فإنها محرّمة عليهم أربعين سنة) الضمير في قال لله تعالى ، وحرم الله على جميع بني إسرائيل دخول تلك المدينة أربعين سنة وتركهم في هذه المدة يتيهون في الأرض أي في أرض التيه وهو ما بين مصر والشام حتى مات كل من قال . إنا لن ندخلها . ولم يدخلها أحد من ذلك الجيل إلا يوشع وكالب ومات هرون في التيه ومات موسى بعده في التيه أيضا . وقيل إن موسى وهارون لم يكونا في التيه ، لقوله فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ، وخرج يوشع ببني إسرائيل بعد الأربعين سنة ، وقاتل الجبارين ، وفتح المدينة ، والعامل في أربعين : محرمة على الأصح ، فيجب وصله معه وقيل العامل فيه يتيهون فعلى هذا يجوز الوقف على قوله محرمة عليهم ، وهذا ضعيف لأنه لا حامل على تقديم المعمول هنا مع أن القول الأول أكمل معنى لأنه بيان لمدة التحريم والتيه (يتيهون) أي يتحيرون ، وروى

فِى الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَـٰسِقِينَ ۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَىْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۞ لَئِن بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَـٰلَمِينَ ۞ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَـٰبِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا الظَّـٰلِمِينَ ۞ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَـٰسِرِينَ ۞ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ النَّـٰدِمِينَ ۞ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ

أنهم كانوا يسيرون الليل كله ، فإذا أصبحوا وجدوا أنفسهم فى الموضع الذى كانوا فيه (فلا تأس) أى لا تحزن والخطاب لموسى، وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ويراد بالفاسقين من كان فى عصره من اليهود (نبأ ابنى آدم) هما قابيل وهابيل (إذ قربا قربانا) روى أن قابيل كان صاحب زرع فقرب أرذل زرعه ، وكان هابيل صاحب غنم فقرب أحسن كبش عنده ، وكانت العادة حينئذ أن يقرب الإنسان قربانه إلى الله ويقوم يصلى ، فإذا نزلت نار من السماء وأكلت القربان فذلك دليل على القبول وإلا فلا قبول ، فنزلت النار فأخذت كبش هابيل ورفعته وتركت زرع قابيل فحسده قابيل فقتله (إنما يتقبل الله من المتقين) استدل بها المعتزلة وغيرهم على أن صاحب المعاصى لا يتقبل عمله، وتأولها الأشعرية بأن التقوى هنا يراد بها تقوى الشرك (لئن بسطت إلى يدك) الآية ، قيل معناها لئن بدأتنى بالقتال لم أبدأك به ، وقيل إن بدأتنى بالقتال لم أدافعك ، ثم اختلف على هذا القول هل تركه لدفاعه عن نفسه تورعا وفضيلة ؟ وهو الأظهر والأشهر ، وكان واجبا عندهم أن لا يدافع أحد عن نفسه وهو قول مجاهد ، وأما فى شرعنا فيجوز دفع الإنسان عن نفسه بل يجب (إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك) الإرادة هنا ليست بإرادة محبة وشهوة ، وإنما هو تخيير فى أهون الشرين كأنه قال إن قتلتنى ، فذلك أحب إلى من أن أقتلك كما ورد فى الأثر كن عبد الله المقتول ، ولا تكن عبد الله القاتل ، وأما قوله بإثمى وإثمك فمعناه بإثم قتلى لك لو قتلتك ، وبإثم قتلك لى ، وإنما يحمل القاتل الإثمين ، لأنه ظالم، فذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم : المتسابان ما قالا فهو على البادئ ، وقيل بإثمى : أى تحمل عنى سائر ذنوبى ، لأن الظالم تجعل عليه فى القيامة ذنوب المظلوم، وبإثمك أى فى قتلك لى ، وفى غير ذلك من ذنوبك (وذلك جزاء الظالمين) يحتمل أن يكون من كلام هابيل ، أو استئنافا من كلام الله تعالى (فبعث الله غرابا) الآية : روى أن غرابين اقتتلا حتى قتل أحدهما الآخر ، ثم جعل القاتل يبحث عن التراب ويوارى الميت ، وقيل بل كان غرابا واحدا يبحث ويلقى التراب على هابيل (سوءة أخيه) أى عورته وخصت بالذكر ، لأنها أحق بالستر من سائر الجسد والضمير فى أخيه عائد على ابن آدم ، ويظهر من هذه القصة أن هابيل كان أول من دفن من بنى آدم (قال ياويلتا) أصله ياويلتى ، ثم أبدل من الياء ألف وفتحت التاء وكذلك يا أسفى . ويا حسرتى (فأصبح من النادمين) على ما وقع فيه من قتل أخيه ، واختلف فى قابيل هل كان كافراً أو عاصيا ، والصحيح أنه لم يكن فى تلك المدة كافراً لأنه قصد التقرب إلى الله بالقربان ، وأصبح

نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ * إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا أَوْ يُصَلَّبُوٓا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن

هنا وفى الموضع عبارة عن جميع الأوقات لا مختصة بالصباح (من أجل ذلك) يتعلق بكتبنا ، وقيل بالنادمين ، وهو ضعيف (كتبنا على بنى إسرائيل) أى فرضنا عليهم أو كتبناه فى كتبهم (بغير نفس) معناه من غير أن يقتل نفسا يجب عليه القصاص (أو فساد فى الأرض) يعنى الفساد الذى يجب به القتل كالحرابة (فكأنما قتل الناس جميعا) تمثيل قاتل الواحد بقاتل الجميع يتصور من ثلاث جهات إحداها القصاص ، فإن القصاص فى قاتل الواحد والجميع سواء. الثانية انتهاك الحرمة والإقدام على العصيان ، والثالثة الإثم والعذاب الأخروى قال مجاهد : وعد الله قاتل النفس بجهنم والخلود فيها ، والغضب واللعنة والعذاب العظيم ، فلو قتل جميع الناس لم يزد على ذلك ، وهذا الوجه هو الأظهر ، لأن القصد بالآية : تعظيم قتل النفس والتشديد فيه لينزجر الناس عنه ، وكذلك الثواب فى إحيائها كثواب إحياء الجميع لتعظيم الأمر والترغيب فيه وإحياؤها هو إنقاذها من الموت كإنقاذ الحريق أو الغريق وشبه ذلك وقيل بترك قتلها ، وقيل بالعفو إذا وجب القصاص (ولقد جاءتهم) الضمير لبنى إسرائيل . والمعنى تقبيح أفعالهم ، وفى ذلك إشارة إلى ما هموا به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) الآية : سببها عند ابن عباس أن قوما من اليهود كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل ، وقال جماعة نزلت فى نفر من عكل وعرينة أسلموا ثم إنهم قتلوا راعى النبى صلى الله عليه وسلم وأخذوا إبله ثم حكمها بعد ذلك فى كل محارب ، والمحاربة عند مالك هى حمل السلاح على الناس فى بلد أو فى خارج بلد ، وقال أبو حنيفة لا يكون المحارب إلا خارج البلد ، وقوله : يحاربون الله : تغليظ ومبالغة ، وقال بعضهم تقديره يحاربون رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وذلك ضعيف ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام ذكر بعد ذلك وقيل يحاربون عباد الله وهو أحسن (ويسعون فى الأرض فسادا) بيان للحرابة وهى على درجات أدناها إخافة الطريق ثم أخذ المال ثم قتل النفس (أن يقتلوا أو يصلبوا) الصلب مضاف إلى القتل وقيل يقتل ثم يصلب ليراه أهل الفساد فينزجروا ، وهو قول أشهب ، وقيل يصلب حيا ، ويقتل على الخشبة ، وهو قول ابن القاسم (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) معناه أن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى ، ثم إن عاد : قطعت يده اليسرى ورجله اليمنى ، وقطع اليد عند مالك والجمهور من الرسغ ، وقطع الرجل من المفصل ، وذلك فى الحرابة وفى السرقة (أو ينفوا من الأرض) مشهور مذهب مالك أن ينفى من بلد إلى بلد آخر ، ويسجن فيه إلى أن تظهر توبته ، وروى عنه مطرف أنه يسجن فى البلد بعينه ، وبذلك قال أبو حنيفة ، وقيل ينفى إلى بلد آخر دون أن يسجن فيه ، ومذهب مالك أن الإمام مخير فى المحارب بين أن يقتله ويصلبه ، أو يقتله ولا يصلبه أو يقطع يده ورجله ، أو ينفيه ، إلا أنه قال إن كان قتل فلا بد من قتله ، وإن لم يقتل ، فالأحسن أن يأخذ

تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ * وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

فيه بأيسر العقاب ، وقال الشافعى وغيره : هذه العقوبات مرتبة فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب ، ومن قتل ولم يأخذ المال قتل ولم يصلب ، ومن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله ، ومن أخاف السبيل ولم يقتل ولم يأخذ مالا نفى ، وحجة مالك عطف هذه العقوبات بأو التى تقتضى التخيير (خزى فى الدنيا) هو العقوبة ، وعذاب الآخرة النار وظاهر هذا أن العقوبة فى الدنيا لاتكون كفارة للمحارب ، بخلاف سائر الحدود ، ويحتمل أن يكون الخزى فى الدنيا لمن عوقب فيها ، والعذاب فى الآخرة لمن لم يعاقب (إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) قيل هى فى المشركين وهو ضعيف ، لأن المشرك لايختلف حكم توبته قبل القدرة عليه وبعدها ، وقيل هى فى المحاربين من المسلمين وهو الصحيح ، وهم الذين جاءتهم العقوبات المذكورة ، فمن تاب منهم قبل أن يقدر عليه ، فقد سقط عنه حكم الحرابة لقوله : فاعلموا أن الله غفور رحيم واختلف يطالب بما عليه من حقوق الناس فى الدماء والأموال أولا ؟ فوجه المطالبة بها أنها زائدة على حد الحرابة التى سقطت عنه بالتوبة ، ووجه إسقاطها إطلاق قوله غفور رحيم (وابتغوا إليه الوسيلة) أى مايتوسل به ويتقرب به إليه من الأعمال الصالحة والدعاء وغير ذلك (ليفتدوا به) إن قيل لم وحد الضمير وقد ذكر شيئين وهما مافى الأرض ومثله ؟ فالجواب أنه وضع المفرد فى موضع الاثنين ، وأجرى الضمير مجرى اسم الإشارة كأنه قال ليفتدوا بذلك ، أوتكون الواو بمعنى مع (عذاب مقيم) أى دائم ، وكذلك نعيم مقيم (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) عموم الآية يقتضى قطع كل سارق إلا أن الفقهاء اشترطوا فى القطع شروطا خصصوا بها العموم ، فمن ذلك من اضطره الجوع إلى السرقة لم يقطع عند مالك لتحليل الميتة له ، وكذلك من سرق مال والده أوسيده ، أومن سرق من غير حرز ، أوسرق أقل من النصاب ، وهو عند مالك ربع دينار من الذهب ، أوثلاثة دراهم من الفضة ، أومايساوى أحدهما ، وأدلة التخصيص بهذه الأشياء فى غير هذه الآية ، وقد قيل إن الحرز مأخوذ من هذه الآية ، لأن ما أهمل بغير حرز أوائتمن عليه ، فليس أخذه سرقة وإنما هو اختلاس أوخيانة ، وإعراب السارق عند سيبويه مبتدأ ، وخبره محذوف : كأنه قال فيما يتلى عليكم السارق والسارقة ، والخبر عند المبرد وغيره فاقطعوا أيديهما ، ودخلت الفاء لتضمنها معنى الشرط (فمن تاب من بعد ظلمه) الآية : توبة السارق هو أن يندم على ما مضى ، ويقلع فيما يستقبل ، ويرد ماسرق إلى من يستحقه ، واختلف إذا تاب قبل أن يصل إلى الحاكم ، هل يسقط عنه القطع وهو مذهب الشافعى لظاهر الآية ؟ أولا يسقط عنه وهو مذهب مالك لأن الحدود عنده

يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۞ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ

لاتسقط بالتوبة إلاعن المحارب للنص عليه (يعذب من يشاء) قدم العذاب على المغفرة لأنه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة (ياأيها الرسول) الآية : خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على وجه التسلية (من الذين قالوا آمنا بأفواههم) هم المنافقون (ومن الذين هادوا) يحتمل أن يكون عطفا على الذين قالوا آمنا ، ثم يكون سماعون استئناف إخبار عن الصنفين المنافقين واليهود ، ويحتمل أن يكون من الذين هادوا : استئنافا منقطعا مما قبله ، وسماعون راجع إليهم خاصة (سماعون لقوم آخرين) أي سماعون كلام قوم آخرين من اليهود الذين لا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم لإفراط البغضة والمجاهرة بالعداوة ، فقوله لم يأتوك صفة لقوم آخرين ، والمراد بالقوم الآخرين يهود خيبر ، والسماعون للكذب بنو قريظة (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أي يبدلونه من بعد أن يوضع في موضعه ، وقصدت به وجوهه القويمة ، وذلك من صفة اليهود (يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه) نزلت بسبب أن يهوديا زنى بيهودية فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود عن حد الزاني عندهم فقالوا نجلدهما ونحمم وجوههما . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فى التوراة الرجم ، فأنكروا ذلك ، فأمرهم أن يأتوا بالتوراة فقرؤها ، فجعل أحدهم يده على آية الرجم ، فقال له عبدالله بن سلام ارفع يدك فرفع ، فإذا آية الرجم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهودي واليهودية فرجما ، فمعنى قولهم إن أوتيتم هذا فخذوه : إن أوتيتم هذا الذى ذكرتم من الجلد والتحميم فخذوه واعملوا به ، وإن لم تؤتوه وأفتاكم محمد صلى الله عليه وسلم بغيره فاحذروا (فتنته) أى ضلالته فى الدنيا أو عذابه فى الآخرة (فى الدنيا خزى) الذلة والمسكنة والجزية (سماعون للكذب) إن كان الأول فى اليهود فكررها هنا تأكيدا ، وإن كان الأول فى المنافقين واليهود فهذا فى اليهود خاصة (أكالون للسحت) أى للحرام من الرشوة والربا وشبه ذلك (فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) هذا تخيير للنبي صلى الله عليه وسلم فى أن يحكم بين اليهود أو يتركهم وهو أيضا يتناول الحاكم ، وقيل إنه منسوخ بقوله : وأن احكم بينهم بما أنزل الله (وكيف يحكمونك) الآية : استبعاد لتحكيمهم النبي صلى الله عليه وسلم وهم لا يؤمنون به ، مع أنهم يخالفون حكم التوراة التى يدعون الإيمان بها ، فمعنى ثم يتولون من بعد ذلك أى يتولون عن اتباع حكم الله فى التوراة من بعد كون حكم الله فيها موجودا عندهم ومعلوما فى قضية الرجم وغيرها (وما أولئك بالمؤمنين) يعنى أنهم لا يؤمنون بالتوراة وبموسى عليه

بِالْمُؤْمِنِينَ * إِنَّآ أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ * وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ

السلام ، وهذا إلزام لهم لأن من خالف كتاب الله وبدله فدعواه الإيمان به باطلة (النبيون الذين أسلموا) هم الأنبياء الذين بين موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ، ومعنى أسلموا هنا أخلصوا لله وهو صفة مدح أريد به التعريض باليهود لأنهم بخلاف هذه الصفة ، وليس المراد هنا الإسلام الذى هو ضد الكفر ؛ لأن الأنبياء لا يقال فيهم أسلموا على هذا المعنى ، لأنهم لم يكفروا قط ، وإنما هو كقول إبراهيم عليه السلام : أسلمت لرب العالمين ، وقوله تعالى فقل أسلمت وجهى لله (للذين هادوا) متعلق بيحكم أى يحكم الأنبياء بالتوراة للذين هادوا ، ويحملونهم عليها ، ويتعلق بقوله فيه هدى ونور (بما استحفظوا) أى كلفوا حفظه ، والباء هنا سببية قاله الزمخشرى، ويحتمل أن تكون بدلا من المجرور فى قوله يحكم بها (فلا تخشوا الناس) وما بعده خطابا لليهود ، ويحتمل أن تكون وصية للمسلمين يراد بها التعريض باليهود ، لأن ذلك من أفعالهم (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال ابن عباس نزلت الثلاثة فى اليهود : الكافرون، والظالمون ، والفاسقون ، وقد روى فى هذا أحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال جماعة هى عامة فى كل من لم يحكم بما أنزل الله من اليهود والمسلمين وغيرهم ، إلا أن الكفر فى حق المسلمين كفر معصية لا يخرجهم عن الإيمان ، وقال الشافعى : الكافرون فى المسلمين ، والظالمون فى اليهود ، والفاسقون فى النصارى (وكتبنا عليهم فيها) كتبنا بمعنى الكتابة فى الألواح ، أو بمعنى الفرض والإلزام ، والضمير فى عليهم لبنى إسرائيل ، وفى قوله فيها للتوراة (أن النفس بالنفس) أى تقتل النفس إذا قتلت نفسا ، وهذا إخبار عما فى التوراة وهو حكم فى شريعتنا بإجماع ، إلا أن هذا اللفظ عام ، وقد خصص العلماء منه أشياء ، فقال مالك : لا يقتل مؤمن بكافر للحديث الوارد فى ذلك ولا يقتل حر بعبد ، لقوله الحر بالحر والعبد بالعبد ، وقد تقدم الكلام على ذلك فى البقرة (والعين بالعين) وما بعده حكم القصاص فى الأعضاء ، والقراءة بنصب العين وما بعده عطف على النفس ، وقرئ بالرفع ولها ثلاثة أوجه : أحدها العطف على موضع النفس لأن المعنى قلنا لهم النفس بالنفس والثانى العطف على الضمير الذى فى الخبر وهو بالنفس ، والثالث أن يكون مستأنفا مرفوعا بالابتداء (والجروح قصاص) بالنصب عطف على المنصوبات قبله ، وبالرفع على الأوجه الثلاثة التى فى رفع العين ، وهذا اللفظ عام يراد به الخصوص فى الجراح التى لا يخاف على النفس منها (فمن تصدق به فهو كفارة له) فيه تأويلان : أحدهما من تصدق من أصحاب الحق بالقصاص وعفا عنه ، فذلك كفارة له يكفر الله ذنوبه لعفوه وإسقاطه حقه ، والثانى من تصدق وعفا فهو كفارة للقاتل والجارح بعفو الله عنه فى ذلك لأن صاحب الحق قد عفا عنه ، فالضمير فى له على التأويل الأول يعود على من التى هى كناية عن

مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا

المقتول أو المجروح ، أو الولى ، وعلى الثانى يعود على القاتل أو الجارح وإن لم يجر له ذكر ولكن سياق الكلام يقتضيه ، والأول أرجح لعود الضمير على مذكور ، وهو من ، ومعناها واحد على التأويلين ، والصدقة بمعنى العفو على التأويلين ، إلا أن التأويل الأول بيان لأجر من عفا ، وترغيب فى العفو ، والتأويل الثانى : بيان لسقوط الإثم عن القاتل أو الجارح إذا عفى عنه (مصدقا لما بين يديه) قد تقدم معنى مصدق فى البقرة ، ولما بين يديه : يعنى التوراة ، لأنها قبله ، والقرآن مصدق للتوراة والإنجيل ، لأنهما قبله ، ومصدقا: عطف على موضع قوله فيه هدى ونور ، لأنه فى موضع الحال (ومهيمنا) ابن عباس شاهدا ، وقيل مؤتمنا (عما جاءك من الحق) تضمن الكلام معنى لا تنصرف أو لا تنحرف ، ولذلك تعدى بعن (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) ابن عباس سبيلا وسنة ، والخطاب للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أو الأمم ، والمعنى أن الله جعل لكل أمة شريعة يتبعونها ، وقد استدل بها من قال إن شرع من قبلنا ليس بشرع لنا ،وذلك فى الأحكام والفروع ، وأما الاعتقاد ، فالدين فيها واحد لجميع العالم ، وهو الإيمان بالله ، وتوحيده وتصديق رسله ، والإيمان بالدار الآخرة (فاستبقوا الخيرات) استدل به قوم على أن تقديم الواجبات أفضل من تأخيرها ، وهذا متفق عليه فى العبادات كلها ، إلا الصلاة ففيها خلاف ، فمذهب الشافعى أن تقديمها فى أول وقتها أفضل ، وعكس أبو حنيفة ، وفى مذهب مالك خلاف وتفصيل ، واتفقوا أن تقديم المغرب أفضل (وأن احكم بينهم) عطف على الكتاب فى قوله : وأنزلنا إليك الكتاب ، أو على الحق فى قوله : بالحق ، وقال قوم إن هذا وقوله قبله فاحكم بينهم ناسخ لقوله : فاحكم بينهم أو أعرض عنهم : أى ناسخ للتخيير الذى فى الآية ، وقيل إنه ناسخ للحكم بالتوراة ، ونزلت الآية بسبب قوم من اليهود ، طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحكم بينهم فأبى من ذلك ، ونزلت الآية تقضى أن يحكم بينهم (أفحكم الجاهلية يبغون) توبيخ لليهود ، وقرئ بالياء إخبارا عنهم ، وبالتاء خطابا لهم (لقوم يوقنون) قال الزمخشرى اللام للبيان : أى هذا الخطاب لقوم يوقنون ، فإنهم الذين يتبين لهم أنه لا أحسن من الله حكما (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) سببها موالاة عبدالله بن أبى بن سلول ليهود

الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ

بنى قينقاع ، وخلع عبادة بن الصامت الحلف الذى كان بينه وبينهم، ولفظها عام، وحكمها باق ، ولا يدخل فيه معاملتهم فى البيع والشراء وشبهه (فإنه منهم) تغليظ فى الوعيد ، فمن كان يعتقد معتقدهم فهو منهم من كل وجه ومن خالفهم فى اعتقادهم وأحبهم فهو منهم فى المقت عند الله ، واستحاق العقوبة (فترى الذين فى قلوبهم مرض) هم المنافقون والمراد هنا عبدالله بن أبى ابن سلول ومن كان معه (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) كان عبد الله بن أبى يوالى اليهود ويستكثرهم، ويقول إنى رجل أخشى الدوائر (فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده) الفتح هنا هو ظهور النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين، والأمر من عنده : هو هلاك الأعداء بأمراض عنده لا يكون فيه تسبب لمخلوق، أو أمر من الله لرسوله عليه الصلاة والسلام بقتل اليهود (فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين) الضمير فى فيصبحوا للمنافقين والذى أسروه هو قصدهم الاستعانة باليهود على المسلمين وإضمار العداوة للمسلمين (يقول الذين آمنوا) قرئ يقل بغير واو استئناف وإخبار ، وقرئ بالواو والرفع وهو عطف جملة على جملة ، وبالواو والنصب عطفا على أن يأتى الله ، أو عطفا على فيصبحوا (هؤلاء الذين أقسموا) الاشارة إلى المنافقين ، لأنهم كانوا يحلفون أنهم مع المؤمنين ، وانتصب جهد أيمانهم على المصدر المؤكد (حبطت أعمالهم) يحتمل أن يكون من كلام المؤمنين ، أو من كلام الله ، ويحتمل أن يكون دعاء أو خبر (من يرتد منكم عن دينه) خطاب على وجه التحذير والوعيد ، وفيه إعلام بارتداد بعض المسلمين فهو إخبار بالغيب قبل وقوعه ، ثم وقع فارتد فى حياة رسول صلى الله عليه وسلم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب ، وبنو مدلج قوم الأسود العنسى الذى ادعى النبوة ، وقتل فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد الذى ادعى النبوة ثم أسلم وجاهد ، ثم كثر المرتدون ، وفشا أمرهم بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كفى الله أمرهم على يد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وكانت القبائل التى ارتدت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع قبائل بنو فزارة وغطفان وبنو سليم وبنو يربوع وكندة ، وبنو بكر بن وائل ، وبعض بنى تميم ، ثم ارتدت غسان فى زمان عمر بن الخطاب ، وهم جبلة بن الأيهم الذى تنصر من أجل اللطمة (فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها ، وقال هم قوم هذا يعنى أبا موسى الأشعرى، والاشارة بذلك والله أعلم إلى أهل اليمن ، لأن الأشعريين من أهل اليمن ، وقيل المراد أبى بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ويقوى ذلك ما ظهر من أبى بكر الصديق رضى الله عنه من الجد فى قتالهم ، والعزم عليه حين خالفه فى ذلك بعض الناس . فاشتد عزمه حتى وافقوه وأجمعوا عليه فنصرهم الله على أهل الردة ، ويقوى ذلك أيضا

فِى سَبِيلِ اللّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَالِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ * يَآأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَاتَّقُوا اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ * قُلْ يَآأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ * قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَالِكَ مَثُوبَةً

أن الصفات التى وصف بها هؤلاء القوم هى أوصاف أبى بكر، ألا ترى قوله : أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وكان أبو بكر ضعيفا فى نفسه قويا فى الله ، وكذلك قوله : ولا يخافون لومة لائم : إشارة إلى من خالف أبا بكر ولامه فى قتال أهل الردة فلم يرجع عن عزمه (أذلة على المؤمنين) كقوله أشداء على الكفار رحماء بينهم ، وإنما تعدى أذلة بعلى ، لأنه تضمن معنى العطف والحنو ، فإن قيل : أين الراجع من الجزاء إلى الشرط ؟ فالجواب : أنه محذوف تقديره من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم مكانهم أو بقوم يقاتلونهم (إنما وليكم الله) ذكر الولىّ بلفظ المفرد إفراداً لله تعالى بهما ثم عطف على اسمه تعالى الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين على سبيل التبع ، ولو قال إنما أولياؤكم لم يكن فى الكلام أصل وتبع (وهم راكعون) قيل نزلت فى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فإنه سأله سائل وهو راكع فى الصلاة ، فأعطاه خاتمه ، وقيل هى عامة ، وذكر الركوع بعد الصلاة لأنه من أشرف أعمالها ، فالواو على القول الأول واو الحال ، وعلى الثانى للعطف (فإن حزب الله) هذا من إقامة الظاهر مقام المضمر : معناه فإنهم هم الغالبون (والكفار) بالنصب عطف على الذين اتخذوا ، وقرئ بالخفض عطف على الذين أوتوا الكتاب ، ويعضده قراءة ابن مسعود : ومن الكفار ، ويراد بهم المشركون من العرب (وإذا ناديتم إلى الصلاة) الآية : روى أن رجلا من النصارى كان بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول أشهد أنّ محمدا رسول الله قال : حرق الله الكاذب ، فوقعت النار فى بيته فاحترق هو وأهله ، واستدل بعضهم بهذه الآية على ثبوت الأذان من القرآن (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) جعل قلة عقولهم علة لاستهزائهم بالدين (هل تنقمون منا) هل تعيبون علينا وتنكرون منا إلا إيماننا بالله ، وبجمع كتبه ورسله ، وذلك أمر لاينكر ولا يعاب ، ونظير هذا فى الاستثناء العجيب قول النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ٭ بهنّ فلول من قراع الكتائب

ونزلت الآية بسبب أبى ياسر بن أخطب ، ونافع بن أبى نافع ، وجماعة من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الرسل الذى يؤمن بهم فتلا : آمنا بالله وما أنزل إلينا إلى آخر الآية ، فلما ذكر عيسى قالوا لانؤمن بعيسى ولا بمن آمن به (وأن أكثركم فاسقون) قيل إنه معطوف على آمنا ، وقيل على ما أنزل ، وقيل هو تعليل معطوف على تعليل محذوف تقديره هل تنقمون منا إلا لقلة إنصافكم ولأن أكثركم فاسقون ويحتمل أن يكون وأنّ أكثركم مبتدأ وخبره محذوف تقديره فسقكم معلوم ، أو ثابت (قل هل أنبئكم بشر من

عندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۞ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ۞ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ۞ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ

ذلك) لما ذكر أن أهل الكتاب يعيبون المسلمين بالإيمان بالله ورسله ذكر عيوب أهل الكتاب فى مقابلة ذلك ردًا عليهم ، فالخطاب فى أنبئكم لليهود ، والإشارة بذلك إلى ما تقدم من حال المؤمنين (مثوبة عند الله) هى من الثواب ووضع الثواب موضع العقاب تهكما بهم نحو قوله : فبشرهم بعذاب أليم (من لعنه الله) يعنى اليهود ومن فى موضع رفع بخبر مبتدإ مضمر تقديره هو من لعنه الله ، أو فى موضع خفض على البدل من بشرّ ، ولا بدّ فى الكلام من حذف مضاف تقديره بشرّ من أهل ذلك وتقديره دين من لعنه الله (وجعل منهم القردة والخنازير) مسخ قوم من اليهود قروداً حين اعتدوا فى السبت ، ومسخ قوم منهم خنازير حين كذبوا بعيسى ابن مريم (وعبد الطاغوت) القراءة بفتح الباء فعل معطوف على لعنه الله ، وقرئ بضم الباء وخفض الطاغوت على أن يكون عبد اسما على وجه المبالغة كيقظ أضيف إلى الطاغوت ، وقرئ وعابد وعباد ، وهو فى هذه الوجوه عطف على القردة والخنازير (شر مكانا) أى منزلة ونسب الشرّ للمكان وهو فى الحقيقة لأهله ، وذلك مبالغة فى الذم (وإذا جاؤكم قالوا آمنا) نزلت فى منافقين من اليهود (وقد دخلوا بالكفر) تقديره ملتبسين بالكفر ، والمعنى دخلوا كفارا وخرجوا كفارا ، ودخلت قد على دخلوا وخرجوا : تقريبا للماضى من الحال أى ذلك حالهم فى دخولهم وخروجهم على الدوام (بالإثم) الكذب وسائر المعاصى (والعدوان) الظلم (السحت) الحرام (لولا ينهاهم) عرض وتحضيض وتقريع (ليس) اللام فى الموضعين للقسم (وقالت اليهود يد الله مغلولة) غل اليد كناية عن البخل وبسطها كناية عن الجود ومنه : ولا تجعل يدك مغلولة : أى لا تبخل كل البخل ، ولا تبسطها كل البسط : أى لا تجد كل الجود ، وروى أن اليهود أصابتهم سنة جهد فقالوا هذه المقالة الشنيعة ، وكان الذى قالها فنحاص ، ونسبت إلى جملة اليهود ، لأنهم رضوا بقوله (غلت أيديهم) يحتمل أن يكون دعاء أو خبرا ، ويحتمل أن يكون فى الدنيا أو فى الآخرة ، فإن كان فى الدنيا ، فيحتمل أن يراد به البخل أو غل أيديهم فى الأسر ، وإن كان فى الآخرة ، فهو جعل الأغلال فى جهنم (بل يداه مبسوطتان) عبارة عن إنعامه وجوده ، وإنما ثنيت اليدان هنا وأفردت فى قول اليهود : يد الله مغلولة ، ليكون ردًا عليهم ومبالغة فى وصفه تعالى بالجود : كقول العرب فلان يعطى بكلتا يديه إذا كان عظيم السخاء (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها

الْكِتَٰبِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ النَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ * يَٰٓأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَٰفِرِينَ * قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ * إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰبِـُٔونَ وَالنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ

الله) إيقاد النار عبارة عن محاولة الحرب ، وإطفاؤها عبارة عن خذلانهم وعدم نصرهم ، ويحتمل أن يراد بذلك أسلافهم ، أو يراد من كان معاصرا للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم منهم ، ومن يأت بعدهم ، فيكون على هذا إخبار بغيب ، وبشارة للسلمين (ولو أن أهل الكتاب آمنوا) الآية : يحتمل أن يراد أسلافهم والمعاصرون للنبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، فيكون على هذا ترغيبا لهم فى الإيمان والتقوى (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل) إقامتها بالعلم والعمل ؛ وذكر الإنجيل دليل على دخول النصارى فى لفظ أهل الكتاب (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) قيل من فوقهم عبارة عن المطر ، ومن تحت أرجلهم : عبارة عن النبات والزرع ، وقيل ذلك استعارة فى توسعة الرزق من كل وجه (أمة مقتصدة) أى معتدلة ، ويراد به من أسلم منهم : كعبدالله بن سلام . وقيل من لم يعاد الأنبياء المتقدمين (ياأيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك) أمر بتبليغ جميع ما أوحى إليه على الاستيفاء والكمال ، لأنه كان قد بلغ وإنما أمر هنا ألا يتوقف عن شيء مخافة أحد (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) هذا وعيد على تقدير عدم التبليغ ، وفى ارتباط هذا الشرط مع جوابه قولان : أحدهما أن المعنى إن تركت منه شيئا ، فكأنك لم تبلغ شيئا ، وصار ما بلغت لا يعتد به ، فمعنى إن لم تفعل : إن لم تستوف التبليغ على الكمال ، والآخر أن المعنى إن لم تبلغ الرسالة وجب عليك عقاب من كتمها ، ووضع السبب موضع المسبب (والله يعصمك من الناس) وعد وضمان للعصمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاف أعداءه ويحترس منهم فى غزواته وغيرها ، فلما نزلت هذه الآية ، قال ياأيها الناس انصرفوا فإن الله قد عصمنى وترك الاحتراس (قل ياأهل الكتاب لستم على شيء) الآية : أى لستم على دين يعتد به يسمى شيئا (حتى تقيموا التوراة والإنجيل) ومن إقامتها الإيمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وقوله (وما أنزل إليكم) قال ابن عباس : يعنى القرآن ، ونزلت الآية بسبب رافع بن حارثة وسلام بن بشكم ورافع بن خزيمة وغيرهم من اليهود جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالوا إنا نتبع التوراة ولا نتبع غيرها ، ولا نؤمن بك ولا نتبعك (إن الذين آمنوا والذين هادوا) تقدم الكلام على نظيرتها فى البقرة (والصابئون) قراءة السبعة بالواو وهى مشكلة حتى قالت عائشة : هى من لحن كتاب المصحف ، وإعرابها عند أهل البصرة مبتدأ وخبره محذوف

إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ * وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ
فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ
قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ
فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ
وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا
يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ
وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِى دِينِكُمْ
غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ * لُعِنَ الَّذِينَ

تقديره والصابئون كذلك وهو مقدم فى نية التأخير ، وأجاز بعض الكوفيين أن يكون معطوفا على موضع اسم إن ، وقيل إن هنا بمعنى نعم ومابعدها مرفوع بالابتداء وهو ضعيف (وحسبوا أن لا تكون فتنة) أى بلاء واختبار ، وقرئ تكون بالرفع على أن تكون أن مخففة من الثقيلة ، وبالنصب على أنها مصدرية (فعموا وصموا) عبارة عن تماديهم على المخالفة والعصيان (ثم تاب الله عليهم) قيل إن هذه التوبة رد ملكهم ورجوعهم إلى بيت المقدس بعد خروجهم منه ، ثم أخرجوا المرة الثانية فلم ينجبر حالهم أبدا ، وقيل التوبة بعث عيسى عليه السلام ، وقيل بعث محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم (كثير منهم) بدل من الضمير أوفاعل على لغة أكلونى البراغيث والبدل أرجح وأفصح (وقال المسيح) الآية : رد على النصارى ، وتكذيب لهم (وما للظالمين من أنصار) يحتمل أن يكون من كلام المسيح ، أو من كلام الله (ما المسيح ابن مريم إلا رسول) الآية : رد على من جعله إلها (وأمه صديقة) أى بليغة الصدق فى نفسها ، أو من التصديق ، ووصفها بهذه الصفة دون النبوة يدفع قول من قال إنها نبية (كانا يأكلان الطعام) استدلال على أنهما ليسا بإلهين لاحتياجهما إلى الغذاء الذى لايحتاج إليه إلا محدث مفتقر ، ومن كان كذلك فليس بإله ، لأن الإله منزه عن صفة الحدوث ، وعن كل مايلحق البشر ، وقيل إن قوله يأكلان الطعام : عبارة عن الاحتياج إلى الغائط ، ولا ضرورة تدعو إلى إخراج اللفظ عن ظاهره ، لأن الحجة قائمة بالوجهين (ثم انظر) دخلت ثم لتفاوت الأمرين ولقصد التعجيب من كفرهم بعد بيان الآيات (قل أتعبدون من دون الله) الآية : إقامة حجة على من عبد عيسى وأمه وهما لايملكان ضرا ولا نفعا (قل ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم) خطاب للنصارى والغلوّ الإفراط وسبب ذلك كفر النصارى (ولا تتبعوا أهواء قوم) قيل هم أئمتهم فى دين النصرانية كانوا على ضلال فى عيسى وأضلوا كثيراً من الناس ، ثم ضلوا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم . وقيل هم اليهود ، والأول أرجح

كَفَرُوا مِن بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ * فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا

لوجهين : أحدهما أن الضلال وصف لازم للنصارى ألا ترى قوله تعالى ولا الضالين ، والآخر أنه يبعد نهى النصارى عن اتباع اليهود مع ما بينهم من الخلاف والشقاق (على لسان داود وعيسى ابن مريم) أى فى الزبور والإنجيل (لا يتناهون) أى لا ينهى بعضهم بعضا (عن منكر) فان قيل : لم وصف المنكر بقوله فعلوه والنهى لا يكون بعد الفعل ؟ فالجواب : أن المعنى لا يتناهون عن مثل منكر فعلوه ، أو عن منكر إن أرادوا فعله (ترى كثيرا منهم) إن أراد أسلافهم ، فالرؤية بالقلب ، وإن أراد المعاصرين للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الأظهر ، فهى رؤية عين (والنبى وما أنزل إليه) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (ما اتخذوهم أولياء) يعنى ما اتخذوا الكفار أولياء (لتجدن أشد الناس عداوة) الآية : إخبار عن شدة عداوة اليهود وعبدة الأوثان للمسلمين (ولتجدن أقربهم مودة) الآية : إخبار أن النصارى أقرب إلى مودة المسلمين ، وهذا الأمر باق إلى آخر الدهر فكل يهودى شديد العدواة للإسلام والكيد لأهله (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) تعليل لقرب مودتهم ، والقسيس العالم والراهب العابد (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول) الآية : هى فى النجاشى ، وفى الوفد الذين بعثهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو سبعون رجلا ، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فبكوا كما بكى النجاشى حين قرأ عليه جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه سورة مريم ، وقال السهيلى : نزلت فى وفد نجران ، وكانوا نصارى عشرين رجلا ، فلما سمعوا القرآن بكوا (مما عرفوا من الحق) من الأولى سببية والثانية بيان للجنس (آمنا) أى بالقرآن من عند الله (مع الشاهدين) أى مع المسلمين ، وكذلك مع القوم الصالحين (ومالنا لا نؤمن بالله) توقيف لأنفسهم ، أو محاجة لغيرهم (ونطمع) قال الزمخشرى الواو للحال ، وقال ابن عطية لعطف جملة على جملة لا لعطف فعل على فعل (لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) سببها أن قوما من

ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ * لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ

الصحابة غلب عليهم خوف الله إلى أن حرم بعضهم النساء ، وبعضهم النوم بالليل ، وبعضهم أكل اللحم ، وهم بعضهم أن يختصوا ، أو يسيحوا فى الأرض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أما أنا فأقوم وأنام ، وأصوم وأفطر ، وآتى النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى (ولا تعتدوا) أى لا تفرطوا فى التشديد على أنفسكم أكثر مما شرع لكم (وكلوا) أى تمتعوا بالمآكل الحلال ، وبالنساء وغير ذلك ، وإنما خص الأكل بالذكر ، لأنه أعظم حاجات الإنسان (باللغو) تقدم فى البقرة (بما عقدتم الأيمان) أى بما قصدتم عقده بالنية، وقرئ عقدتم بالتخفيف ، وعاقدتم بالألف (إطعام عشرة مساكين) اشتراط المسكنة دليل على أنه لا يجزى فى الكفارة إطعام غنى ، فإن أطعم جهلا لم يجزيه على المشهور من المذهب ، واشترط مالك أيضا أن يكونوا أحرارا مسلمين ، وليس فى الآية مايدل على ذلك (من أوسط ماتطعمون أهليكم) اختلف فى هذا التوسط هل هو فى القدر أو فى الصنف ، واللفظ يحتمل الوجهين ، فأما القدر فقال مالك يطعم بالمدينة مد بمد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وبغيرها وسط من الشبع ، وقال الشافعى وابن القاسم : يجزى المد فى كل مكان وقال أبو حنيفة إن غداهم وعشاهم أجزأه ، وأما الصنف فاختلف هل يطعم من عيش نفسه ، أو من عيش أهل بلده ؟ فمعنى الآية على التأويل الثانى من أوسط ماتطعمون أيها الناس أهليكم على الجملة ، وعلى الأول يختص الخطاب بالكفر (أو كسوتهم) قال كثير من العلماء يجزى ثوب واحد لمسكين ، لأنه يقال فيه كسوة ، وقال مالك إنما يجزى ماتصح به الصلاة ، فالرجل ثوب واحد ، وللمرأة قميص وخمار (أو تحرير رقبة) اشترط مالك فيها أن تكون مؤمنة لتقيدها بذلك فى كفارة القتل، لحمل هذا المطلق على ذلك المقيد، وأجاز أبو حنيفة هنا عتق الكافرة ، لإطلاق اللفظ هنا ، واشترط مالك أيضا أن تكون سليمة من العيوب وليس فى اللفظ مايدل على ذلك (فمن لم يجد) أى من لم يملك مايعتق ولا مايطعم ولا ما يكسو فعليه صيام ثلاثة أيام ، فالخصال الثلاث على التخيير ، والصيام مرتب بعدها لمن عدمها ، وهو عند مالك من لم يفضل عن قوته وقوت عياله فى يومه زيادة (ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم) معناه إذا حلفتم وخشيتم أو أردتم الحنث ، واختلف هل يجوز تقديم الكفارة على الحنث أم لا (واحفظوا أيمانكم) أى احفظوها فبروا فيها ، ولا تحنثوا ، وقيل : احفظوها بأن تكفروها إذا حنثتم ، وقيل احفظوها أى لا تنسوها تهاونا بها (الخمر والميسر) ذكر فى البقرة (والأنصاب والأزلام) مذكوران فى أول هذه السورة (رجس) هو فى اللغة كل مكروه مذموم وقد يطلق بمعنى النجس وبمعنى الحرام وقال ابن عباس معنى رجس سخط (فاجتنبوه) نص فى التحريم والضمير يعود على الرجس الذى هو خبر عن جميع الأشياء

وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۞ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۞ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ

المذكورة (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر) تقبيح للخمر والميسر، وذكر لبعض عيوبها ، وتعليل لتحريمها ، وقد وقعت فى زمان الصحابة عداوة بين أقوام بسبب شربهم لها قبل تحريمها ، ويقال إن ذلك كان سبب نزول الآية (فهل أنتم منتهون) توقيف يتضمن الزجر والوعيد ولذلك قال عمر لما نزلت : انتهينا انتهينا (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح (فيما طعموا) فيها تأويلان : أحدهما أنه لما نزل تحريم الخمر قال قوم من الصحابة كيف بمن مات منا وهو يشربها ، فنزلت الآية معلمة أنه لاجناح على من شربها قبل التحريم ، لأنه لم يعص الله بشربها حينئذ ، والآخر أن المعنى رفع الجناح عن المؤمنين فيما طعموا من المطاعم إذا اجتنبوا الحرام منها ، وعلى هذا أخذها عمر رضى الله عنه حين قال لقدامة : إنك إذا اتقيت الله اجتنبت ماحرم عليك ، وكان قدامة قد شربها واحتج بهذه الآية على رفع الجناح عنه ، فقال عمر : أخطأت التأويل (إذا ماتقوا وآمنوا) الآية قيل كرر التقوى مبالغة ، وقيل الرتبة الأولى : اتقاء الشرك ، والثانية اتقاء المعاصى ، والثالثة : اتقاء مالا بأس به حذرا مما به البأس ، وقيل الأولى للزمان الماضى والثانية للحال ، والثالثة للمستقبل (وأحسنوا) يحتمل أن يريد الإحسان إلى الناس . أو الإحسان فى طاعة الله وهو المراقبة ، وهذا أرجح لأنه درجة فوق التقوى ، ولذلك ذكره فى المرة الثالثة وهى الغاية ، ولذلك قالت الصوفية : المقامات ثلاثة : مقام الإسلام ثم مقام الإيمان ثم مقام الإحسان (ليبلوكم الله بشىء من الصيد) أى يختبر طاعتكم من معصيتكم بما يظهر لكم من الصيد مع الإحرام وفى الحرم وكان الصيد من معاش العرب ومستعملا عندهم، فاختبروا بتركه كما اختبر بنو إسرائيل بالحوت فى السبت وإنما قال فى قوله : بشىء من الصيد إشعارا بأنه ليس من الفتن العظيمة ، وإنما هو من الامور التى يمكن الصبر عنها (تناله أيديكم ورماحكم) قال مجاهد : الذى تناله الأيدى الفراخ والبيض ومالا يستطيع أن يفر والذى تناله الرماح كبار الصيد، والظاهر عموم هذا التخصيص (ليعلم الله) أى يعلمه علما تقوم به الحجة ، وذلك إذا ظهر فى الوجود (فمن اعتدى) أى بقتل الصيد وهو محرم، والعذاب الأليم هنا فى الآخرة (لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) معنى حرم داخلين فى الاحرام وفى الحرم، والصيد هنا عام خصص منه الحديث: الغراب والحدأة، والفأرة، والعقرب، والكلب العقور . وأدخل مالك فى الكلب العقور كل مايؤذى الناس من السباع وغيرها، وقاس الشافعى على هذه الخمسة : كل مالا يؤكل لحمه ، ولفظ الصيد يدخل فيه ماصيد ومالم يصد مما شأنه أن يصاد وورد النهى هنا عن القتل قبل أن يصاد وبعد أن يصاد ، وأما النهى عن الاصطياد فيؤخذ من قوله «وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما» (ومن قتله منكم متعمدا) مفهوم الآية يقتضى أن جزاء

مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَٰلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۝ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ

الصيد على المتعمد لا على الناسى ، وبذلك قال أهل الظاهر ، وقال جمهور الفقهاء المتعمد والناسى سواء فى وجوب الجزاء ، ثم اختلفوا فى قوله متعمدا على ثلاثة أقوال : أحدها أن المتعمد إنما ذكر ليناط به الوعيد فى قوله : ومن عاد فينتقم الله منه ، إذ لا وعيد على الناسى ، والثانى أنّ الجزاء على الناسى بالقياس على المتعمد ، والثالث أن الجزاء على المتعمد ثبت بالقرآن وأنّ الجزاء على الناسى ثبت بالسنة (فجزاء مثل ماقتل من النعم) المعنى فعليه جزاء ، وقرئ بإضافة جزاء إلى مثل ، وهو من إضافة المصدر إلى المفعول به ، وقيل مثل زائدة ، كقولك أنا أكرم مثلك أى أكرمك ، وقرئ فجزاء بالتنوين ، ومثل بالرفع على البدل أو الصفة ، والنعم الإبل والبقر والغنم خاصة ، ومعنى الآية عند مالك والشافعى : أنّ من قتل صيدا وهو محرم أنّ عليه فى الفدية مايشبه ذلك الصيد فى الخلقة والمنظر ، ففى النعامة بدنة ، وفى حمار الوحش بقرة ، وفى الغزالة شاة ، فالمثلية على هذا هى فى الصورة والمقدار ، فإن لم يكن له مثل أطعم أو صام ، ومذهب أبى حنيفة أنّ المثل القيمة يقوم الصيد المقتول ويخير القاتل بين أن يتصدق بالقيمة أو يشترى بالقيمة من النعم مايهديه (يحكم به ذوا عدل) هذه الآية تقتضى أنّ التحكيم شرط فى إخراج الجزاء ، ولا خلاف فى ذلك ، فإن أخرج أحد الجزاء قبل الحكم عليه ، فعليه إعادته بالحكم إلا حمام مكة ، فإنه لايحتاج إلى حكمين ، قاله مالك ، ويجب عند مالك التحكيم فيما حكمت فيه الصحابة ، وفيما لم يحكموا فيه ، لعموم الآية ، وقال الشافعى : يكتفى فى ذلك بما حكمت به الصحابة (هديا) يقتضى ظاهره أن مايخرج من النعم جزاء عن الصيد يجب أن يكون مما يجوز أن يهدى ، وهو الجذع من الضأن والثنىّ مما سواه ، وقال الشافعى يخرج المثل فى اللحم ولا يشترط السن (بالغ الكعبة) لم يرد الكعبة بعينها ، وإنما أراد الحرم ، ويقتضى أن يصنع بالجزاء مايصنع بالهدى من سوقه من الحلّ إلى الحرم ، وقال الشافعى وأبو حنيفة إن اشتراه فى الحرم أجزأه (أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما) عدد تعالى مايجب فى قتل المحرم للصيد ، فذكر أولا الجزاء من النعم ، ثم الطعام ثم الصيام ، ومذهب مالك والجمهور أنها على التخيير ، وهو الذى يقتضيه العطف بأو ، ومذهب ابن عباس أنها على الترتيب ، ولم يبين الله هنا مقدار الطعام ، فرأى العلماء أن يقدر الجزاء من النعم . لأنهم اختلفوا فى كيفية التقدير ، فقال مالك : يقدر الصيد المقتول نفسه بالطعام أو الدراهم ، ثم تقوم الدراهم بالطعام ، فينظر كم يساوى من طعام أو من دراهم وهو حىّ ، وقال بعض أصحاب مالك يقدر الصيد بالطعام أى يقال : كم كان يشبع الصيد من نفس ثم يخرج قدر شبعهم طعاما ، وقال الشافعى لايقدر الصيد نفسه ، وإنما يقدر مثله ، وهو الجزاء الواجب على القاتل له (أو عدل ذلك صياما) تحتمل الإشارة بذلك أن تكون إلى الطعام وهو أحسن لأنه أقرب أو إلى الصيد ، واختلف فى تعديل الصيام بالطعام فقال مالك يكون مكان كل مد يوما ، وقال أبو حنيفة مكان كل مدين يوم ، وقيل مكان كل صاع يوما ، ولا يجب الجزاء ولا الإطعام ولا الصيام ، إلا بقتل الصيد لا بأخذه دون قتل لقوله من قتله ، وفى كل وجه يشترط حكم الحكمين ، وإنما لم يذكر الله فى الصيام والطعام استغناء بذكره فى الجزاء (ليذوق وبال أمره) الذوق هنا مستعار لأن حقيقته بحاسة اللسان ، والوبال سوء العاقبة ، وهو هنا مالزمه من

الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَادُمْتُمْ حُرُماً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ • قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ • قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ

التكفير (عفا الله عما سلف) أى عما فعلتم فى الجاهلية من قتل الصيد فى الحرم (ومن عاد فينتقم الله منه) أى من عاد إلى قتل الصيد وهو محرم بعد النهى عن ذلك فينتقم الله منه بوجوب الكفارة عليه أو بعذابه الآخرة (أحل لكم صيد البحر) أحل الله بهذه الآية صيد البحر للحلال والمحرم ، والصيد هنا المصيد ، والبحر هو الماء الكثير: سواء كان ملحا أوعذبا ، كالبرك ونحوها ، وطعامه هو مايطفوعلى الماء وما قذف به البحر لأن ذلك طعام وليس بصيد ، قاله أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، وقال ابن عباس : طعامه ماملح منه وبق (متاعا لكم وللسيارة) الخطاب بلكم للحاضرين فى البحر ، والسيارة المسافرون أى هومتاع ماتدومون به (وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما) الصيد هنا يحتمل أن يرادبه المصدر أوالشىء المصيد أوكلاهما ، فنشأ من هذا أن ماصاده المحرم فلايحل له أكله بوجه ، ونشأ الخلاف فيما صاد غيره ، فإذا اصطاد حلال ، فقيل يجوز للمحرم أكله ، وقيل لايجوز إن اصطاده لمحرم ، والأقوال الثلاثة مروية عن مالك ، وإن اصطادحرام لمن يجز لغيره أكله عند مالك خلافا للشافعى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) أى أمرا يقوم للناس بالأمن والمنافع ، وقيل موضع قيام بالمناسك ولفظ الناس هنا عام ، وقيل أراد العرب خاصة ، لأنهم الذين كانوا يعظمون الكعبة (والشهر الحرام) يريد جنس الأشهر الحرم الأربعة ، لأنهم كانوا يكفون فيها عن القتال (والهدى) يريد أنه أمان لمن يسوقه لأنه يعلم أنه فى عبادة لم يأت لحرب (والقلائد) كان الرجل إذا خرج يريد الحج تقلد شيئا من السمر ، وإذا رجع تقلد شيئا من أشجار الحرم ، ليعلم أنه كان فى عبادة ، فلايتعرض له أحد بشىء ، فالقلائد هنا هو ماتقلده المحرم من الشجر ، وقيل أراد قلائد الهدى ، قال سعيد ابن جبير : جعل الله هذه الأمور للناس فى الجاهلية وشدد فى الإسلام (ذلك لتعلموا) الإشارة إلى جعل هذه الأمور قياما للناس ، والمعنى جعل الله ذلك لتعلموا أن لله يعلم تفاصيل الأمور (لايستوى الخبيث والطيب) لفظ عام فى جميع الأمور من المكاسب والأعمال والناس وغير ذلك (لاتسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم) قيل سببها سؤال عبد الله بن حذافة من أبى ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أبوك حذافة ، وقال آخر : أين أبى ، قال فى النار ، وقيل سببها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الله كتب عليكم الحج فحجوا فقالوا يارسول الله أفى كل عام ؟ فسكت ، فأعادوا ، قال لا ، ولوقلت نعم لوجبت ، فعلى الأول تسؤكم بالإخبار بما لايعجبكم ، وعلى الثانى تسؤكم بتكليف مايشق عليكم ، ويقوى هذا قوله عفا الله عنها : أى سكت عن ذكرها

مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَـٰفِرِينَ ۞ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَـٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ

ولم يطالبكم بها كقوله صلى الله عليه وسلم عفا الله عن الزكاة فى الخيل ، وقيل إن معنى عفا الله عنها : عفا عنكم فيما تقدم من سؤالكم فلا تعودوا إليه (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم) فيه معنى الوعيد على السؤال : كأنه قال : لا تسألوا ، وإن سألتم أبدى لكم ما يسوؤكم ، والمراد بحين ينزل القرآن : زمان الوحى (قد سألها قوم من قبلكم) الضمير فى سألها راجع إلى المسئلة التى دل عليها لا تسألوا ، وهى مصدر ، ولذلك لم يتعدى بعن كما تعدى قوله إن تسألوا عنها ، وذلك أن بنى إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء ، فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا ، فالكفر هنا عبارة عن ترك ما أمروا به (ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) لما سأل قوم عن هذه الأمور التى كانت فى الجاهلية هل تعظم لتعظيم الكعبة والهدى أخبرهم الله أنه لم يجعل شيئاً من ذلك لعباده : أى لم يشرعه لهم ، وإنما الكفار جعلوا ذلك ، فأما البحيرة : فهى فعيلة بمعنى مفعولة من بحر إذا شق ، وذلك أن الناقة إذا أنتجت عشرة أبطن شقوا آذانها وتركوها ترعى ولا ينتفع بها وأما السائبة فكان الرجل يقول إذا قدمت من سفرى أو برئت من مرضى فناقتى سائبة ، وجعلها كالبحيرة فى عدم الانتفاع بها ، وأما الوصيلة فكانوا إذا ولدت الناقة ذكرا وأنثى فى بطن واحد قالوا وصلت الناقة أخاها فلم يذبحوها ، وأما الحامى فكانوا إذا نتج من صلب الجمل عشرة بطون قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه شىء (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) أى يكذبون عليه بتحريمهم ما لم يحرم الله (وأكثرهم لا يعقلون) الذين يفترون على الله الكذب هم الذين اخترعوا تحريم تلك الأشياء ، والذين لا يعقلون هم أتباعهم المقلدون لهم (قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا) أى يكفينا دين آبائنا (أو لو كان آباؤهم) قال الزمخشرى الواو واو الحال ، دخلت عليها همزة الإنكار ، كأنه قيل أحسبهم هذا وآباؤهم لا يعقلون ، قال ابن عطية ألف التوقيف دخلت على واو العطف ، وقول الزمخشرى أحسن فى المعنى (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) قيل إنها منسوخة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقيل إنها خطاب للمسلمين من ذرية الذين حرموا البحيرة وأخواتها ، كأنه يقول : لا يضركم ضلال أسلافكم إذا اهتديتم ، والقول الصحيح فيها ماورد عن أبى ثعلبة الخشنى أنه قال : سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، فإذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بخويصة نفسك وذر عوامهم ، ومثل ذلك قول عبدالله بن مسعود رضى الله عنه : ليس هذا بزمان هذه الآية قولوا الحق ما قبل منكم ، فإذا رد عليكم : فعليكم أنفسكم (شهادة بينكم

غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ ٥ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا

إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان) قال مكى هذه الآية أشكل آية فى القرآن إعرابا ، ومعنى ، وحكما ، ونحن نبين معناها على الجملة ، ثم نبين أحكامها وإعرابها على التفصيل ، وسببها أن رجلين خرجا إلى الشام ، وخرج معهما رجل آخر بتجارة ، فرض فى الطريق فكتب كتابا قيد فيه كل مامعه ، وجعله فى متاعه وأوصى الرجلين أن يؤديا رحله إلى ورثته فمات فقدم الرجلان المدينة ، ودفعا رحله إلى ورثته ، فوجدوا فيه كتابه وفقدوا منه أشياء قد كتبها ، فسألوهما فقالا لا ندرى هذا الذى قبضناه ، فرفعوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبقى الأمر مدة ، ثم عثر على إناء عظيم من فضة ، فقيل لمن وجد عنده من أين لك هذا ، فقال اشتريته من فلان وفلان ، يعنى الرجلين ، فارتفع الأمر فى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين من أولياء الميت أن يحلفا فحلفا واستحقا ، فمعنى الآية : إذا حضر الموت أحد فى السفر ، فليشهد عدلين بما معه ، فإن وقعت ريبة فى شهادتهما حلفا أنهما ما كذبا ولا بدلا ، فإن عثر بعد ذلك على أنهما كذبا أو خانا حلف رجلان من أولياء الميت ، وغرم الشاهدان ماظهر عليهما ، وشهادة بينكم مرفوع بالابتداء وخبره اثنان التقدير شهادة بينكم شهادة اثنين أو مقيم شهادة بينكم اثنان إذا حضر أى قارب الحضور ، والعامل فى إذا المصدر الذى هو شهادة ، وهذا على أن يكون إذا بمنزلة حين لا تحتاج جوابا ، ويجوز أن تكون شرطية ، وجوابها محذوف يدل عليه ما تقدم قبلها ، فإن المعنى : إذا حضر أحدكم الموت ، فينبغى أن يشهد حين الوصية ظرف العامل فيه حضر ، ويكون بدلا من إذا (ذوا عدل) صفة للشاهدين منكم (أو آخران من غيركم) قيل معنى منكم من عشيرتكم وأقاربكم ، ومن غيركم من غير العشيرة والقرابة وقال الجمهور منكم أى من المسلمين ، ومن غيركم من الكفار ، إذا لم يوجد مسلم ، ثم اختلف على هذا هل هى منسوخة بقوله وأشهدوا ذوى عدل منكم فلا تجوز شهادة الكفار أصلا ، وهو قول مالك والشافعى والجمهور أو هى محكمة وأن شهادة الكفار جائزة على الوجه فى السفر ، وهو قول ابن عباس (إن أنتم ضربتم فى الأرض) أى سافرتم ، وجواب إن محذوف يدل عليه ماتقدم قبلها ، والمعنى إن ضربتم فى الأرض فأصابتكم مصيبة الموت ، فشهادة بينكم شهادة اثنين (تحبسونهما) قال أبو على الفارسى . هو صفة لآخران ، واعترض بين الصفة والموصوف بقوله : إن أنتم إلى قوله الموت ليفيد أن العدول إلى آخرين من غير الملة ، إنما يجوز لضرورة الضرب فى الأرض ، وحلول الموت فى السفر ، وقال الزمخشرى تحبسونهما استئناف كلام (من بعد الصلاة) قال الجمهور هى صلاة العصر ، فاللام للعهد ، لأنها وقت اجتماع الناس ، وبعدها أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالأيمان ، وقال من حلف على سلعة بعد صلاة العصر ، وكان التحليف بعدها معروف عندهم ، وقال ابن عباس هى صلاة الكافرين فى دينهما لأنهما لا يعظمان صلاة العصر (فيقسمان بالله) أى يحلفان ؛ ومذهب الجمهور أن تحليف الشاهدين منسوخ ، وقد استحلفهما علىّ بن أبى طالب وأبو موسى الأشعرى (إن ارتبتم) أى شككتم فى صدقهما أو أمانتهما ، وهذه الكلمة اعتراض بين القسم والمقسوم عليه ، وجواب إن محذوف يدل عليه يقسمان (لا نشترى به ثمنا) هذا هو المقسوم عليه ، والضمير فى به للقسم ، وفى كان للمقسم له : أى لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من

اُسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اُسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اُعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ٭ ذَالِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ٭ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ٭ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ

الدنيا : أى لانحلف بالله كاذبين لأجل المال ، ولو كان من نقسم له قريبالنا ، وهذا لأن عادة الناس الميل إلى أقاربهم (ولا نكتم شهادة الله) أى الشهادة التى أمر الله بحفظها وأدائها ، وإضافتها إلى الله تعظيما لها (فإن عثر على أنهما استحقا إثما) أى إن اطلع بعد ذلك على أنهما فعلا ماأوجب إثما ، والإثم الكذب والخيانة واستحقاقه الأهلية للوصف به (فآخران يقومان مقامهما) أى اثنان من أولياء الميت ، يقومان مقام الشاهدين فى اليمين (من الذين استحق عليهم) أى من الذين استحق عليهم الإثم أو المال ، ومعناه من الذين جنا عليهم وهم أولياء الميت (الأوليان) تثنية أولى بمعنى أحق : أى الأحقان بالشهادة لمعرفتهما ، والأحقان بالمال : لقرابتهما ، وهو مرفوع على أنه خبر ابتداء تقديره هما الأوليان ، أو مبتدأ مؤخر تقديره الأوليان آخران يقومان ، أو بدل من الضمير فى يقومان ، ومنع الفارسى أن يسند استحق إلى الأوليان ، وأجازه ابن عطية ، وأما على قراءة استحق بفتح التاء والحاء على البناء للفاعل ، فالأوليان فاعل باستحق ، ومعنى استحق على هذا أخذ المال وجعل يده عليه والأوليان على هذا هما الشاهدان اللذان ظهرت خيانتهما : أى الأوليان بالتحليف والتعنيف والفضيحة ، وقرئ الأولين جمع أول ، وهو مخفوض على الصفة للذين استحق عليهم ، أو منصوبا بإضمار فعل ، ووصفهم بالأولية لتقدمهم على الأجانب فى استحقاق المال وفى صدق الشهادة (فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما) أى يحلف هذان الآخران أن شهادتهما أحق : أى أصح من شهادة الشاهدين الذين ظهرت خيانتهما (إنا إذا لمن الظالمين) أى إن اعتدينا ، فإنا من الظالمين وذلك على وجه التبرئة ومثل قول الأولين إنا إذا لمن الآثمين (ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها) الإشارة بذلك إلى الحكم الذى وقع فى هذه القضية ومعنى أدنى : أقرب ، وعلى وجهها أى كما وقعت من غير تغيير ولا تبديل أو يخافوا (أن ترد أيمان بعد أيمانهم) أى يخافوا أن يحلف غيرهم بعدهم فيفتضحوا (يوم يجمع الله الرسل) هو يوم القيامة ، وانتصب الظرف بفعل مضمر أى ماذا أجابكم به الأمم من إيمان وكفر وطاعة ومعصية ، والمقصود بهذا السؤال توبيخ من كفر من الأمم ، وإقامة الحجة عليهم وانتصب ماذا أجبتم انتصاب مصدره ، ولو أريد الجواب ، لقيل بماذا أجبتم (قالوا لاعلم لنا) إنما قالوا ذلك تأدبا مع الله فوكلوا العلم إليه قال ابن عباس : المعنى لاعلم لنا إلا ما علمتنا ، وقيل معناه علمنا ساقط فى جنب علمك ويقوى ذلك قوله إنك أنت علام الغيوب ، لأن من علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر ، وقيل ذهلوا عن الجواب لهول ذلك اليوم ، وهذا بعيد ، لأن الأنبياء فى ذلك اليوم آمنون ، وقيل أرادوا بذلك توبيخ الكفار (إذ قال الله) يحتمل أن يكون إذ بدل من يوم يجمع ، ويكون هذا القول يوم القيامة أو يكون العامل

وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ * إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ *

فى إذمضمرا ويحتمل على هذا أن يكون القول فى الدنيا أو يوم القيامة وإذا جعلناه يوم القيامة فقوله قال بمعنى يقول ، وقد تقدم تفسير ألفاظ هذه الآية فى آل عمران (فتنفخ فيها) الضمير المؤنث عائد على الكاف ، لأنها صفة للهيئة ، وكذلك الضمير فى تكون ، وكذلك الضمير المذكور فى قوله فى آل عمران فينفخ فيه عائد على الكاف أيضا ، لأنها بمعنى مثل وإن شئت قلت هو فى الموضعين عائد على الموصوف المحذوف الذى وصف بقوله كهيئة فتقديره فى التأنيث صورة ، وفى التذكير شخصا أو خلقا وشبه ذلك ، وقيل المؤنث يعود على الهيئة والمذكر يعود على الطير ، والطين ، وهو بعيد فى المعنى (بإذنى) كرره مع كل معجزة ردا على من نسب الربوبية إلى عيسى (وإذ كففت بنى إسرائيل عنك) يعنى اليهود حين هموا بقتله ، فرفعه الله إليه (وإذ أوحيت) معطوف على ماقبله ، فهو من جملة نعم الله على عيسى والوحى هنا يحتمل أن يكون وحى إلهام أو وحى كلام (واشهد) يحتمل أن يكون خطابا لله تعالى أو لعيسى عليه السلام (إذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم) نداؤهم له باسمه : دليل على أنهم لم يكونوا يعظمونه كتعظيم المسلمين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنهم كانوا لاينادونه باسمه ، وإنما يقولون يارسول الله ياني الله ، وقولهم ابن مريم : دليل على أنهم كانوا يعتقدون فيه الاعتقاد الصحيح من نسبته إلى أم دون والد ، بخلاف مااعتقده النصارى (هل يستطيع ربك) ظاهر هذا اللفظ أنهم شكوا فى قدرة الله تعالى على إنزال المائدة وعلى هذا أخذه الزمخشرى ، وقال ماوصفهم الله بالإيمان ، ولكن حكى دعواهم فى قولهم آمنا وقال ابن عطية وغيره : ليس كذلك لأنهم شكوا فى قدرة الله لكنه بمعنى هل يفعل ربك هذا ، وهل يقع منه إجابة إليه ، وهذا أرجح ، لأن الله أثنى على الحواريين فى مواضع من كتابه ، مع أن فى اللفظ بشاعة تنكر ، وقرئ تستطيع بتاء الخطاب ربك بالنصب أى هل تستطيع سؤال ربك ، وهذه القراءة لاتقتضى أنهم شكوا ، وبها قرأت عائشة رضى الله عنها ، وقالت كان الحواريون أعرف بربهم من أن يقولوا : هل يستطيع ربك (أن ينزل علينا مائدة من السماء) موضع أن مفعول بقوله يستطيع على القراءة بالياء ، ومفعول بالمصدر ، وهو السؤال المقدر على القراءة بالتاء ، والمائدة هى التى عليها طعام ، فإن لم يكن عليها طعام فهى خوان (قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) فقوله لهم اتقوا الله : يحتمل أن يكون زجرا عن طلب المائدة ، واقتراح الآيات ، ويحتمل أن يكون زجرا عن الشك الذى يقتضيه قولهم هل يستطيع ربك على مذهب الزمخشرى ، أو عن البشاعة التى فى اللفظ وإن لم يكن فيه شك ، وقوله إن كنتم مؤمنين : هو على ظاهره على مذهب الزمخشرى ، وأما على مذهب ابن عطية وغيره ، فهو تقرير لهم

قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ * قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ . وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ . مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ

كما تقول افعل كذا إن كنت رجلا ، ومعلوم أنه رجل ، وقيل إنّ هذه المقالة صدرت منهم فى أول الأمر قبل أن يروا معجزات عيسى (قالوا نريد أن نأكل منها) أى أكلا نتشرف به بين الناس ، وليس مرادهم شهوة البطن (وتطمئن قلوبنا) أى نعاين الآية فيصير إيماننا بالضرورة والمشاهدة ، فلا تعرض لنا الشكوك التى تعرض فى الاستدلال (ونعلم أن قد صدقتنا) ظاهره يقوى قول من قال إنهم إنما قالوا ذلك قبل تمكن إيمانهم ، ويحتمل أن يكون المعنى نعلم علما ضروريا لا يحتمل الشك (ونكون عليها من الشاهدين) أى نشهد بها عند من لم يحضرها من الناس (قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء) أجابهم عيسى إلى سؤال المائدة من الله ، وروى أنه لبس جبة شعر ورداء شعر ، وقام يصلى ويدعو ويبكى (تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا) قيل تتخذ يوم نزولها عيدا يدور كل عام لأول الأمة ، ثم لمن بعدهم ، وقال ابن عباس . المعنى تكون مجتمعا لجميعنا أولنا وآخرنا فى يوم نزولها خاصة لا عيدا يدور (وآية منك) أى علامة على صدق (قال الله إنى منزلها عليكم) أجابهم الله إلى ماطلبوا ، ونزلت المائدة عليها سمك وخبز ، وقيل زيتون وتمر ورمان وقال ابن عباس : كان طعام المائدة ينزل عليهم حيثما نزلوا وفى قصة المائدة قصص كثيرة غير صحيحة (فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذابا) عادة الله عز وجل عقاب من كفر بعد اقتراح آية فأعطيته ، ولما كفر بعض هؤلاء مسخهم الله خنازير ، قال عبدالله بن عمر أشد الناس عذابا يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون والمنافقون (وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله) قال ابن عباس والجمهور : هذا القول يكون من الله يوم القيامة على رؤس الخلائق ، ليرى الكفار تبرئة عيسى مما نسبوه إليه ، ويعلمون أنهم كانوا على باطل ، وقال السدى لما رفع الله عيسى إليه قالت النصارى ماقالوا ، وزعموا أنّ عيسى أمرهم بذلك ، وسأل الله حينئذ عن ذلك ، فقال سبحانك الآية ، فعلى هذا يكون إذ قال ماضيا فى معناه كما هو فى لفظه ، وعلى قول ابن عباس يكون بمعنى المستقبل (ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق) نفى يعضده دليل العقل لأنّ المحدث لا يكون إلها (إن كنت قلته فقد علمته) اعتذار وبراءة من ذلك القول ووكل العلم إلى الله لتظهر براءته ، لأن الله علم أنه لم يقل ذلك (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك) أى تعلم معلومى ولا أعلم معلومك ، ولكنه سلك باللفظ مسلك المشاكلة ، فقال فى نفسك مقابلة لقوله فى نفسى وبقية قوله تعظيما لله ، وإخبار بما قال الناس فى الدنيا (أن اعبدوا) أن حرف عبارة وتفسير أو مصدرية بدل من الضمير فى

وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ *

به (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) فيها سؤالان الأول كيف قال وإن تغفر لهم وهم كفار والكفار لا يغفر لهم والجواب أن المعنى تسليم الأمر إلى الله وأنه إن عذب أو غفر فلا اعتراض عليه لأن الخلق عباده ، والمالك يفعل فى ملكه مايشاء ، ولا يلزم من هذا وقوع المغفرة للكفار ، وإنما يقتضى جوازها فى حكمة الله تعالى وعزته ، وفرق بين الجواز والوقوع ، وأما على قول من قال إن هذا الخطاب لعيسى عليه السلام حين رفعه الله إلى السماء ، فلا إشكال ، لأن المعنى إن تغفر لهم بالتوبة ، وكانوا حينئذ أحياء ، وكل حيّ معرض للتوبة ، السؤال الثانى : مامناسبة قوله : فإنك أنت العزيز الحكيم ، لقوله وإن تغفر لهم والأليق مع ذكر المغفرة أن لو قيل ، فإنك أنت الغفور الرحيم ؟ والجواب من ثلاثة أوجه . الأول يظهر لى أنه لما قصد التسليم لله والتعظيم له ، كان قوله فإنك أنت العزيز الحكيم أليق ، فإن الحكمة تقتضى التسليم له والعزة تقتضى التعظيم له ، فإن العزيز هو الذى يفعل مايريد؛ ولا يغلبه غيره ، ولا يمتنع عليه شىء أراده ، فاقتضى الكلام تفويض الأمر إلى الله فى المغفرة لهم أو عدم المغفرة لأنه قادر على كلا الأمرين لعزته وأيهما فعل فهو جميل لحكمته . الجواب الثانى قاله شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير إنما لم يقل الغفور الرحيم لئلا يكون فى ذلك تعريض فى طلب المغفرة لهم فاقتصر على التسليم والتفويض دون الطلب ، إذ لا تطلب المغفرة للكفار ، وهذا قريب من قولنا . الثالث حكى شيخنا الخطيب أبو عبدالله بن رشيد عن شيخه إمام البلغاء فى وقته حازم بن حازم أنه كان يقف على قوله وإن تغفر لهم ويجعل فإنك أنت العزيز استئنافا ، وجواب إن فى قوله فإنهم عبادك ، كأنه قال إن تعذبهم وإن تغفر لهم فإنهم عبادك على كل حال (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) عموم فى جميع الصادقين وخصوصا فى عيسى ابن مريم فإن فى ذلك إشارة إلى صدقه فى الكلام الذى حكاه الله عنه ، وقرأ غير نافع هذا يوم بالرفع على الابتداء أو الخبر، وقرأ نافع بالنصب وفيه وجهان : أحدهما أن يكون يوم ظرف لقال ، فعلى هذا لا تكون الجملة معمول القول ، وإنما معموله هذا خاصة والمعنى قال الله هذا القصص أو الخبر فى يوم ، وهذا بعيد مزيل لرونق الكلام ، والآخر أن يكون هذا مبتدأ ، ويوم فى موضع خبره والعامل فيه محذوف تقديره هذا واقع يوم ينفع الصادقين صدقهم ، ولا يجوز أن يكون يوم مبنيا على قراءة نافع ، لأنه أضيف إلى معرب ، قاله الفارسى والزمخشرى

(تم الجزء الأول)

(ويليه الجزء الثانى : وأوله سورة الأنعام)



فهرس

الجزء الأول من كتاب التسهيل

(تم الفهرس)